









# **أبو بكر الصديق وبنوه**

**سجل في العزة والعزّم والشرف الرفيع**

**دكتور**

**محمود عبد الفتاح شرف الدين**  
**أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد**  
**جامعة الأزهر**

**مكتبة الآراء**

٤٢ سيدات الذهاب - القاهرة  
ت: ٣٩١٩٣٧٧ - ٣٩٠٠٨٦٨



# **أبو بكر الصديق وبنوته**

سجل في العزة والعزم والشرف الرفيع

دكتور

محمود عبد الفتاح شرف الدين  
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد  
جامعة الازهر

مكتبة الأطباب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

ت : ٣٩٠٠٨٦٨ - ٣٩١٩٣٧٧

الرحيبة . يصدرون للإنسانية نفائس الخلق الرفيع والشجاعة النادرة وجلالـلـلـهـ الـأـعـمـالـ فـىـ السـيـاسـةـ وـالـرـيـاـدـةـ وـالـحـضـارـةـ وـالـسـيـادـةـ وـالـنـصـرـ لـلـحـقـ جـلـيـاـ . حتى ارتفعت رايـاتـهـ فـىـ الـمـشـارـقـ وـالـمـغـارـبـ وـسـتـظـلـ باـقـيـةـ حـتـىـ تـطـوـىـ دـوـاـيـنـ العـبـادـ عـلـىـ تـلـكـ الـأـرـضـ التـىـ نـعـيـشـ عـلـيـهـاـ .

إن سلسلة التواصل تبدأ مع الخالدين الراشدين من قطبهـمـ المـعـلـىـ أـبـىـ بـكـرـ رـضـوانـ اللـهـ عـلـىـ هـوـ الـمـسـتـحقـ وـالـمـجـدـيرـ بـمـكـانـهـ الـأـرـفـعـ لـاـ لـهـ مـنـ سـمـاتـ الـفـخـارـ وـجـلـيلـ الصـفـاتـ فـضـلـاـ عـنـ الـمـواـهـبـ وـالـمـكـتـسـبـاتـ ،ـ مـنـهـ سـابـقـتـهـ إـلـيـ إـلـاسـلـامـ وـصـدـاقـتـهـ لـلـرـسـوـلـ ﷺـ جـاهـلـيـةـ وـإـسـلـامـاـ ،ـ وـقـدـ شـهـدـ عـمـومـ الـغـزـوـاتـ وـهـوـ الـذـىـ أـعـتـقـ سـبـعـةـ كـلـهـمـ كـانـوـ يـعـذـبـونـ شـلـىـ إـلـاسـلـامـ وـقـدـ أـنـفـقـ كـلـ مـالـهـ الـبـالـغـ أـرـبـعـينـ أـلـفـاـ فـىـ سـبـيـلـ اللـهـ وـعـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ مـعـ مـاـ كـسـبـ مـنـ الـتـجـارـةـ .ـ وـقـدـ كـلـمـهـ أـبـوهـ -ـ أـبـوـ قـحـافـةـ -ـ فـىـ أـمـرـ عـتـقـاـهـ بـاـهـ وـهـ مـبـسـطـ بـيـنـ أـسـطـرـ الـتـارـيـخـ فـقـالـ لـهـ «ـ يـاـ بـنـىـ إـنـىـ أـرـاكـ تـعـتـقـ رـقـابـاـ ضـعـافـاـ ،ـ فـلـوـ أـنـكـ فـعـلـتـ مـاـ فـعـلـتـ فـأـعـتـقـتـ رـجـالـاـ جـلـداـ يـمـنـعـونـكـ وـيـقـومـونـ دـوـنـكـ ؟ـ فـقـالـ أـبـوـ بـكـرـ :ـ إـنـىـ أـرـيدـ مـاـ أـرـيدـ لـلـهـ »ـ فـنـزـلـتـ فـىـ تـلـكـ الـخـصـيـصـةـ مـنـ مـقـامـهاـ آـيـاتـ مـنـ قـوـلـ اللـهـ «ـ فـأـمـاـ مـنـ أـعـطـيـ وـاتـقـىـ وـصـدـقـ بـالـحـسـنـىـ فـسـيـسـرـ لـلـيـسـرـىـ »ـ إـلـىـ قـوـلـهـ تـبـارـكـتـ أـسـمـاؤـهـ «ـ وـمـاـ لـأـحـدـ عـنـهـ مـنـ نـعـمـةـ تـجـزـىـ إـلـاـ اـبـتـغـاءـ وـجـدـ رـبـهـ الـأـعـلـىـ ،ـ وـلـسـوـفـ يـرـضـىـ »ـ (ـ سـوـرـةـ الـلـلـيـلـ)ـ ،ـ فـعـاـشـ أـبـوـ بـكـرـ فـىـ مـطـلـعـ فـجرـ إـلـاسـلـامـ وـلـقـدـ مـنـ أـذـىـ أـسـاطـيـنـ الشـرـكـ مـاـ جـعـلـهـ يـنـالـ ثـوـابـ الصـابـرـينـ .ـ وـقـدـ رـفـعـ اللـهـ درـجـةـ عـلـيـاـ فـىـ مـشـرـقـ عـظـمـةـ الـدـيـنـ .ـ وـمـاـ زـالـ هـذـاـ الصـدـيقـ يـُـفـرـدـ لـلـرـسـوـلـ مـكـانـاـ أـسـمـىـ فـىـ قـلـبـهـ وـنـفـسـهـ وـرـوـحـهـ .ـ وـلـاـ قـدـمـهـ وـأـسـهـمـ بـهـ حـازـ الـحـظـوةـ وـفـازـ بـحـبـ جـمـيعـ الـمـسـلـمـيـنـ .ـ فـهـوـ أـخـلـصـهـ إـيمـانـاـ وـأـشـدـهـ يـقـيـناـ وـأـخـصـهـ عـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ وـأـحـدـهـمـ عـلـىـ إـلـاسـلـامـ .ـ فـكـانـ أـكـثـرـ الصـحـابـ حـكـمـةـ وـمـضـاءـ وـعـزـماـ ،ـ وـلـاـ عـجـبـ أـنـ يـكـونـ هـذـاـ مـقـامـ الـأـسـنـىـ .ـ فـقـدـ روـيـ محمدـ بـنـ جـبـيرـ بـنـ مـطـعمـ عـنـ أـبـيهـ قـالـ :ـ «ـ أـتـتـ اـمـرـأـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللـهـ ﷺـ

فسألته في شيء ، فأمرها أن ترجع إليه . فقالت يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجده ؟ - تعنى الموت - فقال لها المصطفى ﷺ : إن لم تجديني فأتى أبي بكر » يقول الإمام محمد بن إدريس الشافعى : فى هذا الحديث دليل على أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر .

وكتابنا هذا محاولة على درب الاجتهاد لإبراز دور هذا الصحابي الجليل « أبي بكر الصديق » متبوعاً بصورة صادقة للكرام الأبرار أبناءه الستة : عائشة وأسماء وعبد الرحمن وعبد الله ومحمد وأم كلثوم . كلّ قد تفرد في صفحاته بصفاتٍ ما قدّم من خدمة جليلة لدولة عظيمة ، فكُونوا مع أبيهم سجلاً حافلاً لمجد الإسلام التالد في العزم والكرم والشرف الرفيع .

والفصل الأول احتوى على شطر هام من حياة أبي بكر من درجة من قبيل اهتدائه إلى الإسلام إلى أن ظهر الله نفسه ببرهان الدين القويم . وقد غطى هذا الفصل تلك الفترة الخامسة من تاريخ الإسلام . فكان « الصديق » من مبدأ الدعوة قسيم النبي ﷺ في جهاده وكفاحه لإظهار الدين والمجهر بالرسالة السامية بين الناس . لا غرو أن يكون أبو بكر مع النبي يسهم في حمل الرسالة ويتحمل مسئوليته بأمانة . فلم تضل حجته ولم تضعف بصيرته مع الشدائـد والمكائد والمحن وظل أبو بكر صامداً كالمجبل لا تحركه العواصف ولا تزييه القواصـف .

ويجيء الفصل الثاني ليكشف لنا إطلاـلة مجد الإسلام في مطلع إشراقه مع الهجرة المباركة وموافق أبي بكر المجيدة في ترتيب أمرها إلى أن وصلت إلى مداها المأمول من النجاح ، وفي السنوات التي شهدت نهضة الإسلام مع الأنصار ، والمنجزات الفائقة في بناء دولة ملؤها الحياة والأمل . وقد شارك الصديق في كل خطوة شهدتها الجزيرة العربية سلماً أو حرباً وإصلاحاً وعملاً بسواعد القوة الجديدة - مهاجرين وأنصار - أشداء

شكلوا على الرمال ونحتوا بين الصخور أعظم صرح لأمة ميزها الله بأرفع  
الكمالات ومؤيدة بتعاليم السماء حتى انتقل الرسول الأكرم ﷺ إلى جوار  
ربه .

أما الفصل الثالث . فقد خصصته لخلافة أبي بكر ومنهجه السياسي  
الرائد ، فبینا ما أسف عنه النقاش الطويل في أحقيـة المهاجريـن والأنصار  
في خلافة رسول الله ﷺ وما انبثـق عنـه مؤـتمر السـقيفة حتى نـال أبو بـكر  
إجماعـ الأـمـة أو ما يـشـبهـ إـجـمـاعـهـاـ . أما الـرافـضـةـ فـفـيـ هـذـاـ الفـصـلـ إـجـابـةـ  
حـاسـمـةـ عـنـ بـيـعـةـ عـلـىـ بـنـ أـبـىـ طـالـبـ لـأـبـىـ بـكـرـ دـوـنـ إـبـطـاءـ . ولـمـ يـزـلـ الـخـلـيفـةـ  
الـأـوـلـ يـجـدـ مـنـ أـبـىـ السـبـطـيـنـ كـرـمـ اللـهـ وـجـهـهـ - كـلـ الحـبـ وـالتـقـدـيرـ فـيـ  
خـلـاقـتـهـ وـيـعـدـهـ ، وـدـلـيـلـيـ الـمـعـتـمـدـ فـيـ هـذـاـ رـوـاـيـةـ «ـ قـيـسـ بـنـ سـعـدـ بـنـ عـبـادـ »ـ  
قـالـ «ـ قـالـ لـىـ عـلـىـ بـنـ أـبـىـ طـالـبـ إـنـ رـسـوـلـ اللـهـ تـعـالـىـ مـرـضـ لـيـالـىـ وـأـيـامـاـ  
يـنـادـىـ بـالـصـلـاـةـ فـيـقـولـ : مـرـواـ أـبـىـ بـكـرـ فـلـيـصـلـ بـالـنـاسـ . فـلـمـ قـبـضـ رـسـوـلـ اللـهـ  
تـعـالـىـ نـظـرـتـ فـإـذـاـ الصـلـاـةـ عـلـمـ الـإـسـلـامـ وـقـوـامـ الـدـيـنـ فـرـضـيـنـاـ لـدـنـيـانـاـ مـنـ رـضـىـ  
رـسـوـلـ اللـهـ تـعـالـىـ لـدـنـيـنـاـ ، فـبـاـيـعـنـاـ أـبـىـ بـكـرـ »ـ وـفـيـ رـوـاـيـةـ اـبـنـ عـبـدـ الـبـرـ فـيـ سـفـرـهـ  
الـقـيـمـ عـنـ عـلـىـ قـالـ «ـ لـاـ يـفـضـلـنـىـ أـحـدـ عـلـىـ أـبـىـ بـكـرـ وـعـمـ إـلـاـ جـلـدـتـهـ حـدـ  
الـمـفـرـىـ »ـ وـأـعـتـقـدـ أـنـ فـيـ التـصـنـيـنـ مـاـ يـنـدـ كـلـ فـنـنـةـ وـيـقـطـعـ جـهـيـزةـ كـلـ مـفـتـئـتـ  
بـيـاطـلـ .

وـقـدـ وـقـفـنـاـ مـعـ الفـصـلـ الـرـابـعـ عـلـىـ تـلـكـ المـصـاعـبـ الـخـطـيرـةـ التـىـ أـطـلـتـ  
بـرـأسـهـاـ فـيـ بـدـاـيـةـ هـذـاـ عـصـرـ . وـالـصـرـاعـ العـاتـىـ الذـىـ قـادـهـ مـجـمـوعـةـ مـنـ مـرـضـىـ  
الـزـعـامـاتـ وـأـرـيـابـ الـأـنـتـهـازـيـةـ فـيـ قـضـيـةـ الـزـكـاـةـ وـادـعـاءـ النـبـوـةـ أـوـ مـاـ عـرـفـ  
«ـ بـحـرـوبـ الرـدـةـ »ـ فـبـرـزـتـ شـخـصـيـةـ الصـدـيقـ تـسـفـرـ عـنـ مـعـدـنـهـ الرـفـيـعـ قـوـيـةـ  
لـاـ تـلـيـنـ حـازـمـةـ لـاـ تـسـتـكـينـ مـعـ شـجـاعـةـ وـقـوـةـ يـقـيـنـ وـإـيـانـ بـعـظـمـةـ الـقـضـيـةـ التـىـ  
يـقـاتـلـ مـنـ أـجـلـهـاـ حـتـىـ صـفـتـ الـأـجـوـاءـ وـانـقـشـعـتـ الـغـمـةـ بـاـنـتـصـارـهـ بـجـمـيعـ  
الـمـقـايـيسـ .

أما الفصل الخامس : فلا شك أن القارئ واجد فيه عظمة مشرق النور في مسراه على مثار نقع الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله في بقاع المعمورة حين استطاع هذا العهد - على الرغم من قصر مدته - أن يزيل عرش الأكاسرة والقياصرة وبهذا وجودها ويعلن ويصوت جهير عن سياسة الإحلال الحضاري في العراق والشام وسيادة المنظور الروحي والمعنوی مع المكتسبات الحربية التي حققتها الجيوش الإسلامية التي خاضها قادة الفتح وزعماء العسكرية التي خطت في صفحات الوجود أنفع الدروس في الجلاد والثبات والصبر والبطولة والعبقرية . سجلتها في هذا الفصل وبكل إعزاز وتشريف وبصدق الحدث والمعايشة فكأننا مع الأبطال والسيوف والدروع والخيول شهدوا عياباً .

ويأتي الفصل السادس فيعالج جزءاً مزدهراً من أهم إنجازات أبي بكر في مساجلات الأيام خاصة ما قام به من جهد مشكور في جمع القرآن العظيم خدمة للبشر مع توالي الحقب حيث هيأ هذا الأمر الجليل لمن جاء بعده عند استنساخ المصاحف لكل الأمصار الإسلامية في عهد الخليفة ذي التورين عثمان بن عفان . كما أمحنا إلى جانبها من اجتهادات الصديق وتفرد بعض الفتاوى التي لا يشق لها غبار ولا مجال في صحتها لأى متشكك . هذا فضلاً عن الضمانات الأساسية للسياج السياسي الركين الذي وضعه أبو بكر للدولة الإسلامية في عهده والتي أوصلت السفينة على متن العباب إلى برها المنشود من الكمال والتوفيق حتى أوصل المشعل الوهاج إلى رفيق الجهاد ورئيس مدرسة محمد عليه الزاهدة : عمر بن الخطاب الذي كان - ويحق - للأمانة أهلاً ويتحملها جديراً .

أما الفصل الأخير فقد آليتُ أن أقدم فيه ركناً سياسياً لهذا السجل الحافل حيث أعطيتُ للقارئ فمذاج شتى لروائع الأمجاد الساطعة لتلك الأسرة الأصيلة من أبناء أبي بكر الصديق الذين كان كل فرد فيها نجماً

فرداً في بيته وقطباً معلى في إسهامه . دلت هذه الشجرة الطيبة على نفاسة الجوهر وعراقة المنبت . بما تميزوا به من صدق اليقين وشجاعة وقوة جنان . وضوء ساطع يجتلى للأجيال مددًا متجددًا للعطاء والقوة لمن يريد أن يسير على الدرب . وهم جميعاً من البشر لهم ما لسائر البشر من الحسنات وما أكثرها ، ويجري عليهم سن الخطأ في الاجتهاد لبعض الأحكام والميول مع اعترافى مسبقاً بأننى مهما أثنيت على أصحاب هذا السجل الصافى فلن أوفيهم حقوقهم علينا في هذا الصعيد المتألق بجلال الإسهامات التي حازوا من خلالها على شرف التقدير والإكبار . وقد أقيمت أضواء كافية لما قدموا في العصور التي عاشوا فيها ، وما قصرت ، وإن كانت محاولتي في إبراز هذه النفحـة الشذـية وإـشاعتها من غـدائرـها لـيـعمـ فـضـلـهـاـ بـيـنـ رـغـبـوـاـ فيـ الـاستـزـادـةـ . فـهـذـاـ جـهـدـيـ ، وـحـسـبـيـ أـنـ أـمـدـ الـفتـيلـ وـأـسـاعـدـ فيـ إـشـاعـ المـصـبـاحـ عـلـىـ طـرـيقـ الـعـرـفـةـ . وـإـنـ وـجـدـ الـقـارـئـ فـيـ هـذـاـ الـعـمـلـ مـاـ يـقـصـرـ عـنـ الـهـدـفـ الـذـيـ نـبـتـغـيـهـ فـإـنـىـ أـعـدـ صـادـقـاـ بـزـيـادـةـ الـجـهـدـ ، لـأـنـ غـاـيـةـ الـكـمالـ لـمـ يـرـتـقـهـ إـلـاـ الأـصـفـيـاءـ مـنـ رـعـيـلـنـاـ الـأـوـلـ ؛ـ فـعـلـىـ دـرـبـهـمـ نـحـنـ سـائـرـوـنـ نـنـشـدـ الـوصـولـ إـلـىـ الـأـفـضـلـ وـالـأـحـسـنـ وـتـعـرـيـضـ كـلـ نـقـصـ ، وـتـقوـيـةـ كـلـ ضـعـفـ شـابـ هـذـاـ الـعـمـلـ . وـالـلـهـ أـسـأـلـ الـمـثـوـيـةـ عـلـىـ جـهـدـ الـمـقـلـ وـشـحـذـ الـقـلمـ .

دكتور / محمود شرف الدين

\* \* \*

# الفصل الأول

## الصديق قبل الخلافة

### أ - قبل إسلامه :

ولد أبو بكر « عبد الله بن عثمان بن عامر بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب » بمكة بعد مولد المصطفى ﷺ بستين وأشهر ، حيث جاءت ولادته بعد عام الفيل يستعين وستة أشهر <sup>(١)</sup> وأمته أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ابن كعب . ولم يكن لها أبناء يعيشون فحين ولادته أسرعت به إلى الكعبة فاستقبلتها وقالت « اللهم هذا عتيقك من الموت » فلقب « عتيقاً » لذلك <sup>(٢)</sup> قال النwoى : إن اسم أبي بكر « الصديق » : عبد الله هذا الصحيح المشهور . وقيل اسمه عتيق <sup>(٣)</sup> لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به . وال الصحيح الذي أجمع عليه طائفة من أهل النسب « أن عتيقاً لقب له لا اسم » . وقد زادوا بأن الصديق لقب بعتيق لعلاقة وجهه أى حسنه وجماله <sup>(٤)</sup> وكان اسمه عبد الكعبة واشتهر بذلك في الجاهلية حتى أتعم الله عليه بالإسلام فسماه النبي ﷺ « عبد الله بن أبي قحافة » . قالت عائشة : إن النبي ﷺ قال : « من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر » فغلب عليه اسم عتيق . ثم أردفت القول بأن جدها « أبي قحافة »

(١) ابن عبد البر . الاستيعاب ج ٢ ص ١٤٣ .

(٢) المحب الطبرى . الرياض النصرة ج ٢ ص ١٠٦ .

(٣) تهذيب الأنساء ج ٢ ص ١٨١ .

(٤) ابن حجر . الإصابة في تمييز الصحابة ج ٢ ص ٣٤٣ .

كان له ثلاثة أولاد فسمى واحداً عتيقاً والثاني معتقاً والثالث عتيقاً أى بالتصغير (١) .

وقد عُرِفَ بالصديق في الجاهلية والإسلام على السواء . وما قيل في سبب تسميته في العصر الأول راجع إلى أنه كان يتولى أمر الديات وينوب فيها عن قريش . فما تولاه من هذه الديات صدقته تلك القبيلة وقبلته ، أما إن تصدى لهذا الغرض غيره خذلته وتخلى عنه ، وربما ترددت في قبوله منه تحت إلحاح (٢) . أما عن السبب في تلقيبه بالصديق في العصر الإسلامي فلأنه كان أول المبادرين بتصديق النبي ﷺ في كل مواقفه خاصة صبيحة أسرى به إلى بيت المقدس والعروج به إلى السموات العلي (٣) .

قالت عائشة لما سئلت عن سبب تلقيبة بالصديق ، قالت « لما أسرى بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى فأصبح يتحدث الناس بذلك فارتدى أناس من قد آمن وصدق به وفتنتوا به . فقال أبو بكر : إنى لأصدقه في ما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء غدوة أو روحمة » فلذلك سمى أبو بكر الصديق (٤) . وقال أبو محجن الثقفي عن أبي بكر في محمل حديث عن فضله وسبقه : « وسميت صديقاً وكل مهاجر بسواك يسمى باسمه غير منكر سبقت إلى الإسلام والله شاهد . وكتبت جليساً في العريش المشهور (٥) . وكتنيته أبو بكر . وقيل لأنه بكر في الدخول إلى الإسلام . وقيل كنى بذلك لابتکار الخصال الكريمة (٦) وقد آزر النبي ﷺ في نصر دين الله تعالى بنفسه وماله . وهو من قبيلة تميم بن مرة بن كعب ويتصل مع النبي في جده

(١) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٢٠ .

(٢) ابن الأثير . أسد الغابة ج ٣ ص ٨٧ . (٣) النروى المرجع السابق ص ١٨١ .

(٤) ابن سعد ج ٣ ص ١٢١ . (٥) المرجع نفسه ص ١٢٢ .

(٦) ابن حجر الإصابة ج ٢ ص ٣٤٢ .

ال السادس « مرة بن كعب بن لؤي » <sup>(١)</sup> . ويعا أن أبي بكر ينسب إلى تيم قريش . فإنهم اطلقوا عليه « التممي » ومعاشره الذين ولد بين ريو عليهم تميز جل رجالهم بالأدب الجم والخلق الرضي <sup>(٢)</sup> . كما اشتهرت نساؤهم بمخايل الحسن والنصرة . فقيل إن بنات تلك القبيلة أول النساء وأحظاهن عند الأزواج . وربما كان مرجع ذلك إلى طول عهد القبيلة بحياة المدنية وإشغالها وأن اشتغالها بالتجارة كان يقوم على المودة وحسن المعاملة ولا يقوم على بسطة النقود وصلة الغلبة <sup>(٣)</sup> .

والصديق من أكرم بطون قريش وأشرفهم إذ كانت إليهم - من مفاخر قريش في الجاهلية - الأشناق <sup>(٤)</sup> . وقد آلت هذه المفخرة إلى أبي بكر حينما توضحت معالم شخصيته وقوى ساعده وأنس الناس في شجاعته وإنصافه وأمانته . وقد انبثقت مواهبه في غضون طفولته الباكرة فنمّت عن ذكاء وهدوء وحياء لا يتلاشى ولا يتغير مع مراحل النمو والتكرير . وقد بدأ في صباحه في بسطة من ألوان الاستغراق باستكشاف ما وراء الحجب من غموض إلا أن استيعابه الأكثر في هذا السن كان النظر في مكاسب العيش والثراء الوافر الذي يجمع ربعه من محيط مواهبة التجارية التي تفتقت من أكمامها على اعتاب الشباب وقد نقلت إلينا الروايات في وصفه بأنه كان أبيضا تحالطا صفرة وسيما غزير الرأس خفيف العارضين ناتئ الجبهة غائر العينين حسن القامة لا يلحظ عليه انحناء . أجنا - لا يستمسك إزاره في وسطه - يخضب رأسه وليحيته بالحناء والكتم فتبعد لحيته متوجهة قانية الحمرة <sup>(٥)</sup> .

(١) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٢ ص ١٤٢ . (٢) ابن حجر مرجع سابق ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٣) المقاصد عقيرية الصديق ص ١٠ .

(٤) ابن سعد ج ٣ ص ١٢٢ .

(٥) الديات والمعارم .

عمل أبو بكر في الحرفة السائدة التي تتعلم مع البيئة التي عاش بين أركانها . فبرز في « تجارة الشياب » فوق في الوصول إلى مكان الجيد منها والتعرف الدقيق على معايبها في داخل أسواقها . كما برهنت له الخبرات صولات أرباب الحيل وتفرس أحوال الغشة والمدلسين ومقابلة كل هؤلاء بحسن الخلق ورقة الطبع مع رزانة لا تخرجه عن حد الوقار<sup>(١)</sup> فاتسعت تجاراته في الرحلات الذاهبة إلى الشام واليمن فدخل بصرى وكان في قافلة مع أبي طالب إلى الشام . وكان رأس ماله أربعين ألف درهم ، وراجت ثروته بسبب أمانته وصدقه فوثقت به العشائر والتجار<sup>(٢)</sup> .

وكان ذا يسار يحمل الكل<sup>\*</sup> ويكتب المعدوم سهلاً لين العربية رضيَّ  
الخلق رقيق الطباع لا يغليه الهوى ولا تملكه الشهوة . وكان لوضوح حجته  
وحسن رأيه ورجاحة عقله سبباً من أسباب ابتعاده عن الكثير من المذميات  
والمنكرات والشناعات التي انغمست فيها كل من كان في مثل سنده فأثرت  
في أخلاقياتهم ولم تفت في عضده أبداً<sup>(٣)</sup> . كما كان لا يشارك قومه في  
العديد من موروثات العبودات الحجرية التي لا تنفع الناس ولا تضرهم  
 شيئاً<sup>(٤)</sup> فلم يشرب الصديق - رضي الله عنه - قطر الخمر التي كانت  
مستشرية بين العرب قبل الإسلام وعندما سئل عن سر ابتعاده عن اقترافها  
قال « إنما ابتعدت عنها لأنني كنت أصون عرضي وأحفظ مروءتي . فإن  
من شرب الخمر كان مضينا في عريضة ومرعوته »<sup>(٥)</sup> وأخرج أبو نعيم  
« لقد حرم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية »<sup>(٦)</sup> وقد سئلت ابنته

(١) المزرجي خلاصة مذهب الكمال ص ٢١٢ . (٢) المرجع السابق ص ٢١٣ .

(٣) للمزيد من صفاتيه راجع السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٢٧ ، ابن ظفر أباه ، نجف ، الأنبار ، ص ١٩١ .

(٤) العصامي . سبط النجوم العوالى ص ٧٨ .

(٥) ابن حجر فتح الباري ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٦) السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٣٢

الصديقة عائشة عن ذلك فقالت « حرم أبو بكر الخمر . فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام . وذلك أنه مر على رجل سكران يضع يده في العذرة <sup>(١)</sup> ويدنيها من فيه فإذا وجد ريحها صرف عنها . فحرمتها أبو بكر على نفسه » <sup>(٢)</sup> . كما أن الصديق لم يتعاط الشعر في شبابه ولا كهولته ، وهو الذي لم يسجد قط لصنم حيث ينقل لنا الثقات بأنه قال « إنما ناهزتُ **الحُلُمَ** أخذنى أبو قحافة (أبوه) بيدي ، فانطلق بي إلى مخادع الأصنام . فقال لي « هذه آلهتك الشم العوالى » وخلاتي وذهب . فدنوت من الصنم وقلت : إنني جائع ، فأطعموني ، فلم يجيئني . وقلت : إنني عارٍ فاكسني ، فلم يجيئني . فألقيت عليه صخرة فخرّ لوجهه » <sup>(٣)</sup> .

وإذا أن الخالق الأعظم قد حياه جمالاً وجلاً وأخلاقاً حسنة ونفساً صافية لعل أوجزها قوة الإرادة ومضاء العزيمة والقرب من قلوب من جالسه أو عاشره . خبيراً بخياباً ذلك المجتمع القرشي الذي شهد فتوته <sup>(٤)</sup> . فضلاً عن صدق نواياه ورعايته لحقوق الأقران في الرحلات وأوقات الإقامة فإنها جعلت الكبير والصغير يأنسون لحادثته ويشقون في جل كلامه فأحبوه وسعوا إلى مصادقته لما ألفوا في مسامعيه إلى تأليف قلوبهم وجمع شتات أمرهم ، كما ساعدته إدراكاته الفاحصة لتبني سلسلة الأنساب بين البطون والعشائر العربية **تَعْدُ** الصديق لذلك « من علماء الأنساب وأخبار العرب حتى قبل إنه أنسب قريش لقريش وأعلمهم بما كان فيهم من خير أو شر » <sup>(٥)</sup> .  
وكان الصديق من رؤساء قريش وأهل مشورتهم يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر . منشأة مكة وعاشر بالقرب من ديار اشتهرت بالتجارة

(١) العذرة : الغائب .

(٢) السيوطي مرجع سابق ص ٢٨ .

(٣) ابن ظفر مرجع سابق ص ١٤٢ .

(٤) العصامي مرجع سابق ص ٨٠ .

(٥) ابن هشام السيرة النبوة ج ١ ص ٢٦٧ .

الواسعة - داره ومنزل السيدة خديجة بنت خويلد ودار أم هند بنت عتبة - وكانتا تتجران بواسطة الرجال<sup>(١)</sup> هذا غير ديار بنى هاشم وغيرهم من نهاء التجار وأصحاب الثراء العريض . وقد تزوج أبو بكر في صدر الشباب من قتيلة بنت عبد العزى فولدت له ابنته عبد الله وابنته أسماء . ثم تزوج بعد قتيله بأم رومان بنت عامر بن عمير فولدت له عبد الرحمن وعائشة<sup>(٢)</sup> أم المؤمنين وقت الزجاجتان قبل إشراق نور الإسلام على مكة . وشاعت الأقدار الطيبة أن يتعرف أبو بكر بالصطفي عليه السلام قبيلبعثة . فتآلفاً وتحاباً وتوطدت بينهما عرى صداقة متينة كانت لها أبعد الأثر في تاريخ الإسلام والعروبة . وأكير الظن أن التقارب في السن والاشتراك في العمل والاتفاق في سكينة النفس ورضى الخلق والمرءة التامة والإحسان والركون إلى المكارم والفضائل والميل إلى الشمائل والجليل من الأعمال كل ذلك وثّق المودة الخالصة والحب المتجدد بين الرسول وصاحب أبي بكر<sup>(٣)</sup> وقد جمعهما مدارج التحثت وإطالة التفكير في أمر هذا المجتمع الذي أشيعت في جوانبه المفسدات وفتشي بين الناس الأنانية والمعتقدات الذميمة . فابتعد أبو بكر وغمرته مشاغل التجارة عما ينغمس فيه غيره من أبناء جلدته . كما ألف النبي عليه السلام الذي تجمع في فؤاده كل معانى النبل والهدایة والرشاد - العزلة في جبال مكة وفي غار حراء على وجه الخصوص . ولا عجب أن يكون في اجتماعهما شرف الصحبة وكمال التأثير فقد أفاضت الروايات والحقائق الساطعة في وصف الحصول الكريمة التي تتبع بها كلامها في الأيام التي عرفت في التاريخ باسم « أيام الجاهلية » وتنزيد لن يطلب « بأن أبياً بكر كان أحد عشر من قريش - فيما رواه الزبير ابن بكار - اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام ، وذلك أن قريشاً لم يكن

(١) الحسن التدوين السيرة النبوية ص ٧٨ .

(٢) السيوطي تاريخ المخلفاء ص ١١٢ .

(٣) السيرة الملوكية ص ٣٠ .

لهم ملك ترجع الأمور كلها إليه . بل كان في كل قبيلة ولدية عامة تكون لرئيسها . فكانت في بني هاشم السقاية والرفادة ومعنى ذلك أن لا يأكل أحد إلا من طعامهم وشرابهم . وكانت في بني عبد الدار الحجاجة واللواء والندوة أى لا يدخل أحد البيت إلا يأذن لهم . وإذا عقدت قريش راية حرب عقدها لهم بنو عبد الدار . وإذا اجتمعوا لأمر إبراماً أو نصراً لا يكون اجتماعهم إلا بدار الندوة ، ولا ينفذ إلا بها ، وكان لأبي بكر أمر الديات والغرم <sup>(١)</sup> .

### ب - الصديق بعد أن هداه الله إلى الإسلام :

لما أشرقت أضواء الدعوة الإسلامية على سائر الجزيرة العربية وجاءت رسالة التوحيد تبدد ظلام الشرك . فإنه من المتوقع - يقيناً - أن يسارع أبو بكر إلى تصديق محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه ويعلن إسلامه ويعتنق هذا الدين الجديد فور إعلانه . فكان أول من أسلم من الرجال وفي طليعتهم - قاطبة - وفي ذلك يقول البشير النذير « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبيرة إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم عنه <sup>(٢)</sup> حين ذكرته له وما تردد فيه » <sup>(٣)</sup> .

**أما كيفية علمه بأمر هذا الدين القويم <sup>(٤)</sup> فيرويها الثقات : إنه لما بعث**

(١) جمهرة نسب قريش ص ١٠٨ ، الإصابة ج ٢ ص ٣٣٥ .

(٢) كبيرة : نظر وتردد . عكم : تلبث . (٣) ابن هشام السيرة ج ١ ص ١٠٧ .

(٤) يحدث أبو بكر عن نفسه فيقول كنت جالساً بقناة الكعبة وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعداً فمر به أبيه بن أبي الصلت فقال : كيف أصبحت يا باجي الخير ؟ قال : بخير . قال : هل وجدت ؟ قال : لا . فقال : كل دين يوم القيمة إلا ما قضى الله في الحقيقة يدر . أما أن هذا النبي الذي ينتظر منا أوننك . قال أبو بكر - ولم أكن سمعت قبل ذلك نبياً ينتظر ويعث . قال فخررت إلى درقة بن نوبل فاسترققت ثم قصصت عليه الحديث فقال نعم يا ابن أخي إنما أهل العلوم إلا أن هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسياً . قلت يا عم وما يقول النبي ؟ قال : يقول ما تليل له ، إلا أنه لا يظلم ولا يظلم ولا يظلم . فلما بعث رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه آمنت به وصدقته - سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٣٨ .

المصطفى . انطلق رجال من قریش إلى أبي بكر . فقالوا : يا أبا بكر ، إن صاحبك قال وما شأنه ؟ قالوا هو ذلك في المسجد يدعو إلى عبادة الله واحد ويزعم أنه نبي . فقال أبو بكر : أو قال ذلك ؟ قالوا نعم . فأقبل أبو بكر إلى النبي ﷺ فطرق عليه الباب فاستخرجه . فلما ظهر له ، قال له : يا أبا القاسم ما الذي بلغنى عنك ؟ ما الذي بلغك عنني يا أبا بكر . قال : بلغنى أنك تدعونا إلى توحيد الله وزعمت أنك رسول الله . قال : نعم يا أبا بكر إن ربي جعلني بشيراً ونذيراً وجعلني دعوة إبراهيم وأرسلني للناس جميعاً . فقال أبو بكر : والله ما جربت عليك كذياً ، وإنك خلقي بالرسالة لعظم أمانتك وصلتك لرحمك وحسن فعالك ، مد يدك فإني مبaiduك <sup>(١)</sup> .

ولما شرح الله صدر أبي بكر للإسلام - وهو أول رجل عربي بالغ أعلن إسلامه دون خوف - جعل يساعد صاحبه في توصيل أمر هذه الدعوة الصائبة إلى الناس . فأصبح الصديق من أكثر المسلمين انتفاعاً بتعاليم الإسلام ، بل عدّ من أكبر المدافعين وأبلغ الدعاة الموفقين حيث أسلم على يديه ويسبيب حجته البالغة وتأثيره المباشر عدد من الرجال من وثقوا فيه إذ كان أبو بكر كما يقول ابن كثير : رجلاً مألفاً لقومه محباً سهلاً فأسلم عن فريق من قومه من يعشاء ويجلس إليه الزبير بن العوام وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن ابن عوف - رضي الله عنهم أجمعين - فانطلقوا إلى رسول الله ﷺ ومعهم أبو بكر . فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وأنبأهم بحق الإسلام ، وكان هؤلاء التفر الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام ، صدقوا رسول الله ، وأمنوا بما جاء من عند الله <sup>(٢)</sup> .

(١) المحب الطبرى الرياض التضرة ج ٢ ص ١٠٩ .

(٢) البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٩ .

ومن رواية البخاري في أمر إسلام أبي بكر واسهاماته من أول يوم أن رسول الله ﷺ قال لخديجة «إنى إذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد - والله - خشيت أن يكون هذا أمراً . فقلت : معاذ الله ! ما كان الله لي فعل بك ؟ فوالله إنك لتؤدى الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث . فلما دخل أبو بكر ذكرت له حديثه وقالت يا عتيق اذهب مع محمد إلى ورقة . فلما دخل رسول الله أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا إلى ورقة بن نوفل . فقال : ومن أخبرك ؟ قال : خديجة . فانطلقا إليه فقصاً عليه (١) .

ومع أن الدلائل كلها تشير إلى صدق إيمان أبي بكر وعمق المودة التي ربطت بينه وبين المبعوث رحمة للعالمين . وما قام به من جهود مشكورة في إيصال حقائق الدعوة الإسلامية إلى المتهفين إلى سماعها من وفقوا إلى الدخول فيها من السابقين الأولين والذين أسلموا بإسلامه ، فإنني لا أميل إلى التيقن من صحة هذه الرواية التي يسوقها المحب الطبرى في مجلد حديث عن ارتباط الخليلين - محمد وأبي بكر - وينسبها إلى ابن عباس وما قاله : أن أبي بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وهم يريدون الشام في تجارة (٢) حين نزلوا منزلًا فيه سدرة . فنزل رسول الله في ظلها ومضى أبو بكر إلى راهب يقال له «بحيرى» يسأله عن الدين . فقال بحيرى : من الرجل الذي في ظل السدرة ؟ فقال أبو بكر : ذاك محمد بن عبد الله . فقال بحيرى : هذا والله نبي الله ما استظل تحتها أحد بعد عيسى ابن مريم إلا محمد بن عبد الله . فوقع في قلب أبي بكر اليقين (٣) .

(١) صحيح البخاري ص ٤١٢ .

(٢) كان النبي ﷺ غلاماً في التاسعة من عمره حين رأه بحيرى الراهب وكان أبو بكر وقتها في سن السادسة .

(٣) الرياض النضرة ص ٧٣ .

هذه الرواية تكلم في صحتها كثير من العلماء الذين لهم إمام بصحة السندي للأحاديث وأجمعوا بأنه حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذه الوجهة<sup>(١)</sup> وهو من الأحاديث المنكرا . وما يقبح في تمام صحته : أن الرسول في أصح الروايات لم يصل إلى بلاد الشام إلا مرتين الأولى مع عمه أبي طالب وهو لم يزل في سن التاسعة من عمره ، والثانية في قافلة قريش على رأس تجارة السيدة خديجة بنت خويلد مصاحباً لغلامها ميسرة وهو إذ ذاك ابن الخامسة والعشرين من عمره . فلم يشعر قط أنه ذهب إلى تلك البلاد وهو في هذا السن الذي ذكرته الرواية . وهل أن بحيرى الراهب المسيحي الذى قابله النبي مع أبي بكر هو نفس الراهب الذى أشار إليه ابن هشام في سيرته في وقت رحلته مع عمه أبي طالب إلى بلاد الشام ؟ أم غيره ؟<sup>(٢)</sup> إن العلامة الحسن الندوى ينكر مقابلة بحيرى من أصلها - سواء أكان النبي مع عمه أم مع أبي بكر - مستندًا إلى أن الروايات لهذه القصة مرسلة ، وأن كل من روى هذه القصة من الصحابة إنما سمعها من غيره ولم يسمه . ومن رواة هذه الأحاديث عبد الرحمن بن غزوان وقد تكلم فيه أكثر أهل الصناعة وقالوا إنه كان يروي الأحاديث المنكرا<sup>(٣)</sup> .

أخذ أبو بكر يجاهد بنفسه وماله في سبيل نشر هذه الدعوة السامية بين الناس . فكان يبذل دون تردد في سبيل الله . فكان يفتدى بماله الأسير والذى على عاتقه معاناة . وهو الذى أعتق الأرقاء من المسلمين ويعولهم . فكان إذا مر على أحد من العبيد يعذب بسبب إسلامه اشتراه وأعتقه ابتغاً وجد ربه الأعلى . وهذا يدل على تشبعه بمعانى العزة وحب الحرية وعلو الهمة . أخرج أبو داود ( قال ) : أسلم أبو بكر وله أربعون ألفاً

(١) الحسين بن المبارك . التجريد الصريح ص ٢١٨ .

(٢) انظر القصة منفصلة في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) السيرة النبوية ص ١١٧ .

فأنفقها في سبيل الله . قالت عائشة : إنه مات وما ترك ديناراً ولا درهماً<sup>(١)</sup> وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله . أعتق عامر بن فهد وأم عبيس وزنيرة<sup>(٢)</sup> وجارية بني المؤمل<sup>(٣)</sup> والنهرية وابنتها<sup>(٤)</sup> . وكان أمية بن خلف من مشركى مكة يلقى بلاً الحبسى في الرمضان على وجهه وظهره إذا حميـت الشمس وقت الظهيرة ثم يأمر بالصخرة الكبيرة فتلقي على صدره ويقول : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بـمحمد وتعبد اللات والعـزى . فيـقول : أحد أحد ، ولم يـزل على هذا حتى اشتراه أبو بـكر وأعتقه<sup>(٥)</sup> .

### ج - بطائق أخرى في سجل الجهاد الإسلامي :

إن هذا السجل المتفـافق كان حافلاً بـحالـات الأعمـال . فـهـا هو الصـديـق الذي لم يكن أسبق المؤمنـين إسلامـاً وأسرـعـهم إلى البـذـل والـسـخـاء ، فقط ، وإنـما كان متـفـرـداً إلى نـجـدة النـبـي ﷺ - في مـواقـفـ الـخـطـرـ وـسـاعـاتـ الشـدـةـ التي تـختـيرـ فـيـهاـ المعـادـنـ التـفـيسـةـ التـىـ تـزيـدـهاـ النـيـرانـ لـعـانـاـ وـيـريـقاـ ، إنـ حـبـ أبيـ بـكرـ لـلنـبـيـ أـمـرـ لاـ شـكـ فـيـهـ . بلـ كـانـ هـذـاـ الحـبـ يـنـمـوـ معـ الأـيـامـ وـيـزـدـهـرـ وـيـجـدـ لـهـ مـكـانـاـ فـيـ حـنـايـاـ صـدـرـهـ . وـهـوـ الـأـمـرـ الـذـيـ جـعـلـ أـبـاـ بـكـرـ يـدـفعـ أـذـىـ الجـبـابـرـةـ وـالـصـنـادـيدـ الـذـينـ كـرـسـواـ جـهـدـهـمـ فـيـ مـحاـولةـ إـطـفاءـ نـورـ إـسـلـامـ . إنـ

(١) سنـ أـبـيـ دـاـرـودـ المـجـلـدـ الـرـابـعـ صـ ١٧٢ـ .

(٢) قـبـلـ إـنـهـ قـدـ أـصـيبـ بـصـرـهـ حـينـ أـعـتـقـهـاـ . فـقـالـتـ قـرـيـشـ : ماـ أـذـبـ بـصـرـهـ إـلـاـ الـلـاتـ وـالـعـزـىـ فـقـالـتـ كـنـبـواـ وـبـيـتـ اللـهـ مـاـ تـضـرـ الـلـاتـ وـالـعـزـىـ وـلـاـ تـنـفـعـانـ . فـرـدـ اللـهـ بـصـرـهـ .

(٣) هـذـهـ الـجـارـيـةـ كـانـ عـمـرـ بـنـ الـخـطـابـ يـضـرـبـهـاـ - قـبـلـ إـسـلـامـهـ - حـتـىـ إـذـاـ مـلـ . قـالـ إـنـ اـعـتـدـ إـلـيـكـ إـلـاـ مـلـلـةـ . فـتـقـولـ : كـذـلـكـ فـعـلـ اللـهـ بـكـ . فـأـبـاتـعـهـاـ أـبـوـ بـكـرـ فـأـعـتـقـهـاـ .

(٤) كـانـتـاـ لـأـمـرـأـهـ مـنـ بـنـيـ عـبـدـ الدـارـ فـمـرـبـهـاـ أـبـوـ بـكـرـ وـقـدـ بـعـثـتـهـاـ هـذـهـ السـيـدةـ بـطـحـيـنـ لـهـاـ وـهـيـ تـقـولـ وـالـلـهـ لـاـ أـعـتـقـكـمـاـ أـبـدـاـ . فـقـالـ الصـدـيقـ : حلـ يـاـ أـمـ فـلانـ . فـقـالـتـ : حلـ أـنـتـ أـفـسـدـهـمـ فـأـعـتـقـهـمـاـ . قـالـ : فـبـكـمـ ؟ـ قـالـتـ بـكـنـاـ وـكـنـاـ .ـ فـدـفـعـ كـلـ تـنـهـمـاـ وـجـعـلـهـمـاـ حـرـتانـ .

(٥) أـبـنـ حـجـرـ . إـلـاصـاـيـةـ فـيـ تـبـيـزـ الصـحـاـبـةـ جـ ٢ـ صـ ٣٤٤ـ .

التاريخ لن يغفل دور الصديق في الدفاع عن النبي ﷺ حيث كان يعرض حياته للخطر الذي يصل إلى الموت . فكثيراً ما كان يحول بين الكفار وصاحب الدعوة الهادية . من ذلك أنه قد اجتمعت قريش ت يريد قتل النبي ﷺ فلم يفته يومئذ إلا أبي بكر الذي أسرع إلى المسجد فدخله فوجد رسول الله ﷺ والناس مجتمعون عليه . فقال ويلكم أنتلون رجلاً أن يقول رب الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ والله إنه لرسول الله . فلهموا عنه وأقبلوا على أبي بكر يصررون عليه . قالت أسماء (١) : فرجع إلينا فجعل لا يس شيئاً من غدائه إلا جاء معه . وهو يقول : تبارك يا ذا الجلال والإكرام (٢) .

إن الإيمان بالله وبرسوله يجعل هذا الصحابي أحرص الناس على حياة المصطفى وشدة تمكن دعوته بين القوم وارتفاعه بهذا الإيمان إلى الدرجة التي جعلته يفتدي نفسه بحبيبه ﷺ في ساعات العسرة والشدة ليربط الله به على قلبه . أخرج الحافظ أبو الحسن الطرابليسي : عن عائشة ( قالت ) : « لما اجتمع أصحاب النبي ﷺ على رسول الله في الظهور . فقال يا أبو بكر : إننا قليل . فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله جالس . فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسول الله وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين فضربوا في نواحي المسجد

(١) في رواية أخرى عن أسماء : كان المشركون قعوداً في المسجد المرام فتذكروا رسول الله ﷺ وما يقرره في آهتهم . فبييناهم كذلك إذ دخل صلوات الله وسلامه عليه المسجد ، فقاموا إليه . وكانوا إذا سأله عن شئ صدقهم فقالوا ألسنت تقول في آهتنا كذا وكذا ؟ قال : بل . فتشبّهوا به بأجمعهم . فأتى الصريح إلى أبي بكر فقيل له : أدرك صاحبك . فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد فوجد الرسول ﷺ والناس مجتمعون عليه فقال : ويلكم . أنتلون رجلاً إلخ . أسد الغابة ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٣) كانوا ثانية وثلاثين رجلاً منهم أبو بكر .

ضريراً شديداً ووطئ أبو بكر وضرب ضريراً شديداً ودنا منه عتبة بن ربيعة ،  
 فجعل يضريه بنعلين مخصوصتين ويحرفهما وجهه . ووثب على بطن أبي  
 بكر حتى ما يُعرف وجهه من أنفه . وجاء بنو تميم يتعادون فأجلت المشركين  
 عن أبي بكر . وحملت بنو تميم أبو بكر في ثوب حتى أدخلوه منزله  
 ولا يشكّون في موته ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا والله لئن  
 مات أبو بكر لنقتلن عتبة بن ربيعة . فرجعوا إلى أبي بكر فجعل أبو قحافة  
 وبنو تميم يكلمون أبياً بكر حتى أجاب آخر النهار . فقال : ما فعل رسول  
 الله ؟ فمسوا منه بالستهم وعدلوه ثم قاموا وقالوا لأمه - أم الخير -  
 انظري إن تطعميه شيئاً أو تسقيه إياه . فلما خلت به الحلة عليه وجعل  
 يقول : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت : والله ما لى علم بصاحبك . فقال :  
 اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت  
 أم جميل . فقالت : إن أبياً بكر يسألك عن محمد بن عبد الله . فقالت  
 ما أعرف أبياً بكر ولا محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحبين أن أذهب معك  
 إلى ابنك . قالت : نعم . فمضت معها حتى وجدت أبياً بكر صريراً دنفاً .  
 فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إن قوماً نالوا منك لأهل  
 فسق وكفر وإنى لأرجو أن ينتقم الله لك منهم . قال : فيما فعل رسول الله ؟  
 قالت هذه أمك تسمع ! قال فلا شيء عليك منها . قالت : سالم صالح .  
 قال أين هو ؟ قالت في دار الأرقام . قال : فإن لله على أن لا أذوق  
 طعاماً ولا أشرب شراباً أو آتى رسول الله ﷺ . فأنهلتني حتى هدأت  
 الرجل وسكن الناس خرجتا به يتکئ عليهما حتى أدخلتها على رسول الله  
 ﷺ قال : فاكب عليه رسول الله فقبله ، وأكب عليه المسلمين ، ورق له  
 رسول الله رقة شديدة . فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ليس  
 بي بأس إن نال الفاسق من وجهي ، وهذه أمي برة بولدها وأنت مبارك  
 فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار . قال :

فدعوا لها رسول الله ﷺ ودعاهما إلى الله . فأسلمت . فأقاموا مع الرسول في الدار شهراً وهم تسعة وثلاثون نفراً (١) .

وعندما أسرى الرسول الكريم ﷺ إلى بيت المقدس في الرحلة المباركة وأخبر قومه بأسرارها وما تم فيها سخر المشركون من تلك الأخبار التي مؤداها أنه صلى بالأنبياء والمرسلين إماماً ثم عرج به إلى الملاأ الأعلى وقد تم ذلك كله في ليلة واحدة ! فقال أكثر الناس : هذا والله الأمر البين - العجيب - والله إن العير لتطرد شهراً من مكة إلى الشام مدبرة وشهراً مقبلة فيذهب بذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة ؟ قالوا : فارتدى كثير من كان أسلم (٢) قد أدخل هؤلاء الناس تلك الرحلة تحت المقاييس الزمنية والمسافات التي تقطعها الإبل أياماً طوالاً . وقد طلبوا أمارات تشهد على صدق قوله فذكر الكثير من ذلك كما طلبوا - خاصة وصف المسجد فصورة الله أمام ناظريه حتى وصفه وصفاً دقيقاً ، إلا أن هؤلاء المعاندين لم يزدادوا إلا سخرية به ، بل أمعنوا في التكذيب - وهو أمر متوقع من فئة تترىص بكل ما جاء به من عند الله مؤيدة بالأيات والمعجزات - وسط هذا كله تبرز شخصية أبو بكر المؤمن الواثق الذي ما أن أتته الأنباء بقصة الإسراء حتى صدق النبي في كل ما أخبر به من أحداثها دون تردد أو تشكيك (٣) بل عقب لمن قال له تلك الأنباء المصدقة عنده : « والله لئن كان قاله لقد صدق ، فما يعجبكم من ذلك ؟ فوالله إنه ليخبرني أن الخير ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه ، فهذا أبعد

(١) السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٣٨ ، تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٧٨ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤ - ٥ .

(٣) إن أبي بكر يعلم بقينا مكانة محمد ﷺ عند ربه وأن الإسراء معجزة بالغة خارقة للعادة وتد أمده بقرة لا يصل إلى إدراكها تلك العقول القرشية الخاوية ولا تطمئن إليها أبداً تلك القلوب المتحجرة . وغاية القول أن النبي ﷺ قد أحبط بقدرة لا حدود لها ولا غاية لمنتهاها » الحسين بن المبارك التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح ص ٣٠٥ .

ما تتعجبون منه <sup>(١)</sup> . ثم أتى أبو بكر حتى انتهى إلى الرسول ﷺ فقال : يا نبى الله أحدثت هؤلاء القوم أنك أتيت بيت المقدس هذه الليلة ؟ قال نعم قال يا نبى الله فصفه لي فإني قد جئت <sup>هـ</sup> . ( قال الحسن ) فقال رسول الله ﷺ : فرُفع لى حتى نظرت إليه . فجعل النبي يصفه لأبي بكر وأبو بكر يقول - صدق أشهد أنك رسول الله - كلما وصف له منه شيئاً قال صدق أشهد أنك رسول الله ( قال ) حتى انتهى فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر : أنت يا أبي بكر الصديق . في يومئذ سماه الصديق <sup>(٢)</sup> .

وعندما رأى المصطفى أن صناديد الشرك قد أمعنوا في ظلم أصحابه وتباروا في التنكيل بهم وتمادوا في تعذيبهم بصورة لم تألها النفوس الأبية من قبل ، ورأى بعد إعمال النظر أنه في تلك الظروف غير قادر على أن يمنعهم لما هم فيه من بلاء وقسوة . فاختار لهم بلدا بعيداً لا يتعرض لهم فيها أحد يابذاء . فأشار عليهم أن يهاجروا إلى بلاد الحبشة وقال لهم « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فيها فرجاً ومحرجاً مما أنتم فيه » وكانت تلك الهجرة في شهر رجب من السنة الخامسة منبعثة المحمدية <sup>(٣)</sup> وقد خرج إليها أكثر من ثمانين رجلاً وامرأة . وقد تجهز الصديق للهجرة إليها ضمن تلك المجموعات التي كان على رأسها عثمان وجعفر والزبير وأبن مظعون إلا أن ابن الدغنة - سيد الأحابيش - أقنعه بالبقاء وهو في الطريق عند برك الغمار <sup>(٤)</sup> أخرج البخاري عن عائشة « أن ابن الدغنة <sup>(٥)</sup> لما لقيه قال

(١) ابن كثير السيرة التبرية ج ٢ ص ٩٦ . (٢) ابن حجر نفع الباري ج ٧ ص ١٨٨ .

(٣) ابن كثير السيرة ج ٢ ص ٨١ .

(٤) مكان يبعد عن مكة مسافة يوم في السير المعتاد على الإبل .

(٥) وقيل ابن الدغنة بنتة .

له : أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر : أخرجنى قومى وأذونى وضيقوا  
 علىّ فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى . قال ابن الدغنة : فان مثلك  
 يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك تُكسب المدوم وتصل الرحم وتحمل  
 الكلّ ، فأتى لك جار ، ارجع واعبد ربك بيلاك . فرجع وارتحل معه ابن  
 الدغنة . فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم : إن أبا بكر  
 لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجالاً يكسب المدوم ويصل الرحم  
 ويحمل الكل ويرى الضيف ويعين على نوائب الحق . لم تكذب قريش  
 بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة : من أبا بكر فليعبد ربى فى داره  
 فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فإننا نخشى أن  
 يفتن نساءنا وأبناءنا . فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر ، فلبت أبو بكر  
 بذلك يعبد ربى فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره . ثم بدا  
 لأبي بكر فابتلى مسجداً بفتاوى داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن<sup>(١)</sup> حتى  
 جاءت عليه نساء قريش وأبناؤهم - يتقدّفون عليه<sup>(٢)</sup> وهم يعجبون منه  
 وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً يكاء لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن .  
 وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إليه ابن الدغنة ، فقدم  
 عليهم ، فقالوا : إننا كنا أجزنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربى فى داره  
 فقد جاوز ذلك فابتلى مسجداً بفتاوى داره فأعلن بالصلة والقراءة فيه ، وإننا  
 قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فانهه ، فإن أحب أن يقتصر على أن  
 يعبد ربى فى داره فعل ، وإن أبي إلا أن يعلن ذلك فله أن يرد عليك ذمتك  
 فإننا قد كرهنا أن نخفرك<sup>(٣)</sup> ولسنا مقرّين لأبي بكر الاستعلان . قالت  
 عائشة : « فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال : قد علمتَ الذي عاهدتُ  
 لك عليه ؛ فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتي فإني لا أحب  
 أن تسمع العرب أنى أخلفت في رجل عقدت له . فقال أبو بكر : فإني  
 أردُ إليك جوارك وأرضي بجوار الله عز وجل<sup>(٤)</sup> . »

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩٦ .      (٢) أى يتزاهمون على باب ذلك المسجد .

(٣) أى تقضى العهد .      (٤) صحيح البخاري باب الهجرة ص ٥٥٢ .

وأخذ الصديق يواظب على صحبة المصطفى بعد أن رد جوار ابن الدغنة سيد الأحابيش<sup>(١)</sup> متحملاً كل ما يلقاء من عننت أو ظلم في إيمان الواثق بأن النصر مع الصبر وأن مع العسر يشرا . فحينما رفع عن كاهله هذا الجوار الذي بعد عنه عتو الجبارية واعتداءاتهم عادت قريش إلى سابق عهدها ، من ذلك أن سفيها من سفهاء قريش - كما قال ابن إسحق - لقيه وهو عائد إلى الكعبة فحثا على رأس أبي بكر التزاب ، فمرّ بأبي بكر العاص بن وائل<sup>(٢)</sup> فقال له أبو بكر : ألا ترى ما يضع هذا السفيه ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك ، فانصرف أبو بكر وهو يقول : إى رب إى رب ما أحلمك إى رب ما أحلمك ! يكررها ثلاثة<sup>(٣)</sup> .

يقول العلامة ابن حجر معقبًا على موقف أبي بكر في تلك الحقبة الغالية . وعدها من أعظم مناقبه لأن ابن الدغنة - سيد القاره لما رد إليه جواره بمكة وصفه بانتظير ما وصفت به خديجة النبي ﷺ لما بعث ، فتوارد فيهما على نعت واحد من غير أن يتواتأ على ذلك ، وهذا غاية في مدح الصديق : لأن صفات النبي ﷺ منذ نشأ كانت أكمل الصفات<sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

(١) الأحابيش هم بنو الحارث بن عبد مناف . والهون بن خزيمة بن مدركة . وينو المصطلق بن خزاعة تحالفوا جميعاً برباد اسمه الأحابيش في أسفل مكة ، فسموا الأحابيش .

(٢) وقيل الوليد بن المغيرة .

(٣) ابن كثير - البداية والنهاية ج ٣ ص ٩٥ .

(٤) الإصابة ج ٢ ص ٣٤٤ .

## الفصل الثاني الهجرة إلى المدينة

### • ترتيب أمر الهجرة :

ومن المواقف المشهودة للصديق ذلك الحديث العظيم الذي كلل بالهجرة الميمونة إلى يثرب المدينة مع الرسول ﷺ ، وذلك حينما أخذنما الخطير بصاحب الدعوة وقت أن اجتمع زعماء قريش للتخلص منه والقضاء على ما ينادي به ، وتأمروا على قتله في دار الندوة للتشاور في هذا الأمر الجلل . خاصة بعد ما عرفوا تحالفه مع أتباعه الجدد من بنى التجار وعبد الأشهل الذين أتوا إليه وعاقدوه على أن يمنعوه مما يعنون به أنفسهم وذرائهم <sup>(١)</sup> . أخرج الطبراني عن عروة ( قال ) : مكث رسول الله ﷺ بعد الحج من السنة الثانية عشر منبعثة بقية ذي الحجة والمحرم وصفر من السنة الثالثة عشر ، ثم أن مشركي قريش أجمعوا أمرهم ومكرهم حين ظنوا أن رسول الله ﷺ خارج وعلموا أن الله قد جعل بالمدينة مأوى ومنعة ، وبلغهم إسلام الأنصار ومن خرج إليهم من المهاجرين <sup>(٢)</sup> فأجمعوا أمرهم على أن يأخذوا رسول الله بعد ما يتيقنوا أنه لن يظل بمكة كما حدث عندما هاجر أصحابه إلى الحبشة من قبل . فأشار بعض المجتمعين بحبسه ، وبعضهم يقتله ، ومنهم من نادى بنيه ، وأخرون أيدوا قيده في الحديد . وانتهى الرأي الذي صادف إجماعهم إلى أن تأخذ كل قبيلة منها فتى جلدًا ، وأن يعطى كل واحد منهم سيناً صارماً فيضربوه ضربة رجل واحد ، وبذلك

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٩٩ .      (٢) الخزرجي خلاصة تذكرة الكمال من ٢٢١ .

يتفرق دمه على القبائل فلا يستطيع بنو عبد مناف أن يحاربوا العرب جميعاً<sup>(١)</sup> وقد فضح المولى اجتماع أهل الشرك وكشف مؤامرتهم «إذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلكون أو يخرجوك ويعکرون ويعکر الله والله خير الماكرين»<sup>(٢)</sup>.

ولما أخذ الخطير بالرسول لم ينكر إلا في الصديق أبي بكر فسعي إلى داره يشاوره في ذلك الأمر الخطير ويطلعه على ما أخبره الله به من تأمر قريش به ، ودخل عليه في وقت لم يكن له عادة أن يذهب إليه فيه ، فلقاءه الصديق<sup>(٣)</sup> . تقول عائشة : أتانا رسول الله بالهجرة<sup>(٤)</sup> فلما رأه أبو بكر قال : ما جاء بك يا رسول الله ؟ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر . فقال رسول الله : أخرج عنى من عندك . قال : يا رسول الله ، إنما هما ابنتاي وما ذلك فداك أبي وأمي ؟ قال إن الله قد أذن لي في الهجرة والخروج . فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله . فقال الرسول : الصحبة . فبكى أبو بكر من الفرح<sup>(٥)</sup> .

ومكث الرسول في منزل أبي بكر إلى الليل ، ويقى الصاحب الكريم يوالى حدشه في إعداد أمر الهجرة قال «يا نبى الله إن هاتين راحتين كنت أعددتهما لهذا ، فخذ بأبي أنت وأمي إدعاهما . فقال الرسول : بالشمن . وكان أبو بكر قد اشتراهما بثمانمائة درهم من نعيم بن قشير . فأخذ الرسول عليه السلام إدعاهما وهي القصواء<sup>(٦)</sup> .

وقد طلب الصديق من النبي أن يصبحه في تلك الرحلة وألح عليه في ذلك على الرغم من معرفته للمصاعب التي يمكن أن يلاقها قبل أن يصل

(١) تفاصيل اجتماع المشركين في دار الندوة في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٠ . (٣) ابن ظفر . أنساب نجاشياء الأبناء ص ٢٠٧ .

(٤) الهجرة : وقت الظهيرة . (٥) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٠١ .

(٦) ابن سعد - الطبقات ج ٢ ص ١٢٨ .

إلى أرض الهجرة . ولكنها التضحية والفداء في سبيل رفع شأن الدعوة التي آمن بها . يقول ابن كثير « أرسل أبو بكر مولاه عامر بن فهيرة أميناً مؤمناً حسن الإسلام . فاستأجر رجلاً من بنى عبد بن عدى يقال له ابن أريقط كان حليفاً لقريش في بنى سهم من بنى العاص بن وائل وكان مشركاً ليكون هادى الطريق . فخباً الليالي الثلاث . فلما مضى من صفر ثلاثة صفر سنة ثالث عشرة منبعثة والزمان حينئذ حرّ يشيد حر الصيف في يوم الاثنين . خرج الرسول وصحابه من فجوة لأبي بكر في ظهر بيته ومضيا حتى دخلا غار ثور . وقد ظلا به مدة ثلاثة ليالٍ حتى يخف الطلب عنهم . وكان عبد الله بن أبي بكر يأتيهما حين يمسى بكل خبر يكون في مكة ، ويريح عليهما عامر بن فهيرة الغنم في كل آيلة فيحليان ويذبحان ثم يسرح بكرة فيصبح في رعيان الناس ولا يفطن له حتى إذا هدأت عنهم الأصوات واتاها أن قد سكت عنهم . كما كانت أسماء ذات النطاقين تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما (١) .

وما يدل على فداء أبي بكر وحرصه على ذات المصطفى ﷺ ومحافظته إياها من أن يلحق بها سوء ، من ذلك ما يقوله الحسن البصري ( قال ) انتهى رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار ليلاً ، فدخل أبو بكر قبل رسول الله ينتظر فيه سبع أو حبة يقى رسول الله ﷺ بنفسه (٢) وتقول الرواية الأخرى في هذا « السبيل » : إن أبي بكر وجد بالغار أحجاراً متعددة فصار يقطع ثوبه ويسدها به ويقى جحر لم تبق له فضلة من الثوب فسد بعقبه (٣) ثم نام الرسول ووضع رأسه على حجر أبي بكر ، وفي خلال ذلك لدغت حبة أبي بكر فصار يتجلد حتى لا يوقظ النبي ﷺ وسقطت دموعه على وجه

(١) السيرة ج ٣ ص ١٠٤ ، وقد قيل إن السيدة أسماء قد نسيت أن تجعل لسفرتها عاصماً فشققت نطاقتها وعلقته به فلذلك سميت ذات النطاقين ، ابن هشام ج ١ ص ١٠٠ .  
(٢) شرح صحيح مسلم لشرف النروى ص ١٨٨ .  
(٣) بقدمة .

الرسول فاستيقظ فقال : مالك ؟ قال : لدغت . فتغل على موضع الألم فذهب ما يجده . فلما أصبح سأله عن ثوبه فأخبره الخبر فدعاه النبي وقال : اللهم أجعل أبي بكر معى فى درجتى فى الجنة . فنودى : إنه قد استجيب لك <sup>(١)</sup> .

ومع كل التدابير المحكمة فإن المعاندين من قريش قد وصلوا إلى فم الغار والرسول وصاحبه داخله ، وكانت قريش قد رصدت مائة ناقة لم يردهم النبي ، ولذلك ازدادت العيون والمراسد واشتعل الحماس والترقب في نفوس العديد من الانتهازيين الذين يريدون الفوز بهذه المكافأة . وكان هناك قائمان يرصدان أثر النبي وأبي بكر <sup>(٢)</sup> . فلما وصل أحدهما إلى الغار رأى نسج العنكبوت في مدخل الغار قال : هنا انقطع الأثر . وأقبل المشركون في آثار القائف يتبعونه حتى رأى أبو بكر أقدامهم فأدركه الخوف على رسول الله ﷺ وكان المصطفى قائماً يصلى ، وأبو بكر يرتفع . فقال أبو بكر للنبي : هؤلاء قومك يطلبونك أنا والله ما علىَّ من اثيل - حزن - ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبي ﷺ : يا أبي بكر لا تحف إن الله معنا <sup>(٣)</sup> . وعن أنس بن مالك قال إن أبي بكر حدثه قال : قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصر ما تحت قدميه . فقال : يا أبي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ فأنزل الله سكينته على أبي بكر . كما قال الله تعالى في قصة الهجرة في أبي بكر : « ثانى اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا . فأنزل الله سكينته عليه » <sup>(٤)</sup> .

(١) ابن حجر - فتح الباري ج ٥ ص ٣٧ .

(٢) الطائف هو الذي يتبع آثار الأقدام ليدل عليه .

(٣) فتح الباري ج ٥ ص ٣٨ - ٣٩ .

(٤) سورة التوبة آية ٤٠ ، ابن عبد البر - الاستيعاب ج ٢ ص ٢١٨ .

ثم خرجا من الغار تحوطهما عنابة الله بعد أن سكن عنهم الطلب ، وحضر إليهما الدليل بالراحلتين <sup>(١)</sup> . واصطحب أبو بكر مولاه ابن فهيرة أرده على راحلته ليخدمهما في الطريق . وكان أبو بكر رجلاً معروفاً في الناس ، فإذا لقيه لاق فيقول لأبي بكر : من هذا معك ؟ يقصدون النبي على الراحلة الأخرى - فيقول : هاد يهديني - يريد الهدى في الدين ويحسبه الآخر دليلاً <sup>(٢)</sup> .

وقد انتظمت آيات الفخار بصدر النضار المعلقة على جيد الصديق إبان رحلة الهجرة ضمن تاريخه الحافل بجلايل الأعمال . ويكتفي شهادة الثبت العادل « عمر بن الخطاب » الذي علم أثناء هيبته في خلائقه أن رجلاً يفضله على أبي بكر . فانبرى الفاروق يعطي للتاريخ درساً للوفاء وكلمة الحق . قال عمر فيما أخرجه البيقى **« والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، ولأيام من أبي بكر خير من آل عمر ، لقد خرج رسول الله ﷺ ليلة انطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن رسول الله ﷺ فقال : يا أبا بكر مالك تمشي ساعة خلفي وساعة بين يدي ؟ فقال يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك . فقال : يا أبا بكر لو كان شئ أحببتك أن يكون بك دوني ؟ قال نعم والذى يعثرك بالحق . فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانتك يا رسول الله حتى أستبرئ . فدخل فاستبرأ ثم قال : انزل يا رسول الله . فنزل . ( قال عمر ) : والذى نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر <sup>(٣)</sup> .**

وقد عرف المصطفى ﷺ لأبي بكر ما بذل في سبيل الله والمحافظة على حياته من تضحيات نادره فعبر عن إعجابه بصدق جهاد أبي بكر في

(١) خرج الراكب على رواحل ثلاث : النبي ﷺ على راحلته التي أصر على شرائها من أبي بكر قبل أن يعتليها وأبو بكر ومولاه عامر بن فهيره على الراحلة الشافية والدليل على راحلته ، وسار بهما الدليل على الساحل أو بالقرب منه من طريق غير مطرورة حتى يتعد عن أنظار قريش .

(٢) ابن كثير السيرة ج ٣ ص ١٠٦ .

(٣) البداية والنهاية ج ٣ ص ١٨٠ .

هذه العبارة النورانية التي قالها له وها في الغار : « مَنْثَ بَاشْتِنْ اللَّهْ ثَالِثُهُمَا » وأى شرف يدانى أن يكون الصديق ثالث اثنين قبله : أحدهما رب العالمين وثانيهما المبعوث رحمة للعالمين . فكان ذلك يضفى عليه خصائص التواضع وألوان السكينة اللتين هما من سيماء الصالحين . يروى أبو هريرة أن الرسول ﷺ قال : ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبو بكر ؛ فإن له يدا يكافئه الله عز وجل بها يوم القيمة . وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر . ولو كنت متخدنا خليلاً لاتخذت أبي بكر خليلاً وإن صاحبكم خليل الله (١) . وهو القائل : « رحم الله أبي بكر زوجي ابنته ، وحملنى على ناقته إلى دار الهجرة ، وأعتق بلاً من ماله » (٢) .

#### • أبو بكر في المدينة :

رأى الصديق تلك الحفاوة البالغة التي استقبل بها الأنصار رسول الله ﷺ ، إذ كان في مقدمتهم خسمائة من رجالهم ونفر من المهاجرين الذين سبقوهما إليها ، هذا غير الولائد والغلمان والأطفال ومن كن يتراعنها من النساء فوق أسطح المنازل . قال أبو بكر : خرج الناس حين قدمنا المدينة في الطرق وعلى البيوت والغلمان يقولون الله أكبر جاء رسول الله الله أكبر جاء محمد (٣) . وعم التكبير كل الأرجاء ووقف الرسول تحت ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنّه . وكان أكثرهم لم ير رسول الله قبل ذلك وزد حم الناس ما يميزون بينه وبين أبي بكر ، فطن لذلك أبي بكر فقام يظله بردائه ، فانكشف للناس الأمر (٤) . تقول روايات السير والسنن أن الرسول لما انتهى إلى « قباء » جلس عندها وأصحابه الأبرار حوله يغمرهم الفرح

(١) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٢) ابن الأثير أسد الغابة ج ٣ ص ٨٩ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٠٣ .

(٤) ابن سعد الطبقات الكبرى ج ٣ ص ١٧٥ .

والسرور حتى أن العواشق فوق البيوت يتراوينه ويقلن أيهم هو ؟ أيهم هو ؟  
 وقام أبو بكر يذكر جماعة الأنصار التي أتت تسلم بما عاهدوا النبي  
 وما أخذوه على أنفسهم من مواثيق عند العقبة <sup>(١)</sup> ثم نزل النبي ﷺ على  
 دار « كلثوم بن هدم » وكان شيخاً كبيراً فلبث في ضيافته ثم انتقل بعد  
 ذلك إلى دار أبي أيوب الأنصاري قبل بناء المسجد النبوي وملحقاته . كما  
 نزل أبو بكر على دار خارجة بن زيد بن زهير ، ولا استقر بأبي بكر المقام  
 واطمأن إلى أن المدينة أصبحت دار هجرة بعث من يأتي بأهل النبي  
 وأهل بيته . أخرج ابن عبد البر عن عائشة ( قالت ) لما هاجر رسول الله  
 ﷺ خلفنا وخلف بناته ، فلما استقر بعث زيد بن حارثة وبعث معه أبي رافع  
 - مولاه - وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم أخذها من أبي بكر يشتريان  
 بها ما يحتاجان إليه . وبعث أبو بكر معهما عبد الله بن أريقط ببعيرين  
 أو ثلاثة ، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر أن يحمل أمي أم رومان وأنا  
 وأختي أسماء امرأة الزبير ابن العوام ، فخرجا مصطحبين ، فلما انتهيا إلى  
 قديد <sup>(٢)</sup> اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة درهم ثلاثة أبعة ثم دخلوا  
 مكة جميعاً فصادفوا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة . فخرجا جميعاً .  
 وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة . وحمل زيد أم  
 أسماء فقدمنا المدينة فنزلت مع آل أبي بكر <sup>(٣)</sup> . ولما استقرت  
 الأوضاع وبدأت الأمور تتوضّح في الدولة الإسلامية الناشئة وشرب ،  
 أصبح أبو بكر الساعد الأمين للنبي ﷺ في جل الأمور وأخظرها ولذلك  
 خص النبي أبو بكر بمزايا لم يتمتع بها أحد سواه . فكان الرسول يفاوض  
 أصحابه ويشاورهم في مهماته العامة والخاصة . وبخصوص مع ذلك أبو بكر

(١) ابن حجر الإصابة ج ٢ ص ٣٤٦ .

(٢) موضع على الطريق بين المدينة ومكة .

(٣) الاستيعاب ج ٢ ص ٢٥٠ .

بخصوصيات أخرى . وكان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى وقيصر والتجاشي يسمون أبا بكر وزيره <sup>(١)</sup> .

وكان عمر بن الخطاب يقول « أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ <sup>(٢)</sup> يقول العقاد معلقاً : « وهذه حقيقة لو لم يؤمدها لسان المقال لأبيها ما يسمونه بلسان الحال . كان أبا بكر كان أzym الذاك للنبي وأعرفهم بسره وجهه وأقربهم إلى ثقته وحسن رأيه وإذا بلغ من شاب رجل أن يكون أحب الناس إلى النبي عليه السلام فهو أهل لحبه وأهل لثقته لا مراء لأن هذا الحب في النفوس العظيمة قرين الثقة والتقدير لا يخلو منها ولا ينفصل عنها . فمن استحق منها الحب الراجح فقد استحق عندها الثقة الراجحة في آن . فلم يكن حب النبي أبا بكر حب الرجل يجزي به من يحبه ويخلص له ويوليه الجميل من ذات نفسه وماليه ولا مزيد » <sup>(٣)</sup> .

وقد شهد أبو بكر مع الرسول ﷺ المشاهد كلها بدرأ وأحداً والخندق . وكانت راية النبي العظمى في غزوة تبوك ، وكانت سوداء ، دفعها الرسول إلى أبي بكر . وكان فيمن ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين ولى الناس <sup>(٤)</sup> ، وكان كذلك فيمن ثبت معه يوم حنين <sup>(٥)</sup> ، حين شدت الكتائب وظهرت الكمان من هوازن وثقيف في الوادي وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، مما كادت طلائع الجيش الإسلامي تنبع <sup>٦</sup> في مدخل وادي حنين حتى فوجئوا بالسهام تنبع <sup>٧</sup> عليهم بالظلم من كل فج مما يدرؤن أمن السماء تأتي أم الأرض . فضاقت عليهم الأرض بما رحبت ولم يجدوا لهم بدا من الارتداد ، فارتدوا ، وكان انتقامتهم مفاجئاً وعلى غير انتظام . وفرّ العدد

(١) ابن خلدون المقدمة ص ١٢ - ٣١ .

(٢) عبيرية الصديقين ص ١٦٠، ١٦١ .

(٣) ابن سعد الطبقات ج ٣ ص ١٧٦ .

(٤) تاريخ البغدادي ج ١ ص ١٥٣ .

الكثيف إلا أنه بقى مع الرسول نفر قليل من المهاجرين والأنصار وأهل بيته في مقدمتهم أبو بكر الذي تواكب حتى وصل إلى مكان النبي بعد أن ترك بعيره لما وجد أنه قد أعاده من تدافع الناس وأسرع رجلاً ومعه سيفه وترسه وجعل هو والعباس يأمران الناس بالثبات وحرب الأعداء فشدوا عليهم وهزموهم . فكان نصراً بعد هزيمة وفروا بعد بلاء كل ذلك شهده أبو بكر وعاش الموقف كله (١) أما في بدر فحين وافق الخبر رسول الله ﷺ بمسير قريش ليمنعوا غيرهم استشار الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر فقال وأحسن . وحينما وقف النبي ﷺ في العريش يدعوه ويستنجذبه وعده بالنصر لم يكن معه فيه غير أبي بكر الذي قال لنبيه : يا نبي الله بعض مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك . وقد أخذت الرسول ﷺ سنة من النوم وهو في العريش ثم اتبه فقال : أبشر يا أبي بكر ، أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرس يقوده على ثانياً البقيع (٢) .

أما موقف الصديق من أسرى بدر فهو الموقف الذي لا يخرج عن حدود المروءة والرحمة عسى الله أن يجعل منهم لهذا الدين أعوناً وبصراً . روى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود أنه لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ قال أبو بكر : يا رسول الله قومك وأهلك استيقهم لعل الله يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله أخرجوك وكذبتك قريراً واضرب أعناقهم . ( قال ) فدخل رسول الله ولم يرد عليهما شيئاً . فقال ناس : يأخذ يقول أبي بكر . وقال ناس : يأخذ يقول عمر . فخرج عليهم فقال : إن الله ليُلْيِنُ قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليُشَدَّ قلوب رجال فيه حتى تكون أشدًّا من الحجارة (٣) .

ثم ضرب الرسول لأبي بكر في رفقه ولبنيه المثل لميكائيل من الملائكة المكرمين ينزل معه الخير والنعمات ، ويضرب به في الرحمة مثالاً من الأنبياء

(١) راجع تاريخ البغدادي ج ١ ص ١٥٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٦٦ .

(٣) ابن حجر الإصابة ج ٢ ص ٣٧٦ .

بابراهيم عليه السلام حين قال لقومه « من تعنى فإنه مني ومن عصانى فإنك غفور رحيم »<sup>(١)</sup> . ويعيسى ابن مريم الذى قال لربه « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم »<sup>(٢)</sup> ، ومال النبي ﷺ إلى رأى الصديق لأن الرحمة من أمehات النضائل التي تحبها كل القلوب . فقبل منهم الفداء إلا أن الله جلت قدرته قد عاتب النبي لقبوله الفداء وأثره على الاختان فى قتل هذا العدو ( وهو رأى عمر ) الذى لا يصلحه سوى العنف والقسوة فقال تعالى : « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يشخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم \* لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاباً عظيم »<sup>(٣)</sup> يقول الرواة : إن الرسول بكى ويكتفى معه أبو بكر فور تلك المعاتبة . وفي ضميريهما أن المخلق غفور رحيم . وكان يخف عن الصديق وطأة الحزن ما كان يعلاً أذنيه من إشادة المصطفى ﷺ بواقفه والتي ينقلها له أصحابه . فعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال « ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبي يكر إلا أن يكون مني » ، وعن جابر قال : كنا عند النبي ﷺ فقال : « يطلع عليكم رجل لم يخلق الله بعده أحد أخير منه ولا أفضل منه شفاعة مثل شفاعة النبيين » مما يرحسنا حتى طبع أبو بكر فقام النبي ﷺ فقبله والتزمه . وعن أنس قال : « أرحم أمتى بأمتى أبو بكر »<sup>(٤)</sup> .

أما عن شجاعته وفروسيته وإسهاماته المادية في مجالات الحرب والنزال فنجد أن تلك الشخصية الهيئة اللينة التي يتسم بها الصديق تستحيل إلى قوة مائلة في الجلاد والصبر والثبات والعطاء يتجلى ذلك في مواقفه من أعداء الإسلام الذين كانت آمالهم منعقدة على القضاء عليه ، فأبرز ما نقلته

(١) سورة إبراهيم آية ٣٦ . (٢) سورة المائدة آية ١١٨ .

(٣) سورة الأنفال آية ٦٧ ، ٦٨ ، تفسير ابن كثير جه ٣ ص ٤٤ .

(٤) ابن حجر الإصابة ج ٢ ص ٣٧٧ .

الروايات في هذا السبيل يومي بدر وتبوك . ففي اليوم الأول حينما حمى الوطيس واستيق المهادون في الإتجاه على المشركين فانشغلوا عن الرسول ﷺ إلا الصديق فإنه كان أقرب المحاربين إلى جواره يقول على بن أبي طالب الذي نقل عنه أنه بينما كان يجالس جمأ من أصحابه في مسجد الكوفة يتذكرون مواقف الإسلام الأولى فسألهم : من أشجع الناس ؟ قالوا أنت يا أمير المؤمنين . قال على - الذي تربى على الفروسية ويعرف للناس أقدارهم : أما أنا ما بارزني أحد إلا انتصرت منه ولكن هو أبو بكر رضي الله عنه : إنما جعلنا لرسول الله عريشاً فقلنا من يكون مع رسول الله ﷺ ثلثا يهوى أحد من المشركين ؟ فوالله ما دنا منه أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ : لا يهوى إليه أحد إلا أهوى إليه ، فهذا أشجع الناس » (١) .

أما يوم تبوك فقد ضرب الرسول ﷺ عسكره على ثنية الوداع واستخلف أبو بكر يصلى بالناس ، وعقد الألوية والرايات فدفع لواءه إلى أبي بكر وأمر كل بطن من الأنصار وقبائل العرب أن يتخذوا لواء أو راية ، وخرج المسلمون في شهر رجب من السنة التاسعة قاصدين بلاد الشام لمحاربة الروم وكان ذلك في زمان عسرا من الناس وشدة من الحر وجدب . وقد قاسى الصحابة من هذه السفرة مشقة وعبئاً كبيراً فقد اجتمع فيها إلى أبعد من المشقة وشدة الحر جهد الحال وشح المئونة وقلة الظهر (٢) حتى سماها الله تعالى « ساعة العسرة » وقد حضر النبي ﷺ في هذا الوقت أهل الغنى على النفقه والحملان في سبيل الله . فحمل أبو بكر من المال وأحسن ، وكان أول من يادر بذلك ، حيث وضع أمام النبي ﷺ ماله كله : أربعة آلاف درهم (٣) . وأخرج أبو داود عن عمر بن الخطاب : أمرنا

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧١ . (٢) الدراب .

(٣) ابن سعد الطبقات ج ٢ ص ١٣ .

رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك مالاً عندي ، قلت : اليوم أسبق أبو بكر - إن سبقته يوماً - فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : مثله . وأتي أبو بكر بكل ما عنده فقال يا أبو بكر : ما أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله . فقلت : لا أسبقه في شيء أبداً ١١.

أما في صلح الحديبية الذي اعتبر فتحاً مبيناً حيث مهد لفتح الأعظم بمكة فقد رأى النبي ﷺ في المنام أنه دخل مكة وطاف بالبيت العتيق . فأخبر أصحابه بذلك ، وهو بالمدينة ، فاستبشروا به . وكان المهاجرون أشدهم حنيناً إلى مكة - الوطن الأصلي - وكانت الفرصة مواتية والظروف كلها مهيأة لهذه الزيارة ، ولعل قريشاً قد لانت عريكتها وخفت غلوانها في عداوة الإسلام . وأقام الرسول ﷺ وأصحابه بالحديبية بظاهر مكة وهو متمسك بالسلام ، إلا أن قريشاً قد غلبتها حمية الجاهلية وصممت على عدم دخول المسلمين مكة مهما كان الأمر . ولكن الرسول لم يكن راغباً فقط في قتال ، وكان حريصاً على أن يجعل رحلته هذه سلمية خالصة وأعلن أنه جاء حاجة لا غازياً وتبادل مع قريش الرسل وانتهى حبل المصالحة إلى عقد هدنة ٢٢ ليس هذا مكان سردها ، وملخصها الشديد أن يرجع الرسول مع أصحابه هذا العام ويبح في العام القادم إلا أن نصوص هذا العقد لم يرق للعديد من الصحابة وكانت مثار غضبهم في مقدمتهم عمر بن الخطاب . فقد ظنوا في إبراهيم بالصورة التي خرجت به إعطاء للدنية في دينهم ، أما أبو بكر فآمن وصدق بحكمة الرسول ﷺ وبعد نظره السياسي . تقول أسفار السير العتيرة : كره المسلمون هذا الصلح ويرموا به وداخلهم منه أمر عظيم حتى جعلوا يتساءلون في دهشة : أزد إلى الكفار من جاءنا مسلماً وترجع

(١) السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٤٠ .

(٢) تفاصيل الصلح تجدتها في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٥٥ - ٣٥٨ .

عن البيت وقد وعدنا أن نطوف به ؟ وحتى وثب عمر بن الخطاب إلى أبي بكر يقول له : يا أبا بكر أليس برسول الله ؟ قال : بلى . قال أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى . قال أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى . قال : فعلام تعطى الدينية في ديننا ؟ قال أبو بكر أيها الرجل إنه لرسول الله ولن نعصي رأيه ، فاستمسك بغيره <sup>(١)</sup> حتى تموت فوالله إنه لعلى الحق <sup>(٢)</sup> .

ولقد صدق فراسه المصطفى عليه السلام وتكاملت أركان حب الصديق وشدة إيمانه بوعد الله على الرغم مما دخل على الناس من أمر هذا الصلح من الكدر والحزن . وفي طريق العودة أنزل الله تعالى : « إنما فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا » <sup>(٣)</sup> قال عمر : أو فتح هو يا رسول الله ؟ قال نعم <sup>(٤)</sup> .

أخرج ابن عساكر قال « كان أبو بكر الصديق يقول : ما كان فتح أعظم في الإسلام من فتح الحدبية ، ولكن الناس يومئذ قصر رأسهم عما كان بين محمد ورب العباد : يعجلون والله لا يجعل كعجلة العباد حتى يبلغ الأمور ما أراد . لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب إلى رسول الله بدنته ورسول الله عليه السلام نحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه وانظر إلى سهيل يلتقط من شعره وأراه يضمه إلى عينيه ، وأذكر إباءه أن يقر يوم الحدبية بأن يكتب باسم الرحمن الرحيم ، ويأبى أن يكتب محمد رسول الله عليه السلام فحمدت الله الذي هداه للإسلام <sup>(٥)</sup> .

(١) استمسك بغيره : لا تحد عن طريقه .

(٢) ابن هشام السيرة النبوية ج ٣ ص ٣٦٥ ، ابن كثير السيرة ج ٣ ص ١٣٢ .

(٣) سورة الفتح آيات ١ - ٢٠ . (٤) ابن كثير المرجع السابق ص ١٣٢ .

(٥) علاء الدين المنقى كنز العمال ج ٥ ص ٢٨٦ .

وقد جعل الرسول ﷺ أبا بكر أميرا على الحج وذلك حينما أذن الحالى أن يتم المسلمين جميع فروض هذا الدين . لكن تتابع الوفود الآتية إلى يشرب لم تتح للرسول ﷺ أن يغادر المدينة إلى مكة لذلك أمر أبا بكر أن يحج بال المسلمين الراغبين في تلك الفريضة . فخرج الصديق - نائيا عن النبي - في ثلاثة من الصحابة سعوا وطافوا وألقوا المشاعر كلها آمنين ، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة . ونزلت « براءة » (\*) على رسول الله ﷺ فدعا على بن أبي طالب فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمن أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله عهد فهو له إلى مده ، فخرج علىٰ على ناقة رسول الله ﷺ العصباء حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، قال : أمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور . ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس بالحج حتى إذا كان يوم التحر قام على بن أبي طالب فأذن بالناس بالذى أمره به رسول الله ﷺ (١) .

### • بدائع من ثقافة الصديق :

زان الله أبا بكر بعقل راجح وذاكرة قوية وميبل إلى الاجتهاد الصائب . فكان فصيحاً بليغاً خطيباً مفوهاً حاضر البديهه قوى الحجة شديد التأثير . فكان أقرب الصحابة إلى النبي ﷺ وألزمهم له في نهاره وليله ، ومع استمرار تلك الملازمة إلا أن الصديق لم يرو من الأحاديث النبوية إلا نيفاً وأربعين حديثاً لم يتجاوزهم (٢) وقيل في تعليل ذلك أنه رضى الله عنه مات قبل تدوين الأحاديث (٣) وكان الصديق أول من لقب بشيخ الإسلام

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ . (\*) أي سورة التوبه .

(٢) التروى ، تهذيب الأسماء ، ج ٢ ص ١٨٣ = وقد أورد السيرطي ما يزيد عن مائة حديث من روایة أبی بکر فروی عنه عمر وعثمان وعلى وابن عوف وابن مسعود وحذيفة وابن عمر وابن الزبير وابن عمر وابن عباس والبراء وأبی هريرة وابن ثابت . تاريخ الخلفاء ص ٥٨ ، ٦٥ .

(٣) الشيباني . تيسير الوصول ص ٢١٢ .

حيث حول إليه الرسول الكثير من الفتاوى وبعض القضايا ، وعهد إليه في حياته الكثير مما يقوله القضاة . قال أبو إسحاق : إن أبا بكر أعلم الصحابة لأنهم كلهم وقفوا عن فهم الحكم في المسائل إلا هو . ثم ظهر لهم بباحثته لهم أن قوله هو الصواب فرجعوا إليه <sup>(١)</sup> وقد سئل ابن عمر : من كان يفتى الناس زمن رسول الله ﷺ ؟ فقال : أبو بكر وعمر ما أعلم غيرهما . وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمّهم غيره <sup>(٢)</sup> .

وكان الصديق أكمل الصحابة دراية وأتقهم ثقافة . تلك الثقافة التي ساعدته في الإمام بالحقائق التي سددت خطواته على طريق القضايا والفتاوي التي تصدّى لها . أخرج أبو القاسم « أن أبا بكر إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به . وإن لم يكن في الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ في ذلك الأمر سنة قضى بها ، فإن أعياه خرج يسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ فيقول أبو بكر الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا . فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم . فإن أجمع أمرهم على رأي قضى به . وكان عمر يفعل ذلك ، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة ، نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء . فإن وجد فيه قضاء قضى به <sup>(٣)</sup> . وعن معاذ بن جبل « أن النبي ﷺ لما أراد أن يسرح معاذ إلى اليمن استشار ناساً من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وأسيد بن حضير فتكلم القوم كل إنسان برأيه فقال : ما ترى يا معاذ ؟ قلت : أرى ما قال

(١) المحب الطبرى الرياض النضره جـ ٢ ص ١١٣ . (٢) المرجع السابق ص ١١٣ .

(٣) ابن عبد البر الاستيعاب جـ ٢ ص ٤٥٢ .

أبو بكر . فقال النبي ﷺ : إن الله يكره في السماء أن يُخطأ أبو بكر في الأرض » (١) .

إن منهاج الشريعة الإسلامية التي يُعدُّ الصديق أحد أعلامها الكبار كانت إحدى قواعدها المقررة « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أُوتى خيراً كثيراً » (٢) والمراد بالحكمة هنا العلم الذي هو أسمى النعم وأرفعها قدرًا . ومن هذا المنطلق عرف أبو بكر الكثير من مسائل الأحساب والأنساب وتعبير الرؤيا « فلم يختلف عليه بأنه كان أعلم الناس بأنساب العرب وكان جبیر بن مطعم قد أخذ فهم تسلسل النسب العربي من أبي بكر الذي كان أيضاً غایة في علم تعبير الرؤيا . وقد كان معتبر الرؤيا في زمان النبي ﷺ . وقد قال محمد بن سيرين (٣) : إن أبي بكر أعتبر هذه الأمة بعد النبي ﷺ » (٤) .

أما عن طلاقة اللسان وفصاحة التعبير وإدراك كنه الأسرار الكامنة في تلك اللغة التي ملك زمامها ، فعُدَّ كلام هذا الصحابي الجليل أبي بكر من أرجح ما قيل في موازين الكلام سواء في ذلك موازين البلاغة أو موازين الخلق والحكمة « وله من جوامع الكلم أمثلة نادرة تدل الواحدة على ملكته صاحبها فيغنى القليل منها عن الكثير . فحسبيك أن تعلم معدن القول من نفسه وفكره حين تسمع كلمة قوله : إحرص على الموت توهب لك الحياة . أو قوله : « أصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة » أو قوله . « خير الخصلتين أبغضهما إليك » أو قوله « الصبر نصف الإيمان واليقين بالإيمان كله . أو قوله : « إذا فاتك خبر فأدركه وإن أدركك فاسبقه »

(١) السيوطي مرجع سابق ص ٤٤٥ . (٢) سورة البقرة آية ٣٦٨ .

(٣) محمد بن سيرين كان مقدماً في هذا العلم باتفاق .

(٤) ابن سعد للطبقات ج ٢ ص ١٧٤ .

أو قوله « لا تخزن عن المشير خبرك فيؤتى من قبل نفسك » أو قوله « ليس مع العزا مصيبة ». فهى وما أثر عنه من أمثالها كلمات تتسم بالقصد والسداد كما تتسم بالبلاغة وحسن التعبير وتتبين عن المعدن الذى نجحت منه فتغنى عن علامات التشريف التى يستكثرون منها المستكثرون لأن هذا الفهم الأصيل هو اللباب المقصود من التشريف <sup>(١)</sup> .

### • مرض الرسول :

في السنة العاشرة من الهجرة حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وحج أبو بكر معد . ولم يطل مقام النبي بالمدينة بعد عودته من الحج حتى أمر بتجهيز جيش على رأسه أسامة بن زيد ليذهب به إلى الشام جعل فيه المهاجرين الأولين فيهم أبو بكر وعمر . وعسكر هذا الجيش الكبير في الجرف ، وقد علموا أن رسول الله ﷺ قد مرض فتوقف زحفهم لأن المرض اشتد بالنبي شدة أثارت مخاوف الناس عليه <sup>(٢)</sup> ولما ثقل المرض بالنبي ﷺ أمر أن يصلى أبو بكر بالناس في مسجده وذلك أنه <sup>ﷺ</sup> رقى المتبر يوما من أواخر صفر سنة ١١ هـ <sup>(٣)</sup> « وخطب فيهم في أمر ما تحدثوا به من الطعن في إمارة أسامة بن زيد على الجيش واستغفر الله وأكثر من الدعا لأصحاب أحد ثم قال « أن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا والآخرة وبين ما عنده فاختار ما عند الله » ففهمها أبو بكر وعلم أن رسول الله إنما يريد نفسه وأن منيته قد حانت ، فبكى وقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال على رسلك يا أبي بكر » ثم قال « انظروا هذه الأبواب اللافظة في المسجد فسدوها إلا بيت أبي بكر فإني لا أعلم أحدا كان أفضل في الصحبة يدا منه » ثم قال : « وإنى لو كنت متخدنا من العباد خليلا لاتخذت أبي بكر

(١) العقاد عقيدة الصديق ص ١٧١ .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٢٢ .

(٣) المرافق مايو سنة ٦٣٢ م .

ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيتنا عنده » (١) وبعد أن أتم المصطفى الأكرم ﷺ خطبته قصد بيت السيدة عائشة وعندما حان وقت صلاة العشاء حاول العودة إلى المسجد فلم يستطع وعندما دعاه بلال إلى الصلاة قال « مروا أبي يكر فليصل بالناس » فقالت عائشة « إن أبي يكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن ». فقال رسول الله « مروه فليصل بالناس » ( قالت ) فعدت بثيل قوله وما حملني على مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ، وإن كنت أرى أن لن يقوم أحد مقامه ، إلا تشائم الناس ، فأردت أن يعدل عن ذلك رسول الله ﷺ ، إلا أنه أجابني بقوله « إنك صواحبات يوسف مروه فليصل بالناس » فقام أبو يكر وصل بالناس واستمر على ذلك (٢) . وفي ذات يوم أذن بلال فلم يتقدم أبو يكر للصلاة لأنه كان غائباً ، فقال عبد الله بن زمعة الأسود لعمر : قم فصل بالناس . فقام عمر فلما كبر سمع رسول الله صوته فقال : أين أبو يكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ! فبعث إلى أبي يكر ، فجاءه بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فكان يصل بالناس (٣) ثم إن رسول الله ﷺ وجد خفته به بعد أن ثقلت عليه أوجاع المرض فخرج بين رجلين من خاصة بيته أحدهما الفضل بن عباس والثاني على بن أبي طالب لصلاة الظهر - يوم الإثنين من أوائل ربيع الأول سنة ١١ هـ وبينما كان أبو يكر يصل بالناس إذ يرسو الله ﷺ يكشف ستر حجرته وينظر إليهم ومعه صاحبيه فعندما رأى الرسول ﷺ ظنه يريد الخروج إلى الصلاة فأخرج الناس لرسول الله الطريق فادرك أبو يكر أن الناس لم

(١) ابن القيم زاد المعاد ج ١ ص ٩٢ ، وابن هشام ج ٤ ص ٣٢٣

(٢) زاد المعاد ص ٩٣ ، ٩٤

(٣) كان أبو يكر يصل بالناس طوال مرض النبي حتى أكمل سبعة عشر صلاة ، سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٢٤

يصنعوا ذلك إلا لرسول الله فآخر عن مصلاه . وهم المسلمون أن يفتتوا في صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ فأشار إليهم أن أتوا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخي الستر واستبشر الناس خيراً<sup>(١)</sup> . وفي رواية إنها صلاة الصبح وإن أبي بكر لما رأه مستنداً على صاحبيه ذهب ليتأخر فأواماً إليه الرسول ﷺ إلا يتأخر وأمرهما أن يجلساه إلى جنبه ، فجعل أبو بكر يصلى قائماً ورسول الله ﷺ يصلى قاعداً عن يمين أبي بكر<sup>(٢)</sup> .

### • أبو بكر بعد علمه بوفاة الرسول :

وبعد حجّة الوداع بثلاثة شهور في اليوم الذي كشف ستراً حجرة عائشة وهو ينظر إلى أصحابه وهم يصلون كأن وجهه ورقة مصحف وتبسم مطمئناً وأرخي ستراً ثم ما هي إلا لحظات حتى تغير حاله عليه الصلاة والسلام ، وأخذ يوصي من كان معه بالحجرة . يقول على : أوصى رسول الله ﷺ بالصلة والزكاة وما ملكت أيمانكم ثم كانت آخر كلماته « إلى الرفيق الأعلى ، إلى الرفيق الأعلى »<sup>(٣)</sup> ثم صعدت روحه الظاهرة إلى بارئها راضية مرضية في يوم الإثنين الثالث عشر من ربيع الأول من السنة الحادية عشر من الهجرة<sup>(٤)</sup> . وقد وقع خبر الوفاة على المخلصين من الصحابة وقعوا شديداً والكثير منهم غير مصدق أن الرسول ﷺ يفارق دنيا الناس حيث غابت أحلامهم من هول ما سمعوه فبكى عمر وقال أثناه ذلك « زعموا أن محمداً قد مات وإنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ، والله

(١) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٢ ص ٢٥١

(٢) فتح الباري لأبي حجر باب مرض النبي ص ٣٠٨

(٣) ابن القيم روضة المعين ص ٢٠٣

(٤) المرجع السابق ص ٤٠٤

ليرجعن رسول الله ﷺ (١) وعلم أبو بكر بخبر الوفاة فحضر على عجل (٢)  
فور علمه بوفاة الرسول ﷺ ودلل إلى حجرته فرأه مسجى في فراشه  
فكشف عن وجهه الشريف ثم أقبل عليه فقبله ثم قال : يا أبي أنت وأمي  
يا رسول الله طبت حيَا وطبت ميتا ولو لا أنك نهيت عن البكاء لأنفينا  
عليك الشتون أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك  
بعدها موته أبداً . اذكروا عند ربك ولتكن من بالك ، فلولا ما خللت من  
السکينة لم تقم لما خللت من الوحشة » (٣) ثم خرج أبو بكر إلى الجمع  
الحاشد الذي كان يقف بالباب فأيقظهم أبو بكر من غفلتهم وردهم إلى  
أحلامهم وأرشدهم إلى الصواب .. وخطبهم بجامع الكلم ونصل الخطاب فلما  
رأى الناس أبا بكر أقبلوا عليه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أيها  
الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله  
حي لا يموت ثم تلا هذه الآية « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبيله الرسل  
أفتن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر  
الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين » (٤) وما أن انتهى حديث أبي بكر حتى  
أفاق المسلمون بما غشياهم وفي مقدمتهم عمر وعلموا أنها إرادة الله (٥)  
يقول عمر « والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فغفرت (٦) حتى

(١) فتح الباري ص ٣٠٩

(٢) كان الصديق قد استأذن النبي للذهاب إلى أهل زوجته حبيبة بنت خارجه بمنطقة السنع من ضواحي المدينة بعد أن قال له يا نبي الله إنني إراك قد أصبحت بنعم الله وفضل كما تحب . فاذن له النبي ﷺ بالذهاب .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣١ ، ٣٣٠

(٤) سورة آل عمران آية ١٤٤

(٥) ابن القيم روضة المحبين ص ٢٠٤

(٦) غفرت : تحرير ودهشت .

وَقَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلْنِي رَجْلَاً وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ مَاتَ<sup>(١)</sup>  
وَبَعْدَ أَنْ أَفَاقَ مِنْ غَفْوَتِهِ قَالَ مَعْقِبًا عَلَى تِلْكَ الْخَطْبَةِ الْمَوْجَزَةِ لِأَبِي بَكْرِ التَّى  
يَحْمِلُ مَضْمُونَهَا الْعَزْمَ وَالْحَكْمَةَ : « وَاللَّهِ لَظِنَتْ إِنَّهُ لَيْسُ فِي الْقُرْآنِ أَيْةٌ  
كَهُذِهِ حَتَّى ذُكِرْنِيهَا أَبُو بَكْرٍ »<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٤

(٢) فتح البارى ص ٣١١

## الفصل الثالث

### خلافة الصديق ومنهجه السياسي

وعندما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى واجهت المسلمين مشكلة «نظام الحكم» فمن أحق بهذه الخلافة من بعده؟ وتطور الموقف إلى نزاع بين المهاجرين والأنصار في المدينة على من يتولى حكم المسلمين متهمًا على أساس نظام يتمشى مع روح القرآن والسنّة ويطابق تعاليم الإسلام التي تعصّم من الفرقة والانقسام وحتى لا يجد الشيطان سبيلاً إلى تفريق كلمتهم وتزوير شملهم ولا تلعب الأهواء بقلوبيهم . وليفارق المصطفى ﷺ هذه الدنيا وكلمة المسلمين واحدة وشملهم منتظم وعليهم أمير يتولى أمورهم .<sup>(١)</sup> ولقد أيقن المسلمون بموت رسول الله ﷺ وكان أول أمر تحدثوا فيه هو من يخلف رسول الله ﷺ في أمرهم لقد كان نبياً ورسولاً من الله لعباده وقد انتهت النبوة والرسالة فهو خاتم النبيين والمرسلين . وكان حاكماً ينفذ أحكام الله ، فمن عساه يصلح لأن يخلفه في هذه المهمة؟ هذا ما اختلفت حوله الآراء<sup>(٢)</sup> والحقيقة الغالبة أن الرسول ﷺ لم يوص لأحد من أصحابه بالتعيين لأن يخلفه وإنما ترك الأمر شورى بينهم وسبيل ذلك :

- (١) أنه ترك مجموعة متماسكة صالحة قوية تصلح لأن تخلفه .
- (٢) أنهم إخوانه وأبناءه - فلذات أكباده - وهم جمِيعاً يتمتعون بتلك المنزلة السامية في نفسه ﷺ وترك لهم تقدير ما يختاره العامة أميراً لهم .
- (٣) لم يحدد لهم شخصية محددة لأن معلم البشرية ﷺ يُبيّن للجميع أن

---

(١) الإسلام عقيدة وشريعة الشيخ محمود شلتوت ص ١١٠

(٢) نظرية الإسلام وعديه في السياسة - أبو الأعلى المودودي ص ٨٧

لكل عصر رجاله فمن يصلح اليوم ربما لا يصلح غدا حتى يمكن محاسبته عند التجاوز والتغريط بعيداً عن مدارك القوة المكتسبة بالتفويض والقذفية والنفوذ والسلطان ، فإن ذلك لا يتمشى مطلقاً مع الروح الإسلامية في السلوك السياسي الراقي .

(٤) لقد كان كل أصحاب النبي ﷺ على جانب عظيم من التقوى والصلاح ، وكل منهم لا يرى في نفسه القدرة على القيام بأعباء هذا الأمر بحيث يمكن أن يلأ ذلك المنصب الذي خلا بهم النبي الكريم وكان عليه من الصفات التي لا يمكن أن تجتمع في رجل على وجه البساطة (١) وقد كان ذلك راجعا إلى قلة الجماعات ويساطة العيش وضآللة تكاليف الحياة فكانت الفطرة السليمة وال فكرة السهلة هما المواقفين لبيئة العرب وطبيعة البداؤة . وقد وضع الرسول ﷺ شعاره القديم « إنكم تختصرون إلى » ولعل بعضكم أحن بحجته من بعض ، فمن قضيتك له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار ، فلا يأخذها » (٢) .

#### • مؤتمر السقيفة :

في هذه اللحظات الحزينة التي تلت وفاة النبي ﷺ التفت المهاجرون جميراً حول أبي بكر وعمر . ولما وصل الخبر إلى الأنصار اجتمعوا في سقيفةهم (٣) وأرادوا أن يبايعوا سعد بن عبادة ، وكاد الأمر يتم للأنصار

(١) تلك المقاالت مستقلة من العديد من كتب النظم الإسلامية في مقدمتها « من توجيهات الإسلام ، الإسلام عقبة وشريعة للمرحوم محمود شلتوت ، منهاج الحكم في الإسلام محمد أسد . نظرية الإسلام ، مبادئ الإسلام لأبي الأعلى المودودي ، النظريات السياسية الإسلامية ضياء الدين الرئيس .

(٢) أبو الأعلى المودودي ، مبادئ الإسلام ص ٥٦ - ٥٧

(٣) سقيفة بنى ساعدة وهي ظلة كانت بالقرب من دار سعد بن عبادة سيد المخرج يجتمعون فيها للتشاور في جل أمورهم .

الذين اعتمدوا على أنهم الذين نصروا الرسول وعملوا على تدعيم الدعوة الإسلامية والإخلاص لها إذ لو لا احتضانهم إليها وحمايتها لرجالها لما كتب لها النجاح والرفعة ، وزادهم أملًا أن الرسول بعد فتح مكة رجع معهم إلى المدينة - ولم يبق في قوله - وفي ذلك إشارة ضمنية لأن تكون الرياسة فيهم <sup>(١)</sup> . على أن الأوس الذين كانوا دائما على خلاف مع الخزرج لم تعط كلمتها في هذا الأمر لأنها فقدت سيدها سعد بن معاذ الذي توفي عقب غزوة الأحزاب ، بل رأت أن تأمير ابن عبادة - زعيم الخزرج يؤدى إلى إعلاء شأن منافسيهم واستعادة سلطانهم القديم . أضف إلى ذلك أن الرجل لم يملك الشخصية المؤثرة القوية التي تزكيه لأن يخلف الرسول <sup>عليه</sup> في زعامة دولة كبيرة هي دولة الإسلام <sup>(٢)</sup> وما وصل خبر اجتماع الأنصار في السقيفة إلى كبار الصحابة من المهاجرين الذين كان بعضهم إذ ذاك بالمسجد يتتحدثون عن وفاة الرسول <sup>عليه</sup> بينما كان البعض الآخر من أقربائه منشغلًا بأمر تجهيزه ، وقد أغلقوا دونه الباب . سارع ثلاثة من كبارهم وهو أبو بكر وعمر - لتدارك الأمر قبل فواته - وانضم إليهما في الطريق أبو عبيدة بن الجراح ، وفاجأ ثلاثتهم المجتمعين في السقيفة فوجدوا القوم قد تجمعوا وبينهم سعد بن عبادة ممزمل يشكو المرض <sup>ي</sup> فسلموا وجلسوا بينهم <sup>(٣)</sup> وقيل إن كبار المهاجرين لم يأخذوا بالرأي الذي أسدوا إليهم البعض بأن يجتمعوا وحدهم ويقرروا أمرهم بعيداً عن الأنصار . روى الشيخان في حديث طويل « بأن المهاجرين اجتمعوا إلى أبي بكر فقال عمر : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار : فانطلقنا نؤمهم حتى »

(١) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٤ ص ١١٢ ترجمة بشير بن سعد .

(٢) محمد أسد منهاج الحكم في الإسلام ص ٥٤

(٣) ابن عبد البر - الاستيعاب ج ٢ ص ٢٥٥

لقينا رجالن صالحان<sup>(١)</sup> ذكرى لنا الذى صنع القوم ، ف قالا : أين ت يريدون يا عشر المهاجرين ؟ قلت نريد إخواننا من الأنصار ، ف قالا عنكم ألا تقربوهم واقضوا أمركم يا عشر المهاجرين . ف قلت والله لنأتينهم ، ف انطلقا حتى جتناهم في سقيفة بنى ساعدة<sup>(٢)</sup> .

ف لما جلسوا دارت بين الفريقين مناقشات عنيفة في مسألة الخلافة وأحقية كل جانب فيها « فقام خطيب من الأنصار فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يا عشر المهاجرين رهط منا وقد دفت دافة من قومكم<sup>(٣)</sup> وإذا هم يريدون أن يجتازونا من أصلنا ويغصبونا الأمر<sup>(٤)</sup> .

وقد أراد عمر أن يقول كلمته نيابة عن المهاجرين الثلاثة إلا أن أبي بكر منعه مخافة شدته وقال : على رسلك يا عمر . وقام بينهم أبو بكر خطيباً فقال موجهاً كلامه للأنصار « أيها الناس نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً وأكرمنهم أحساباً وأوسطهم داراً وأحسنتهم وجوهاً وأكثرهم ولادة في العرب وأمسهم رحمة برسول الله . أسلمنا قبلكم وقدمنا عليكم في القرآن فقال تبارك وتعالى ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان ﴾ فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار إخواننا في الدين وشركاؤنا في الدين وأنصارنا على العدو ، أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم أهل له وأنتم

(١) الرجال . أحدهما عمرو بن ساعدة وقد نزلت فيه آية من القرآن ﴿ فيه رجال يحبون أن يتظاهروا والله يحب المطهرين ﴾ (سورة التوبة آية ١٠٨) ، والثانية معن بن عدي الذي سمع الناس يبيكون رسول الله ﷺ ويقولون : والله لودتنا أنا متمنا قبله إنا نخشى أن نفق بعده . فقال معن : والله ما أحب أمني مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً » .

(٢) المحب الطبرى الرياض النصرة ص ٣٠١

(٣) الدافة : الجماعة تأوى من البداية إلى الحاضرة .

(٤) ابن سعد الطبقات ج ٣ ص ١٦٥ ، ابن هشام ج ٤ ص ٣٣٩

أجدر بالثناء من جميع أهل الأرض . فاما العرب فلن تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش فمتنا الأمراء ومنكم الوزراء . وقد قال الرسول « إنما الأئمة من قريش » وإن هذا الأمر إن تولته الأوس ثارت أحقاد الخزرج وإن تولته الخزرج غضبت الأوس ، لا تفتاتون بمشورة ولا تقضى الأمور دونكم فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضلهم الله به »<sup>(١)</sup> ثم قام الحباب بن المنذر فقال : « يا معاشر الأنصار أملكونا على أيديكم فإذا الناس في فيئكم وظلالكم وأنتم أهل العز والثروة وأولو العدد والتتجدة ، وإنما ينظر الناس ما تصنعون ، فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وتقطعوا أمركم وأنتم أهل الإيمان واليكم كانت الهجرة ولا دانت العرب للإسلام إلا بأسيافكم وإن أبي القوم فمتنا أمير ومنهم أمير »<sup>(٢)</sup> فقام عمر بن الخطاب فقال : « هيهات لا يجتمع إثنان في قرن »<sup>(٣)</sup> إنه والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم ولكن العرب لا تقنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم ونبي أمرهم ومنهم ولنا بذلك على من أبي من العرب الحاجة الظاهرة والسلطان المبين ، من ذا ينزاعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشائرته إلا مدل بباطل ومتجانف لإثم أو متورط في هلكة »<sup>(٤)</sup> وعندما احتمد الجدل الكلامي بين عمر وجماعة من الأنصار أراد الأمين أبو عبيدة أن يخفف من غلواء النقاش ويستميل بنبراته الهدائة إخوانه الأنصار قائلًا لهم « يا معاشر الأنصار كنتم أول من ناصر وأزّر فلا تكونوا أول من يبدل وغيره » وقد أثرت هذه العبارة المقتضبة في رجل من الأنصار « بشير بن سعد » فقام يقول رأيه « إنا والله وإن كنا أولى فصيلة في جهاد المشركين وما نعنة في هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا بالكдеж

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٠

(٢) ابن جرير الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ١٠٢

(٣) لا يجتمع سيفان في غمٍ واحد .

(٤)

الطبرى المربع السابق ص ١٠٣

لأنفسنا فما ينبغي لنا أن نستطيع على الناس بذلك ولا ينبغي من الدنيا عرض فإن الله ولى النعمة علينا بذلك ، إلا أن محمداً ﷺ من قريش وقومه أحق به وأولى ، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم في هذا الأمر أبداً فاتقوا الله ولا تخالفوه ولا تنازعوه »<sup>(١)</sup> وقد مسست كلمة بشير قلوب العديد من الأنصار واطمأنوا إلى أن شبح الخلاف سوف يزول بعد أن خفتت الأصوات وبعد اللقط . وقد سهل ذلك الأمر أن تجتمع الكلمة ويلم الشعث . ساعتها قام أبو بكر الصديق فحمد الله وأثنى عليه ثم دعاهم إلى الجماعة ونهاهم عن الفرقة وقال : إنني ناصح لكم في أحد هذين الرجلين أبي عبيدة ابن الجراح أو عمر ، فبأياعوا من شتم منهما ، إلا أن عمراً قال بصوت جهوري : « ابسط يدك يا أبي بكر » فبسط أبو بكر يده فأياعه عمر وأبو عبيدة . قال عمر بعد أن أعلن بيعته « معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين أظهرنا أنت أحينا بهذا الأمر ، ألم يأمر النبي أن تصلي بالناس أنت يا أبي بكر إنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين في الغار فأنت خليفته ونحن نبأيك فنبأيك خير من أحب رسول الله ﷺ منا جميعاً » فأقبل جمع من كان في السقيفة فأقبلوا على أبي بكر قائلين له : إذا كان الرسول قد ارتضاك لدينا أفلأ نرضاك لدينا ! ثم أقبلوا عليه فأياعونه<sup>(٢)</sup> . ثم بايع زيد بن ثابت وبشير بن سعد وأسید بن حضير . فعن سعيد الخدرى قال « وكان من خطباء الأنصار يوم السقيفة زيد بن ثابت الذى قال : إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وإن الإمام يكون من المهاجرين ، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ ». وقال أسید بن حضير من الأوس « قوموا فأياعوا أبي بكر والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لازالت عليكم بذلك الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً » فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال جزاكم الله يا عشر الأنصار خيراً وثبت قائلكم » ثم قال

<sup>(١)</sup> ابن عبد البر الاستيعاب ج ٤ ص ١٦٣

<sup>(٢)</sup> ابن سعد طبقات ج ٣ ص ١٦٧

« أما والله لو فعلتم غير ذلك لما حصلناكم » ثم أخذ زيد بن ثابت بيده ثجيبي بكر فقال لهذا صاحبكم فبایعوه ، ثم جاء أسيد ويشير ، ثم بايعه الأنصار بعد المهاجرين <sup>(١)</sup> . وأخرج ابن سعد أن أبي بكر قال للأنصار إن هذا الأمر بيتنا وبينكم نصفين كعد الأيلمة <sup>(٢)</sup> . ولما اجتمع الناس على أبي بكر قسم بين الناس قسماً ، فبعث إلى عجوز من بنى عدى بن النجار قسمها مع زيد ابن ثابت . فقالت : ما هذا ؟ قال قسم قسمه أبو بكر للنساء فقالت : أراشونى عن دينى ؟ فقالوا : لا . فقالت أتخافون أن أدع ما أنا عليه ؟ فقالوا : لا ، فقالت : لا والله لا أخذ منها شيئاً أبداً . فرجع زيد إلى أبي بكر فأخبره بما قالت . فقال أبو بكر : ونحن لا نأخذ مما أعطيناها شيئاً أبداً <sup>(٣)</sup> . وتکاثر الناس على البيعة التي حصلت بين ثلاثة من المهاجرين وبين بعض زعماء الأوس والخزرج الذين شذ عن إجماعهم سعد بن عبادة الذي خرج من السقيفة <sup>(٤)</sup> مهدداً قائلاً « أما والله حتى أرميكم بما في کنانتي من نبل وأخضب سنان رمحى وأضربيكم بسيفي ما ملكته يدي وأفائلكم بأهل بيتي ومن أطاعنى من قومى فلن أبایع أبداً » فلما وصل الخبر إلى عمر قال لأبي بكر « لا تدعه حتى يبایع » إلا أن بشير بن سعد قال : « إنه لع وآبى وليس بمبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته ، فاتركوه ؛ فليس تركه بضائركم إنما هو رجل واحد » . ورأى أبو بكر في کلام بشير أنه الصواب وترك سعداً <sup>(٥)</sup> .

(١) المتنى كنز العمال ج ٥ ص ٢٩ . بل يذهب ابن جرير الطبرى بأن بشير بن سعد قد سبق عمرأ وأبا عبيدة للبيعة لأبي بكر » فناداه الحباب بن المنذر : يا بشير بن سعد عائق ما اضطرك إلى ما صنعت ؟ أنتفست على ابن عمك الإمارة ؟ فقال بشير : لا والله ولكن كرهت أن أنازع قوماً حقاً جعله الله لهم » تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٤

(٢) الأيلمة : يعني الخروصة .

(٣) كنز العمال ج ٥ ص ٢٩١

(٤) وهو مريض .

(٥) ابن سعد الطبقات ج ٣ ص ١٦٨

## ● بيعة عامة :

وفي الغد من هذا اليوم جلس أبو بكر على المنبر وتقدم عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « إنى قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت ولا وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهده إلى رسول الله ﷺ ولكنني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا ويبقى ليكون آخرنا . وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ فإن اعتصتم به هداكما لم كان هداء له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ ثانى اثنين إذ هما في النار . فقوموا فبايعوا » (١) وبعد أن ألقى عمر كلمته تزامن القوم الذين حضروا إلى المسجد للبيعة بعد بيعة السقيفة التي سلفت على العِمَل بكتاب الله وسنة نبيه . وقامت البيعة مصافحة بالأيدي كما كان يفعل المتباعيان عند العرب (٢) . ثم قام أبو بكر فألقى خطبته الجامحة المانعة التي رسمت منهاج حكمه . وقد التزم بعضونها في سياسته ولم يحد عنها قلامرة ظفر ولا جاوز تلك الشريعة بحال . قال خليفة رسول الله بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسيئت فقوموني ، الصدق أمانة والكذب خيانة ، والضعف فيكم قوى عندى حتى أردد إليك حقه إن شاء الله والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذلة ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عهم الله بالباء . أطيعونني ما أطع الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا إلى صلاتكم برحمحكم الله » (٣) .

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٥٨

(٢) أبو الأعلى المودودي مبادئ الإسلام ص ٣٤٠

(٣) الطبرى تاريخ الأمم ج ٣ ص ٢٤٠

وهكذا حلت مسألة خلافة النبي ﷺ بسرعة متوقعة وفي العام نفسه الذي توفي فيه رسول هذه الأمة ﷺ سنة ١١ هـ سنة ٦٣٣ م . وينسب الفضل في رأب الصدع إلى عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح<sup>(١)</sup> اللذين عملا على وحدة الكلمة ووضعا حداً سديداً لاختلاف الآراء وتشعب الأفكار . والجدير بالذكر أن الحوار الذي كان دائراً تحت السقيفة بشأن الحالة المدنية التي كان المصطفى ﷺ يطلع بها في حياته ، لأن الأحوال الدينية والعقدية لم تكن مثار جدل مطلقاً لأن المهاجرين والأنصار يعلمون يقيناً أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، فالمناقشات سياسية تتناول أمور إدارة الدولة وحكمها ولا خلاف جوهري في المجال على الرغم أن الموضوع ظل معلقاً على من يلى أمر دولة الإسلام ومن يخلف نبيها مدنياً لا دينياً وانتهى بانتخاب أبي بكر خليفة لهم واقتتنع الأنصار بأحقيته<sup>(٢)</sup> وهم فقط أرادوا بعد موت نبيهم الذي أحاطوه بالحب والمواثيق أن يتولوا شيئاً من سلطانه وهم أعرف الناس بفضل أبي بكر وإنه أصلح رجل يواجه المواقف الآن<sup>(٣)</sup> وذلك لقوة يقينه وبراعته السياسية وفهمه الصحيح لطبع هؤلاء وهؤلاء ، هذا فضلاً عن سنه وتجربته قبل الإسلام ومع الإسلام ، وكلها مرشحات ترجح كفة أبي بكر في ميزان التقييم .

#### • دفن النبي :

لم تُنس هذه المشاغل السياسية الخليفة أبي الصديق أحزانه على فراق أعز من له في هذا الوجود ، محمد ﷺ ، وقد قلب في رقعة الذاكرة

(١) ففي الروايات التي نقلها الطيري وابن قتيبة في الإمامة والسياسة وابن عبد البر ترجع دور بشير بن سعد في المبايعة لأبي بكر والتي كانت قد لبت شعث جماعة الأنصار وكانت حلاً جذرًا لإيقاف هذا النقاوش الطويل دون طائل في السقيفة . فبسراعه بالبيعة من جهة الأنصار كان أدعى لجمع كلمة المسلمين على أبي بكر وقطع السبيل أمام طموحات سعد بن عبادة .

(٢) أبو الأعلى المودودي نظرية الإسلام ص ١٠١ (٣) المرجع نفسه ص ١٠١

خلاصة سجل أيامه الماضية فأثارت الذكريات شجنه العميق وأحس بالألم الحض على ابتعاد من علق حياته بأعماله وأماله ، فوجد سلسلة متصلة الحلقات من الانتصارات والإنجازات إلى أن توفي الرسول ﷺ ، وهي سنة الله في خلقة ، ولا مرد لقضائه ، ولله ما أخذ والله ما أعطى وهو على كل شيء قادر . قضى الرسول الكريم ﷺ ليلة الثلاثاء في بيته . وكان أول عمل قام به أبو بكر في صباح يوم الأربعاء هو الاستعداد لغسله ﷺ حيث تولى ذلك أقرباؤه على بن أبي طالب والزبير والعباس بن عبد المطلب ولولده الفضل وقشم . ولما فرغوا من غسله كفنه في ثلاثة ثواب وبرد حبرة أدرج فيها أدراجاً . فلما فرغ من جهازه وضع على سريره في بيته (١) وقد كان المسلمون اختلعوا في الموضع الذي يدفن فيه النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فقال قائل ندفنه في مسجده ، وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه . فقال أبو بكر إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما قبض النبي إلا دفن حيث يقبض » فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي عليه فحفر له تخته لحد (٢) ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون جماعات جماعات . فدخل الرجال حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ، ولم يؤم على رسول الله ﷺ أحد (٣) . ثم دفن رسول الله في الليلة نفسها ، وكان الذي تولى إزالته في قبره على بن أبي طالب والفضل والعباس وشقران مولى رسول الله ، ثم سوئ قبره الشريف (٤) .

#### ● بيعة على والزبير لأبي بكر :

قد قبل كلام طويل وأثيرت شبكات كثيرة في موضوع بيعة على بن أبي طالب والزبير بن العوام ، بالقطع ليست للنوايا الطيبة فيها نصيب .

(١) ابن القيم رياض المحبين ص ٣٤٣

(٢) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ١٠٥

(٣) ابن سعد طبقات ج ٣ ص ١٧٢

(٤) ابن القيم المرجع السابق ص ١٠٥

وصورتها بعض الروايات بأنهما قد أحجمَا عن البيعة . خلاف بينهما وبين الخليفة المنتخب أبي بكر الصديق ، وزعمت بعض الأقلام من لهم أغراض مشبوهة بأن خلافاً قد حدث بين سائر القرشيين وبين هاشم على زعامة المسلمين <sup>(١)</sup> وأن علياً والعباس والزبير - وهم أقرباء الرسول ﷺ أبواً في البدء أن يخرج الحكم من بيت الرسول ، ولكن بقية القرشيين من المهاجرين لم تقبل ذلك . وتستند الرواية « بأن علياً والزبير كانوا حين بُويع لأبي بكر يدخلان على فاطمة فيشاورانها ويتراءعنون في أمرهم ، فبلغ ذلك عمر ، فدخل عليها فقال : بلغت رسول الله ﷺ فلم أجده من الخلق أحداً أحب إلينا من أبيك وما أجده أحب إلينا بعده منك . وقد بلغني أن هؤلاء النفر يدخلون عليك ، ولئن بلغني لأفعلن ولا أفعلن . ثم خرج وجاءوها ، فقالت لهم « إن عمر جاءنى وحلف لمن عدتم لي فعلن وأيم الله ليقين بها فانظروا في أمركم ولا ترجعوا إلى » ، فانصرفوا فلم يرجعوا حتى بايعوا لأبي بكر <sup>(٢)</sup> . الأمر الذي لا مراء فيه أن علياً والزبير لم يتباطنَا - مطلقاً - عن البيعة لأنها أضفاث أحلام مستشرق كمن في قلبه ضغف على الإسلام لا يقر به إلى صواب أبداً . بل لا أشك أن الأهواء المذهبية داخل البيئة الإسلامية صنعت صنيعها في إملاء رأيها في موضوع البيعة وأحقية فريق على فريق دون سند من واقع أو نظر إلى أخلاقيات الرجال ، بل واضح من المرويات الاختلاق والكذب ، فما كان على والزبير ليفارقا الجماعة ويشقا عصا الطاعة في وقت كانت الأمة أدعي إلى التماسك ووحدة الرأي ، وإنما هو خلط غريب وافتئات مريب ، وإنما الأقرب للصواب إن لم يكن الصواب بعينه أن علياً والزبير كانوا مشغولين بتجهيز النبي ﷺ وأن البيعة قمت ولم

(١) جوستاف جروينباوم حضارة الإسلام ص ١٨٥

(٢) المرجع السابق ص ١٨٥ .

يُكَنْ نِبِيَّهُمَا قَدْ دُفِنَ بَعْدَ (١١) . إِنْ مَصْلَحَةَ الْجَمَاعَةِ وَالْخَيْرِ الْعَامِ وَمَعْرِفَةَ سِجَّاِيَا الرِّجَلَيْنِ جَعَلَهُمَا يَبَايِعُانِ أَبَا بَكْرًا بَعْدَ تَرْدُدِ مَطْلَقَتَا ، وَإِنَّا هُنَّا حَقُّ ما رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبْنَ كَثِيرَ مِنْ أَنَّ الرِّجَلَيْنِ أَدْرَكَا الْبَيْعَةَ الْعَامَةَ فِي الْمَسْجِدِ وَلَمْ يَتَخَلَّفَا أَبَدًا يَقُولُ : وَصَعَدَ أَبُو بَكْرَ الْمُنْبِرَ فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرِدِ الزَّبِيرَ . قَالَ : فَدَعَا الزَّبِيرَ فَجَاءَ ، فَقَالَ قَلْتَ أَبْنَ عُمَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَوَارِيهِ أَرَدْتَ أَنْ تَشْقَ عَصَّا الْمُسْلِمِينَ ؟ فَقَالَ الزَّبِيرُ : لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَ فَبَايَعَهُ . ثُمَّ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرِدِ عَلَيْهِ فَدَعَا بْنَ أَبِي طَالِبٍ فَجَاءَ . فَقَالَ قَلْتَ أَبْنَ عُمَّةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَخَتَنَهُ عَلَى ابْنَتِهِ أَرَدْتَ أَنْ تَشْقَ عَصَّا الْمُسْلِمِينَ . قَالَ عَلَى : لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَبَايَعَهُ (٢٢) .

أَمَّا الرَّوَايَةُ الَّتِي أَسْتَنَدَ إِلَيْهَا الْبَاحِثُ الْأَجْنبِيُّ - جِرُوْنِيَاوْمُ - فِي قَوْلِهِ تَرْدُدُ عَلَى الْزَبِيرِ فِي أَمْرِ الْبَيْعَةِ وَالَّتِي صُورَتْ عُمَراً بِأَنَّهُ يَجْبَرُهُمَا عَلَى اخْتِيَارِ أَبِي بَكْرَ بَعْدَ اقْتِنَاعٍ ، بَلْ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى حَدُودِ التَّهْدِيدِ وَالتَّصْرِيحِ الْمُبَاشِرِ بِاستِخْدَامِ الْقُوَّةِ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ . فَإِنَّا مَعَ مَنْ يَرِي بِأَنَّ الرَّوَايَةَ مَكْذُوبَةٌ وَوَاضِعَةٌ مَا فِيهَا مِنِ الزُّعْمِ وَالتَّلْفِيقِ « فَمَا كَانَ أَبُو بَكْرَ لِيَخْلُى بَيْنَ عُمَرَ وَبَيْنَ الْعُنْفِ تَجَاهَ عَلَى ، عَلَى أَثْرِ وَفَاتَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَزَوْجِهِ فَاطِمَةِ مَا زَالَتْ حَيَةً ، وَإِنَّا هَذَا الْخَبَرُ مُتَكَلِّفٌ أَرِيدُ بِهِ إِظْهَارَ أَنَّ عَلِيَّاً وَصَاحِبِهِ لَوْ تُرْكَا وَشَأْنَهُمَا مَا بَايَعاً أَبَا بَكْرًا . وَأَيْسَرُ الْعِلْمِ بِفَضْلِ عَلِيٍّ رَحْمَةُ اللَّهِ وَنَصْحَةُ الْمُسْلِمِينَ وَحْسَنُ بِلَائِهِ فِي الْإِسْلَامِ أَيَّامُ النَّبِيِّ يَنْعِ مِنْ قَبْوِلِ تَلْكَ الرَّوَايَةِ ، وَإِنَّا هُوَ خَلْطٌ بَيْنَ (٣) . »

وَقَدْ أَوْرَدَ أَبْنَ كَثِيرَ عَدَدًا رَوَايَاتٍ (٤) أَثَبَتَ فِيهَا مَبَايِعَةَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِمَّا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنَ الْوَفَاءِ أَوْ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي مِنْهُ . وَهَذَا حَقٌّ لِأَنَّ :

(١) أَبْنَ سَعْدٍ طَبِيَّاتٍ ج ٣ ص ٩٢

(٢) الْبَداِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ ج ٢ ص ١٩٨

(٤) الْبَداِيَّةُ وَالنَّهَايَةُ ص ١٩٩ . ١٩٨

(٣) طَهُ حَسِينٌ - الشِّيخَانُ ص ١٨٥

أ - هذا الصحابي الجليل « على بن أبي طالب » لم يفارق أبي بكر بعد ما انتهى من تجهيز النبي ﷺ في وقت من الأوقات كما لم ينقطع - وهو الأشهر - في صلاة من صلوات الجماعة خلف إمامه .

ب - قيل إن عليا خرج مع الصديق إلى ذى القصبة (١) عندما شهر الخليفة سيفه لمنازلة أهل الردة .

ج - وما يقال فى على يقال فى الزبير فلم يحدث تقاعس منهما . ويؤيد عدم تأخيرهما ما نقله الأخباريون عن عبد الرحمن بن عوف من أن أبي بكر خطب القوم عقب انتخابه بأيام قليلة فقال فى حضور على والزبير : « والله ما كنتُ حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ولا كنتُ راغباً فيها ولا سألتها الله في سرٍّ ولا علانية ، ولكنني أشفقت من الفتنة وما لى في الإمارة من راحة . لقد قلّدتُ أمراً عظيماً ما لى به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله » فقال على والزبير : « ما غضبنا إلا لأننا تأخرنا عن المشورة ، وإنما نرى أبي بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وإنما لنعرف شرفه وخبره ولقد أمره رسول الله ﷺ أن يصلى بالناس وهو حى » (٢) .

بایع على والزبير اللذين تربيا في الدوحة النبوية الظاهرة . وغدا كلاهما ينعم بظلل الفضائل والمكرمات في عهد أبي بكر ولم يتخلقاً عن اليوم الثاني من الوفاة على أقصى تقدير ، لأن التخلف عما أجمعت عليه الأمة في شأن خطير من شأنها يُعدّ منقصة لا تغيب عن لب الصحابيين الجليلين وفراستهما التي هي ليست موضع شك . بل اطمأنت الساحة العلمية إلى وقار على وإلى حسن تدبيره ، وليس من الطموح أبداً تقديم نفسه في

(١) ذى القصبة : موضع يبعد أربعين وعشرين ميلاً من المدينة المنورة في الطريق إلى الرنده .

(٢) السيوطي تاريخ الخلفاء، ص ٦٩ وقد قيل إن سبب هذه الخطيبة ما حدث من نقط بسبب كسر محمد بن مسلمة لسيف الزبير في تلك الفترة .

الأحقية على أبي بكر - كما يدعى الرافضة - بل الحق يعلن في ظاهره أن علياً كان من أخلص المسلمين إلى أبي بكر ولم ينزل ساماً مطيناً له مشن عليه ويفضله في حياته عرفاناً وبعد وفاته كأحسن ما يكون الوفاء وهو القائل « حب أبي بكر ومعرفة فضله من السنة »<sup>(١)</sup> ذكر ابن المبارك أن علياً تصدى لأبي سفيان بن حرب الذي أراد أن يوغر الصدور ضد الخليفة غلباً على هذا الأمر أبو بكر أنا والله إن شئت لأملائتها خيلاً ورجالاً . فقال على ابن أبي طالب « يا أبو سفيان بن حرب ما زلت عدواً للإسلام وأهله . فما ضر ذلك الإسلام وأهله شيء . وإنما رأينا أبو بكر لها أهلاً »<sup>(٢)</sup> .

### • سياسة الدولة الإسلامية أيام أبي بكر :

سار أبو بكر في سياسة أمور المسلمين ولا رقيب عليه إلا الدستور القرآني بين يديه ويرهان من حقائق القانون الذي تكونت أركانه من تشريع الله وسنة نبيه ﷺ ، وما كان يقضى به بين الناس<sup>(٣)</sup> ، كما انتهج السيرة الشلى حتى قال الناس « وأيم الحق إن الله قد اختاره بحق لينقذ الإسلام ويدعم أركان دينه القويم ، وقد رد من قال له يا خليفة الله ، بل قال له في حسم لست بخليفة الله ولكن أنا خليفة رسول الله وأنا راض بذلك . ولم تكن تشرئب أعنقه إلى هذا الشرف الذي أولاه إياه جماعة المسلمين ، فلم يحرص على بلوغ الخلافة ولا كان راغباً فيها يوماً . ولم يدر في خلد أحد الناس إليه أنه أقرب إلى الإمارة من غيره<sup>(٤)</sup> وعن سعيد بن المسيب قال : « لما قضى رسول الله ﷺ ارتحت مكة . فسمع بذلك أبو قحافة . فقال ما هذا ؟ قالوا قبض النبي ﷺ . قال : أمر جليل . قال : فمن ولى بعده ؟

(١) السيوطي المرجع السابق ص ٧١

(٢) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٢ ص ٢٥٤

(٣) الإسلام عقبة وشريعة ص ١١٤

(٤) أبو الأعلى المودودي نظرية الإسلام ص ٩٢

قالوا : ابنك . قال : فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة ؟ قالوا  
نعم . قال لا مانع لما أعطي الله ولا معطى لما منعه الله (١) .

وقد كان أبو بكر سديد الرأى عندما حارب المرتدين ولم يلتفت إلى من  
أشار عليه بالإيقاء على جيش أسامة - كما سنبينه قريبا - ليدافع به عن  
المدينة في ذلك الوقت العصيب الذى ارتدت فيه العرب جميعاً . ولم يبق  
على إسلامه من سائر الناس سوى مكة والمدينة والطائف ولكن أبياً بكر أمن  
على تسيير ذلك الجيش الذى أراد الرسول ﷺ أن يبعثه إلى بلاد الشام  
ولكن المرض الأخير منعه من إرساله وهنا يرتفع الصدىق إلى مقام المؤسسين  
لا إلى مقام المصلحين . وقد أجمع المؤرخون وكتاب السير على أنه لولا  
صلابة أبي بكر برأيه وتشبته بعقيدته هذه لأضحي الإسلام ديناً نظرياً يُضمَّ  
إلى قائمة الديانات والعقائد الإنسانية البحتة (٢) وإذا كانت أرويا الحديثة  
تباهى بتواضع ساستها وانغماسهم فى مشاكل قومهم ومعايشتهم إياهم  
عن قرب . فقد كان فى جوف الصحراء العربية قبل مئات من السنين رجل  
يقود الإسلام وال المسلمين لدولة تكاملت أركانها على القوة والرسوخ يحمل  
على كتفيه التحبيتين غرارة (٣) ملوءة بأنواع أقمشة الشام وربط اليمن  
أو ديباج الحبشة والهند يذهب بها إلى السوق ليتاجر فيها فيكسب ما  
يذهب عنه غائلة الجوع هو وأهل بيته . ذلك هو ابن أبي قحافة خليفة  
الرسول ﷺ (٤) فلم ينقطع عما كان يزواله من حرفة التجارة . فيبدأ يومه  
بالذهاب إلى السوق صباحاً وفور منصرفة من صلاة الظهر يبدأ في رعاية  
حق الناس عليه . ولقيه عمر وأبو عبيدة يوماً فقالا له إلى أين تريد

---

(١) ابن عبد البر / مرجع سابق ص ٢٥٥

(٢) محمد أسد / منهاج الحكم في الإسلام ص ١١٧

(٣) صرة كبيرة .

(٤) المودودي مبادئ الإسلام ص ٦٠ و ٦١

يا خليفة رسول الله ؟ قال : إنى ذاذهب إلى السوق ، فقلالا له : تصنع ذلك وقد وليت أمر المسلمين ؟! قال أبو بكر : فمن أين أطعم أولادى ؟ فما زالا به حتى اقتنع بأن يفرض له من بيت المال ما يكفيه هو وعياله وفضل المؤنة مع الكفاف<sup>(١)</sup> .

وقد أنسد أبو بكر إلى إدارة البلاد الأكفاء المبرزين من أعلام الصحابة من ظهرت مواهيبهم وترامى إلى أسماعه خصالهم ومداركهم الإدارية ليساعدوه في سياسة أمر الناس وإنفاذ الوظائف التي تحتاج إلى الخبر الليبيب منهم فقسم جزيرة العرب إلى ولايات جعل على كل منها أميراً له إقامة الصلاة والفصل في القضاة وإقامة الحدود وسبر الشغور وإدارج الأعمال ، فكان الوالى فى زمانه أميراً وقاضياً ومنقذاً أما البلاد التي فتحت فى عهده من أرض العراق والشام فكان القتال فيما دائراً ، ولذلك عد القواد هم ولاة الأمر داخلها وتكونت تدريجياً مركزية الحكم بناء على إرشاد الخليفة نفسه ، بعد أن قسم الوظائف في المدينة بين كبار الصحابة فكان عمر بن الخطاب يتولى القضاة وأبو عبيدة الزكاة وعثمان بن عفان الكتابة<sup>(٢)</sup> وفي تاريخ الطبرى ما ينبي عن تلك الحقيقة حيث إن أبو بكر « لما ولى الخلافة قال له أبو عبيدة أنا أكفيك المال - يعني الجزاء - وقال عمر وأنا أكفيك القضاة فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان يتخاصمان . وكان يكتب له زيد بن ثابت ويكتب له الأخبار عثمان بن عفان ، وكان عامله على مكة عتاب بن أبيثب وعلى الطائف عمرو بن العاص وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية ، وعلى حضرموت زياد بن لبيد ، وعلى خولان يعلى بن أمية ، وعلى زيد ويرقع أبو موسى الأشعري ، وعلى الجند معاذ بن جبل ، وعلى البحرين علاء بن الحضرمي ، وعلى نجران جرير بن

---

١) السيوطى مرجع سابق ص ٧١ . (٢) الرئيس النظريات السياسية .

عبد الله ، وبعث بعبد الله بن ثور أحد بنى الغوث إلى ناحية جرش ، وبعث عياض بن غنم الفهري إلى دومة الجندل ، وكان بالشام شرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان كل منهما على جند ، وعلى العراق المثنى بن حارثة (١) .

وفي تلك المدة القصيرة الأمد أرسىت دعائم المعاهدات مع أهل الذمة في أركان البلاد المفتوحة والتي أشرقت في سمائها أضواء الدعوة الإسلامية على بصيرة من الأمر . فقد صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة من نصارى العرب الذين أقرّوا دفع الجزية مقابل حمايتهم ودفع الأذى عنهم (٢) وهي تتشابه مع تلك المعاهدة التي توثقت من قبل في عهد النبي ﷺ مع يوحنا صاحب إيلة أثناء غزوة تبوك الشهيرة . فقد عاهدهم خالد « على تسعين ومائة ألف تقبل في كل سنة جزاء عن أيديهم في الدنيا وعلى المنعة ، فإن لم ينفعهم فلا شيء عليهم ، وإن هم غدروا بفعل أو قول فالذمة منهم بريئة (٣) . وقد لخص الخليفة الأول رأيه في إمارة المسلمين « إنما أنا متبع ولست بمبتدع ولن أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلا صنته » (٤) ولا عجب أن يتخذ أبو بكر هذه السياسة الرشيدة فهو قد صحب رسول الله منذ بعث إلى أن اختاره الله إليه . ثم إنه كان يؤمن بالله ورسوله وإيمانا لا يكتبو ولا يتزعزع وكان لاتصاله القلبى والروحى بالرسول يعرف من أمره ما لا يعلم غيره ، وهو وحده الذى قال فيه قبل يومين اثنين من وفاته : « إنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه » ولا جرم إن اتباع أبي بكر للنبي كان اتباعاً صحيحاً صادراً عن إيمان وبيته ، إيمان يجعله مطمئنا إلى

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٣ ص ٤٢١

(٢) نفسه ص ٤٤٢

(٣) المرجع السابق ص ٤٤٢

(٤) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٢ ص ٢٥٥

أنه لن يخطئ ما اتبع الرسول ، ويبينه تجعله يسلك الطريق التي يرى أن الرسول كان لا ريب يسلكها<sup>(١)</sup> .

إذن كان الصديق محمدى المتنوع والتفكير وعصره امتداد طبيعى لتلك السياسة التى كان عليها الرسول ﷺ فى أحواله المدنية ، وكل الذى كان يطلبه هذا الخليفة من أعونه المحبيطين به إسداه النصح وتقويم المعوج ، وهو القائل - كما أورد السيوطي - « كان رسول الله ﷺ عبداً أكرم الله باللوحى وعصمه به وإنما أنا بشر ولست بخير من أحدكم ، فراعونى ، فإذا رأيتمنى استقمت فاتبعونى ، وإذا رأيتمنى زغت فقومونى واعلموا أن شيطاناً يعتربنى ، فإذا رأيتمنى غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعارهم وأيشاركم ، واعلموا أيها الناس أن النبي ﷺ قد سن السنن وعلمنا فعلمنا » إلى أن قال « إن أكيس الكيس التقى ، وأعجز العجز الفجور »<sup>(٢)</sup> .

وقد دلت أعماله التى نفذها وقراراته الخامسة التى اتخذها أنه ماض إلى تلك الغاية السليمة التى اطمأنت إليها نفسه ، وقد طوع خبرته وكفايته وتواضعه وعزمه وحسمه وقوة شكيتمه فى ثبيت ضوء ذلك النبراس على طريقه الذى سلكه بالناس طوال حياته السياسية ، فحافظ على الدين واستمر فى نشره ويسط نفوذه وأخمد الفتنة قبل أن تستعر السنة لهيبها . وكان المسلمون الذين ثبتوها معد على الحق واليقين أطوع له من بنائه وأسرع إلى كل ما يأمر به ويبدعه إليه من رجع الصدى مطمئنين إلى أمانته وعدله وزهده وثباته وتحريه المصلحة العامة التى توصلهم إلى خير الدنيا والآخرة وكسب ثقتهم فى لينه وشدة ووجدوا فى دمائه خلقه القدوة التى لا تبارى ، فأحبوه واطمأنت نفوسهم إلى صواب رأيه وأحلّوه المقام الرفيع دون

(١) الدكتور هيكل الصديق أبو بكر ص ٩٠

(٢) تاريخ الخلافة، ص ٧١

نزاع <sup>(١)</sup> . وصفة القول أن خليفة رسول الله أبا بكر كان المثل الكامل للMuslimين حتى قال فيه عمر بن الخطاب « لقد أتعب أبو بكر من يخلفه » <sup>(٢)</sup> لما يتمتع به من خلال سامية ساعده على إنجاز جلائل أعماله واجتاز بها أعلى الأزمات وهي سمات وخصال لا تجدها إلا في عظماء الرجال .

#### • بعث أسامة بن زيد :

كان النبي ﷺ قد أعدَ جيشاً قبيلاً مرضه ليسير إلى بلاد الشام لتأديب قبائل غسان النازلين على مشارفها لجرأتهم على قتل سفير النبي إليهم ، وللقصاص لزيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن أبي رواحة الذين استشهدوا في سرية مؤتة ، وجعل إمرة هذا الجيش لشاب حديث هو أسامة بن زيد ولم أجده من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة في مقدمتهم أبي بكر وأبي عبيدة وسعد بن أبي وقاص وعدة من الأنصار خرجوا إلى الجرف <sup>(٣)</sup> ثم توقف هذا البعث بعد أن انشغل المسلمين بتمریض النبي وما تبع ذلك من وفاته وتجهيزه ، ولما بُويع أبو بكر بالخلافة حق رغبة النبي ﷺ في تسخير بعث أسامة فما أن فرغ من أمر الدفن حتى أمر بتنفيذ هذه الرغبة الغالية على الرغم من أن الكثرين قد حاولوا إثناءه عن تسخير هذا الجيش للاستعانة به في إخماد فتنة الارتداد ، فدخل على أبي بكر، كما يروى ابن عساكر ، عمر وعثمان وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فقالوا « يا خليفة رسول الله إن العرب قد انتقضت عليك من كل جانب وإنك لا تصنع بهذا الجيش المنتشر شيئاً ، اجعلهم عدة لأهل الردة ترمي بهم في نحورهم ، وأخرى لا تأمن على أهل المدينة أن يغار

(١) المودودي نظرية الإسلام ص ٨٧

(٢) ابن حجر الإصابة ج ٢ ص ٣٤٤

(٣) موقع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . قالوا : سمي الجرف لأن تبعاً مر به فقال هذا جرف الأرض . ياقوت - المعجم ج ٢ ص ١٢٨

عليها وفيها الذراري والنساء ، فلو تأخرت لغزو الروم حتى يضرب إسلام بجرأته ويعود أهله إلى ما خرجوا منه أو يفنيهم السيف ، ثم نبعث أسامة حينئذ ، فنحن نأمن الروم أن تزحف علينا » (١) .

ولما انتهى المهاجرون كلامهم بادرهم أبو بكر الذي أثقلت عليه هموم الخلافة مسئوليّة القضاء على المرتدین وقد استغرق في التفكير وقلب عينيه في وجود من حضر هذا المؤتمر ثم قال لهم « هل فيكم أحد يريد أن يقول شيئا ؟ قالوا : لا ، قد سمعت مقالتنا . فقال : والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تأكلنى بالمدينة لأنفذت هذا البعث ولا بد أن يؤوب منه . كيف رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي من السماء يقول أنفذوا جيش أسامة ، ولكن خصلة أكلم بها أسامة أكلمه في أن يقيم وإنه لا غنى بنا عنه . والله ما أدرى يفعل أسامة أم لا ؟ والله أنى لا أكرهه إن أبي » (٢) .

فعرف المجتمعون أن الخليفة عازم على تسيير ذلك الجيش مهما كانت النتائج التي يتحققها وجوده في المدينة ، وجاء رأى الأنصار الذي أعلنته بأنها لا تعترض على إنفاذ الجيش ولا عدته ، ولكنها تتحفظ في أمر القيادة . وكلموا في هذا الموضوع عمر متوجهين أن أبو بكر ربما يرضخ لرأيهم هذا . قالت الأنصار لعمر : أبلغه عنا واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سنا من أسامة . فخرج عمر بالأمر ، فأتى الخليفة وأخبره بأن الأنصار أمروه أن يبلغه وهم يطلبون إليك أن تولى أمرهم رجلاً أقدم سنا من أسامة . فوثب أبو بكر - وكان جالسا - فأخذ بحلية عمر وقال : « شكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ وتأمروني أن أنزعه ! » فخرج عمر إلى الناس فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال امضوا

(١) مختصر تاريخ دمشق جـ ١ ص ١١٧

(٢) المتن كنز العمال جـ ٥ ص ١٢٩

تكلتكم أمها لكم ما لقيت فى سبلكم اليوم من خليفة رسول الله<sup>(١)</sup> ثم ذهب الخليفة بستر ضيبه . وأستاذنه أن يترك له عمر بن الخطاب ليجلس إلى جانبه ويعينه فى بعض المهام ، فأذن له أسامة . وجعل أبو بكر يقول لأسامة : أذنت ونفسك طيبة<sup>(٢)</sup> وجعل الخليفة - الذى تجرد من كل مظاهر الكبراء والتعالى يجمع شتات هذا الجيش بنفسه وأمر مناديه أن ينادى : عزمه منى أن لا يختلف عن أسامة منبعثة من كان انتدب معه فى حياة رسول الله<sup>عليه</sup> ، فإنى لن أوتى بأحد أبطأ فى الخروج معه إلا أحقته به ماشيا<sup>(٣)</sup> .

ثم عقد الخليفة مؤتمرا آخر بحضور قائد أسامة وطلائع جنده من المهاجرين والأنصار وأخذ يغلوظ على من تكلم فى إمارة القائد العام ثم خطبهم جميعاً بوصية بلية نافذة تعد وثيقة عمل وشرف للجنديه الإسلامية على مدى الأعصر كلها . قال الخليفة : « أيها الناس قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى : لا تخونوا ، ولا تغلوا ، ولا تغروا ، ولا تقتلوا ، ولا تقتلو طفلاً صغيراً ولا شيئاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا تخلأ ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مشمرة ، لا تذبحوا شاة ولا بعيراً إلا لماكلاة . وسوف ترون بأقوام قد فرغوا أنفسهم للصومع فدعوهم وما فرغا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه . وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقاً »<sup>(٤)</sup> .

(١) كنز العمال ج ٥ ص ١٣٤ .

(٢) ابن كثير المرجع السابق ج ٦ ص ٣٠٤ .

(٣) كنز العمال ج ٥ ص ١٣٦ .

(٤) الطبرى تاريخ الأمم ج ٣ ص ٤٧ .

ومضى هذا الجيش المتأهب لمنازلة الروم وصنايعهم من قبائل غسان في سبيله تحوطه تشجيعات الخليفة . وحشد كبير من الرجال الذي عقد النبي لواهـم من قبل لم يختلف منهم واحد وهم ثلاثة آلاف رجل وفيهم ألف فرس وعدة كثيرة وخرج أبو بكر : يودع أسامة وجماعة الجندي معه والخليفة ماش على قدميه وأسامة راكب . فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله والله لتركين أو لأنزلن . فقال أبو بكر والله لا تنزل ولا أركب وما علىّ أن أغير قدّمي ساعة في سبيل الله <sup>(١)</sup> وهكذا ضرب الخليفة المثل الكامل في رفعة شأن المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الإسلام . وهو الذي - كان - كثيراً ما يكرم قواده ويعلّى مكانتهم في نظر عامة المسلمين ليطاع أمرهم وتنفذ كلمتهم <sup>(٢)</sup> . تقول الروايات إن الخليفة أبي بكر بعد أن سار إلى جنب أسامة ساعة وأزيد أن يعود إلى المدينة قال له « استودع الله دينك وأمانتك وخرواتيم عملك إن رسول الله ﷺ أوصاك فانفذ لأمر رسول الله فإني لست أمرك ولا أنهاك عنه إنما أنا منفذ لأمرٍ أمر به رسول الله ﷺ » <sup>(٣)</sup> .

وسار جيش أسامة تحوطه رعاية الله حتى أقبل على البلقاء <sup>(٤)</sup> . يقول ابن كثير « وكان خروج هذا الجيش في ذلك الوقت من أكبر المصالح والحالة تلك ، فساروا لا يرون بحى من أحياه العرب إلا أرعبوا منهم ، وقالوا : ما خرج هؤلاء من قوم إلا وفهم منعة شديدة <sup>(٥)</sup> .

(١) ابن الأثير الكامل ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٢) تلك غاية سامية لا يدركها في السهو إلا من كان في درجة هذا الصحابي الجليل .

(٣) تاريخ الأمم ج ٣ ص ٤٧١ .

(٤) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان - وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة ووجودة حنطتها يضرب المثل . ياقوت معجم البلدان ٤٨٩ ج ٥ .

(٥) البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٠٤ .

وأنزل أسامة بأعدائه الهزائم ونفذ أمر الرسول ﷺ من تدمير تلك القرية الظالم أهلها (١) التي باغتها فثار لأبيه زيد وصاحبيه الأخيار الشهداء : جعفر وابن رواحة . فلما أدى مهمته عاد مسرعاً بعد أربعين يوماً غانماً منتصراً راكباً الفرس الذي قتل عليه أبوه من قبل . وكانت تلك الغزوة ثانية المواجهات مع الروم ونصرهم الله هذه المرة - بعد مؤتة - وقتلوا من عدوهم مقتلة عظيمة ورجعوا سالحين أثناَءَ أن خلعت العديد من القبائل إيمانها بارتدادها حول المدينة فكان بعث أسامة أعظم الأمور نفعاً للمسلمين ، فإن العرب قالوا : لو لم يكن لهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش ، فكفوا عما كانوا يريدون أن يفعلوه (٢) .

وكما نجحت نظرية الخليفة الصديق في التهويين من شأن خطورة المرتدين والتلويع بقوة المسلمين الذين لم يأبهوا بالفتنة ولا فعاليتها . فإنه وفق في إنفاذ أمر الرسول وشدد في عدم المخالفه حتى لا يفتح باباً لمن سوت لهم نفوسهم في التردد والكسل فهو ماض إلى احترام كل ما يبلغ عن النبي ﷺ ولا يحيد عنه قيد شعرة وهو القائل : « والذى لا إله غيره لو جرت الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين ما ردتْ جيشاً وجّهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ » (٣) .

### • قتال بعض الأعراب حول المدينة :

فبعد انتداب جيش أسامة وخروجه ظن بعض الأعراب من القبائل المجاورة مثل أسد وغطفان وبني عبس ومرة وطئ أنها فرصة مختتمة

(١) كانت أول من أغري بلاد العرب بالأصنام ومنها جن يهيل إلى الكعبة والتي كان الروم قد تجمعوا فيها وحاربوا المسلمين في مؤتة وقتلوا ثلاثة من أكبر قواد المسلمين : زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن أبي رواحة .

(٢) ابن الأثير الكامل ج ٣ ص ٤٥ . (٣) راجع الطبرى ج ٤ ص ٢٨٥ .

للتنفيس عما وقر في نفوسهم من حقد دفين على الإسلام ليغيروا على المدينة والغدر بال المسلمين فيها . وذلك بعد أن انصرف زعماء تلك القبائل من لقاء أبي بكر وعرفوا بإرسال القوات الإسلامية صوب الشام . فأعدوا لفعلتهم واستعدوا . وقد أدرك الصديق بفراسته ما يضمره هؤلاء الأعراب من الشر - ربما من فلتات اللسان أو صفحات الوجه - فيسرع بوضع بعض قوات الحرس من شجعان المسلمين على رأسهم على بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن ابن عوف وعبد الله بن مسعود للمرابطة الدائمة احتساباً لخطر يدهم المدينة من جهة هؤلاء الأعراب . وقد قال أبو بكر فور منصرفهم « إن الأرض كافرة وقد رأى وفدهم منكم قلة وإنكم لا تدررون ليلاً يأتون أم نهاراً . وأدناهم منكم على بريد . وقد كان القوم يؤملون أن نقبل منهم ونواودهم . وقد أبينا عليهم . فاستعدوا وأعدوا » <sup>(١)</sup> . وما توقعه الصديق بصدق حدهه تحقق ، حيث لاحظت تلك القوات المرابطة حول المدينة نذر الشر في الإغارة فخاطبوا أبو بكر بما رأوه . فأمرهم بالتحصن في أماكنهم لا يبرحوها خاصة بعد ما عرف أن الأعراب تفرقوا فرقتين . فأقامت فرقة بالأبرق بذى حسى <sup>(٢)</sup> لتكون ردًا للفرقة الثانية التي سارت إلى ذى القصبة . وخرج الصديق في أهل المسجد على النواضج <sup>(٣)</sup> إليهم حتى يرد هؤلاء المغيرين على الأنقاب . فتبعهم المسلمون على إبلهم حتى بلغوا « ذا حسى » فخرج عليهم الكمين الذي كان الأعراب أعدوه للقائهم . فانتصر المسلمون عليهم <sup>(٤)</sup> ثم خرج أبو بكر في جمادى الآخرة سنة ١١ هـ في جيش أكبر وأكثر عدة في مقدمتهم أمراء الأنقباب السابقين الذكر في تعبئة رائعة ، على ميمنته

(١) ابن كثير مرجع سابق ج ٦ ص ٣١٣ .

(٢) مياه لبني فزارة بين الرينة ونخل يقال لمكانها الإحساء . المعجم ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٣) هي الإبل التي يستقى عليها . (٤) البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١٣ .

النعمان بن مقرن وعلى الميسرة أخوه عبد الله بن مقرن وثالثهما أخوهما سعيد ، فكان على الساقية من الجيش الذي لاقى الأعراب <sup>(١)</sup> في منازلهم . فعمد الغادرون إلى وسيلة لإيقاف زحف المسلمين يقول ابن كثير « إنهم أتوا القرب اليابسة فدحرجوها بأرجلهم في وجه الإبل ففرت إبل المسلمين وهو عليها حتى دخلت بهم المدينة . ولم يصرع أحد من المسلمين ولم يصب بأذى ، فظن المرتدون بال المسلمين الوهن ، ويعثروا إلى أهل ذي القصة بالخبر فقدموا عليهم وعلى رأسهم « حمال بن خويلد » وبات أبو بكر يعيّن رجاله فخرج آخر الليل من التعبئة نفسها ولم يطلع الفجر إلا والعدد لا يدرى حسا ولا همسا حتى وضع المسلمين فيهم سيوفهم وركبواهم مع طلوع الشمس وعلوهم على عامة ظهرهم وقتل قائدتهم « حمال بن خويلد » وأتبعهم أبو بكر حتى نزل « ذي القصة » . وكان أول الفتح . ووضع به النعمان بن مقرن في عدد . ورجع أبو بكر إلى المدينة فنزل بها المشركون <sup>(٢)</sup> .

وفور منصرف أبي بكر صوب المدينة عوّل الغادرون بالوثوب على من ألم بناحיהם فقتلوهم شر قتلة وأذاقوا النساء والأطفال من الشرور ما هو أدهى وأمر . فحزن الصديق لتلك المذابح التي ارتكبت في حق الآمنين فحلف ليقتلن من كل قبيلة بن قتلوا من المسلمين وزيادة . وكان من نتيجة هذه الغزوة أن أقبلت الصدقات عدى بن حاتم ولزيرقان وصفوان في أوقات متقاربة من الليل فاستبشر الخليفة وأصحابه بذلك على رأس ستين ليلة كاملة من وفاة المصطفى <sup>(٣)</sup> . وهنا قدم أسامة بن زيد إلى المدينة بعد أن أدى مهمته بعد أن مضى من غيابه عنها نحو شهرين . فاستخلفه أبو بكر على المدينة وقال له ولجنده الذين كانوا معه : أرجعوا وارجعوا

(١) الذهب ، سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢١٢ .

(٢) البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١٤ .

(٣) ابن سعد الطبقات ج ٤ ص ٨٥ .

ظهوركم ( إبلكم ) . وخرج بنفسه للقاء المتجربين من عبس وبنى مرة وبنى ذبيان ومن انضم إليهم من بنى كنانة . متوجهًا إلى ذى القصبة بن خرج معه أولاً وقد ناشه كبار الصحابة ألا يعرض نفسه للخطر . تقول الرواية « فكلم الناس أبو بكر وقالوا ارجع إلى المدينة وإلى الذريعة والنساء وأمر رجالًا على الجيش فأبى وقال والله لا أفعل ولا واسينكم بمنفسي » ومشى في تعبئة إلى ذى حسبي وذى القصبة والنعيمان وعبد الله وسعيد على ما كانوا عليه حتى نزل على أهل الرينة بالأبرق . فاقتتلوا فهزهم الله الحارث وعونا وأخذ الخطيبة - الشاعر - أسيراً . فطارت عبس وبنو بكر وأقام أبو بكر على الأبرق أيامًا . وقد غلب بنى ذبيان على بلادهم وقال « حرام على ذبيان أن يتملّكوا هذه البلاد إذ غنمها الله وأجلها . وخمس الأبرق خيول المسلمين واربع سائر بلاد الرينة الناس على بنى ثعلبه . ثم حماها كلها مصدقاً لصدقات المسلمين ، والتجات عبس وذبيان بعد هزيمتهم من الأبرق بطلحه بن خويلد الأسدى ( ٢١ ) ، وعاد معظم أهل تلك النواحي إلى الإسلام وتتابع الأذان للصلة قرينة الزكاة في مضاربهم ، وتسامح أبو بكر عن كثير من كان من إساءتهم ( ٢٢ ) بعد أن أعادهم الله إلى حظيرة الدين القوم . وكلها عوامل تسجل لأبي بكر في متابعته أيامه ومفاخر أعماله التي خرج منها بثبات نفس وطمأنينه قلب وإحساس كامل بالمسؤولية الملقاة على عاتقه . فكان بها جديراً .

\* \* \*

( ١ ) ابن كثير - المرجع السابق ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

( ٢ ) وقيل إن بنى ثعلبة جاؤوا لينزلوا على بلادهم التي أخرجهم منها الخليفة وعندما منعوا أنروا إلى مجلس الصديق وكلمود قالوا علام نفتح من نزول بلادنا ؟ فسائلهم الخليفة بقوله : كنتم لست لكم يlad ولتكنها موهبي ونقذني . ولم يجيئهم إلى ما طلبوا . الطبقات ج ٤ ص ٨٦ .

## الفصل الرابع

### أهم المصاعب التي واجهت عصر الصديق

كانت خلافة أبي بكر قصيرة الأمد إلا أن أحداثها تحتاج إلى مدونات في سجل التاريخ . لما قدمته من تدعيم للدولة الإسلامية التي صادقتها بعض المصاعب الخطيرة . فاستطاع هذا الخليفة بحنكته وجلده وتمسكه وصلابته في الحق أن يقضي على تلك الفتنة في مدة وجيزة . فقد قطع الصديق إلى أن بعض القبائل الجانحة في اليمن وعمان واليماماة وبني أسد وتميم قد تهاونت في مسألة الزكاة وهي من أهم أركان الإسلام وموارده واستنكرت بعثها إلى المدينة . كما أن تركيز الزعامة في قريش حركت كوامن الغيرة والحسد في أواسط الجزيرة العربية فتجلت التزعزعات الفردية والعصبيات الإقليمية التي طبع عليها العرب الجاهليون فجاء الإسلام وحاول محوها من النفوس وفرض المساواة العادلة بين جميع المسلمين إلا أن البعض على ما يبدو لم يدخل الإيمان في قلوبهم فانضموا إلى الإسلام مع الداخلين دون اقتناع . ومنهم من رأى الحرب - في الغزوات - ولم يفهم بالقطع أنها كانت للدفاع عن مقدرات الإسلام دخل في الدين تجنيباً من مواجهة سيف الإسلام وأبطاله الأفذاذ وبينهم من قنع بالإيمان طمعاً في مغنم وجه ، فلما أعلنت بيعة الصديق بالخلافة تحركت كل هذه النفوس المريضة وأظهرت حقيقة أمرها وقامت قيامتها وارتدى عن الإسلام وحاولت إبطال تعاليمه وتغيير مفاهيمه عدا أهل الحجاز وبخاصة قريش وثقيف . كما كانت هناك فئة ضالة ادعت النبوة وهم مجموعة من أشرار العرب مثل مسيلمة وطلبيحة والأسود وسجاج التميمية وقد وجدت ترهاتهم وأراجيفهم استجابة من لا يعقلون : « إنهم إلا كالأنعام أو أضل سبيلاً » .

## • حروب الردة ١١ - ١٢ هـ / ٦٣٣ م :

قد اعتكر ليل الردة صفاء نهار دولة الإسلام . ويزرت شخصية الصديق التي اشتهر بها في معظم مواقفه والتي لا تخرج عن الشجاعة والثبات في الخطوب والمحن وقف العازم القوي . يتجلّى ذلك واضحاً حينما فوجيَّ معظم القبائل العربية تعلن ارتدادها عن الإسلام حيث لم يبق تابعاً للدين ومستمسكاً به إلا أهل مكة في المدينة والطائف . ويبدو أن المرتدين في كوامن نفوسهم « لم يتفق لهم من صحبتهم للنبي ﷺ ما يصف جواهرهم مما مازجها من شوائب الشرك ، ولم ينفذ إلى بصائرهم نور الحكم الباهرة المنطوية في أوامر الإسلام ونواهيه فزاغت بصائرهم عن أن الزكاة صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد إلى فقرائهم لا يكلفهم إلا من أتاهم الله بسطة في الرزق . فدعوها إتاوة يساومون أداءها كما يسوم الجبارية به الملوك رعياهم أداء الآتاوات وحمل المغامر وذهلوا عن بون ما بين الخطتين ، فتناجووا بالإثم والعدوان في منع الزكاة وفشت هذه المقالة في كثير منهم . ومع أن المانعين للزكاة لم يرفضوا جميع أحكام الإسلام ولكنهم سُموا مرتدين بجحدهم ركناً من أركانه » (١) .

وأعلن المرتدون عدم خضوعهم لل الخليفة الذي أخذ البيعة . وقد رأى الصديق هذا التمرد ينتشر بسرعة عجيبة بين القبائل حتى كاد أن يزعزع مركز الإسلام . وأصرَّ على طلب الإذعان والتوبة من المرتدين والتسليم بلا قيد أو شرط والعودة إلى نور اليقين إن أرادوا وإلا فالحرب حتى الدمار . ولم يمض إلا زهاء ستة أشهر حتى تمكن الإسلام مره أخرى بفضل سياسة الخليفة التي كانت بعيدة النظر ولا شك ، فقاتل رضي الله عنه من فرق بين الصلاة والزكاة واعتقد جازماً أن من فرط في جزئيات الأركان سهل عليه

(١) الشيخ عبد الوهاب التجار - الخلقاء الراشدون ص ٣٧ .

التغريب في شتون الدين والحياة . وقد حول الغلاة من الانتهازيين - ومن في قلوبهم مرض البذرة الهدائة إلى أتون نيران ملتهبة لا يعلم إدراك اتساعها لتأكل كل شيء إلا الله وحده . فقد نجم النفاق واشرأبت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغنم في الليلة المطيرة لفقد نبيهم ﷺ وقتلتهم وكثرة عدوهم (١) .

وجمع الصديق أولى الرأى والنهى إلى محتشد عام لإسداء المشورة في هذا الأمر الجلل الذي كفرت بسيبه البذرة وتضرمت أطرافها . أخرج ابن عساكر ( قال ) لما كانت الردة قام أبو بكر خطيباً فحمد الله وأثنى ثم قال « إن الله مقت من ضل من أهل الكتاب فلم يعطهم خير الخير عندهم ولا يصرف شر الشر عندهم ، وقد غيروا كتابهم وألحقو فيهم ما ليس فيه والعرب الأميون صفر من الله لا يعبدونه ولا يدعونه أجهدهم عيشا وأضلهم دينا في خلف من الأرض معه فئة الصحابة فجمعهم الله بمحمد ﷺ وجعلهم الأمة الوسطى ، نصرهم من اتبعهم ونصرهم على غيرهم ، حتى قبض الله نبيه ﷺ فركب منهم الشيطان مركب الذي أنزله الله عنه . إن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم ولم يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليك أزهد منهم بدمهم هذا . ولم يكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا وقد وكلكم إلى الكافى الأول الذى وجده ضالاً فهداه ، وكتتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، والله لا أدع أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ويقتل من قتل منا شهيداً من أهل الجنة ويبقى من يبقى منا خليفة وارثه في أرضه قضى الله بالحق » ثم نزل (٢) ثم دارت مناظرات للوصول إلى الحق بين حتى يظهر الله أولياً وينجز وعده وسط تلك الظلمة المدلهمة بذاتها الصديق يقوله : أشيراً علىٰ فما أنا إلا رجل

(١) الطبرى تاريخ الأمم ج ٣ ص ٣١٢ (٢) ابن كثير البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١٠

منكم وإنى أثلكم حملأً لهذه البنية . فأطروا طریلاً وتعالت صيحاتهم . فتكلم عمر بن الخطاب فقال « أرى والله يا خليفة رسول الله أن تقبل من العرب الصلاة وتدع لهم الزكاة فإنهم حديثو عهد بجاهلية لم يعدهم الإسلام فيما أن يريدهم الله إلى خير وإنما أن يعز الله الإسلام فتقوى على قتالهم بما لبقية المهاجرين والأنصار يدان للعرب والعجم قاطبة . ثم التفت إلى عثمان فقال مثل ذلك . وقال على مثل ذلك . وتابعهم المهاجرون . ثم التفت إلى الأنصار فتابعهم فأقرروا أن يترك الناس يصلون ولا يؤذون الزكاة . فإنهم لو دخل الإياع في قلوبهم لأقرروا بها فقال أبو بكر : والذى ننسى بيده لأن أقع من السماء أحب إلى من أن أترك شيئاً قاتل عليه رسول الله ﷺ إلا أقاتل عليه » (١) .

وفي رواية أخرى أن عمر قال لأبي بكر « يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فإنهم منزلة الوحش » فقال : « أخرت نصرتك وجئتنى بخذلانك ! جبار في الجاهلية خوار في الإسلام . هيئات . هيئات . مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي والله لأجادنهم ما استمسك السيف في يدي » قال عمر : « فوجدته في ذلك أمضى مني وأعزم مني وأدب الناس على أمور هانت على كثير من مؤونتهم » (٢) وعن أبي هريرة مثله إلا أنه زاد بأن عمر أبى لأبي بكر يحدثه متلطفاً مهدئاً من عنف عباراته . قال : يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها عصمني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله . قال أبو بكر : والله لأقاتل من فرق بين الصلاة والزكاة : فإن الزكاة حق المال ، والله لو متعونى عقال بغير (٣) كانوا يؤذونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه » وقال عمر : ما هو إلا أن رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق (٤) .

(١) كنز العمال ج ٣ ص ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ج ٣ ص ١٧٤ .

(٣) حبل الدابة .

(٤) السبوطى تاريخ الخلفاء ص ٧٥ .

ثم عقد الخليفة (١) ألوية القتال والجهاد لأحد عشر قائداً من خيرة القواد رمى بهم إلى المرتدین فی قلب شبه الجزيرة العربية مصمماً على القضاء على تلك الحركة من جذورها وقمعها قبل أن يستفحـل خطرها ، حيث أرسل خالد بن الوليد لمحاربة طلحـة بن خويلـد الأـسدي ، ثم مـالـك بن نـوـيرـة التـمـيـعـيـ . ويعـثـ عـكـرـمـةـ بنـ أـبـيـ جـهـلـ لـنـازـلـةـ مـسـيـلـمـةـ الـكـذـابـ وـشـرـحـبـيلـ فـىـ أـثـرـهـ إـلـىـ الـيـمـامـةـ . أـمـاـ عـمـرـوـ بـنـ الـعـاصـ فقدـ أـسـنـدـ إـلـيـهـ إـخـمـادـ فـتـنـةـ قـبـائـلـ قـضـاعـةـ فـىـ نـجـدـ . كـمـاـ أـرـسـلـ كـلـاـ مـنـ الـعـلـاءـ الـخـضـرـمـىـ إـلـىـ الـبـحـرـيـنـ وـالـمـهـاجـرـ بـنـ أـمـيـهـ إـلـىـ أـتـيـاعـ الـأـسـدـ الـعـنـسـىـ بـالـيـمـنـ وـسـوـيدـ بـنـ مـقـرـنـ إـلـىـ أـرـضـ تـهـامـهـ ، وـحـذـيـفـةـ بـنـ مـحـصـنـ إـلـىـ أـرـضـ عـمـانـ ، وـعـرـفـجـةـ بـنـ هـرـئـمـةـ إـلـىـ مـهـرـهـ . كـمـاـ أـرـسـلـ الـجـيـوشـ يـقـيـادـاتـ إـلـىـ كـلـ مـنـ بـنـ سـلـيمـ وـهـواـزـنـ وـتـهـامـةـ الـيـمـنـ وـغـيـرـهـ الـتـىـ اـنـسـاحـتـ بـقـوـتـهـاـ إـلـىـ مـكـائـدـ الرـدـةـ الـتـىـ اـفـتـنـتـ فـىـ أـنـحـاءـ شـبـهـ الـجـزـيـرـةـ الـعـرـبـيـةـ وـأـمـرـ أـبـوـ بـكـرـ هـؤـلـاءـ الـقـوـادـ جـمـيـعـاـ بـدـعـوـهـ الـمـرـتـدـينـ أـلـاـ إـلـىـ التـوـبـ وـالـرـجـوعـ إـلـىـ الـإـسـلـامـ وـإـيـتـاءـ الـزـكـاـةـ فـمـنـ أـجـابـهـ قـبـلـوـهـ مـنـهـ ، «ـ فـمـنـ تـابـ مـنـ بـعـدـ ظـلـمـهـ وـأـصـلـحـ فـإـنـ اللـهـ يـتـوبـ عـلـيـهـ »ـ ، وـمـنـ اـمـتـنـعـ قـاتـلـوـهـ حـتـىـ يـجـيـبـ . كـمـاـ أـمـرـ كـلـ أـمـيـرـ أـنـ يـسـتـنـفـرـ مـنـ مـرـبـهـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ مـنـ أـهـلـ الـقـوـةـ وـأـنـ يـخـلـفـ بـعـضـ أـهـلـ الـقـوـةـ لـمـنـعـ بـلـادـهـمـ (٢)ـ .

كـمـاـ أـمـرـهـمـ الـخـلـيـفـةـ - قـبـلـ اـسـتـخـدـمـ الـسـلاحـ - بـرـدـ الشـبـهـةـ الـتـىـ نـشـأـتـ بـعـدـ وـفـاةـ الرـسـوـلـ ﷺـ بـأـنـهـ مـخـلـدـ لـاـ يـمـوتـ . فـجـعـلـ مـهـمـةـ الـقـوـادـ بـيـانـ تـلـكـ الـمـسـأـلـةـ بـأـنـ الرـسـوـلـ يـشـرـ يـمـوتـ كـمـاـ يـمـوتـ أـىـ إـنـسـانـ . وـأـنـ الـخـلـيـفـةـ لـهـ كـلـ الـحقـ

(١) « صـاحـبـ الـحـزـمـ الـقـوـىـ الـذـىـ تـصـدـىـ لـلـرـدـةـ الـتـىـ نـزـلتـ بـهـ مـاـ لـوـ نـزـلـ بـالـبـلـادـ الـرـاسـيـاتـ لـهـاـضـهاـ »ـ

(٢) رـاجـعـ الطـيـرىـ جـ ٢ـ صـ ٥٠٧ـ .

في المطالبة بدفع الزكاة من كل مستطاع مالك لنصابها لأنها مستمرة أذاؤها في كل الأوقات<sup>(١)</sup>. ثم خرج أبو بكر على رأس جم من المهاجرين والأنصار للقاء من يفلت تجاه المدينة واستنهاض همة المقاتلين . أخرج الدارقطني عن ابن عمر قال « لما بز أبو بكر واستوى على راحلته أخذ على ابن أبي طالب بزمامها فقال : إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ . أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد : شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون لإسلام نظام<sup>(٢)</sup> . كما كلمه في الرجوع إلى المدينة مجموعة من المهاجرين وقيل في ذلك « إن أبا بكر لما بلغ نقاً حذا نجد وهرت الأعراب بذرايهم كلام الناس أبا بكر وقالوا أرجع إلى المدينة وإلى الذرية والنساء وأمر رجلا على الجيش . ولم يزالوا به حتى رجع بعد أن بلغ القصة من أرض محارب لتوجيه الزحف إلى أهل الربدة ومعه المسلمين وابن عم رسول الله على يمسك زمام فرسه »<sup>(٣)</sup> .

وترامى إلى أسماع أبي بكر أن رجلاً يريد مقابلته لأمر أضمره فجيء به إلى مجلسه بالمدينة وعلم الخليفة أن الرجل هو يجير بن إياس بن عبد الله

(١) البلاذري فتح البلدان ج ٧ ص ١٠٣ ، وفي الطبرى صورة الكتاب الذى زود به الخليفة كل قائد تلخص منه « أنه من يلتقط كتابى هذا من عامة أو خاصة أقام على إسلامه أو رجع عنه سلام على من اتبع الهدى ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة . فإنما تقر بها جاء به محمد ﷺ ونكفر من أبا ونجاهده ، ثم إن الرسول قد توفى وقد نفذ لأمر الله ونصر لأمته وقضى الذي عليه . وكان الله قد بين له ذلك لأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزل فقال « إنك ميت وإنهم ميتون » « وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفاد من مت فهم الحالدون » فمن هؤلاء الله كان مهتماً ويعنى أصله كان ضالاً . وقد يلتقط ورجع من دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل بدائرارا بالله وجهاته بأمره وإجابة للشيطان وإنى بعثت إليكم - فلما - فى جيش من المهاجرين والأنصار التابعين بإحسان وأمرته أن لا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله فمن استجاب له وأقر كف وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه ومن أبى أمرت أن يقاتلهم على ذلك ويعاجله » تاريخ الأمم ج ٢ ص ٥١٤ .

(٢) السيوطي مرجع سابق ص ٧٥ . (٣) المرجع نفسه ص ٧٥ .

السلمي ينوي محاربة المرتدين بجهوده الخاصة ولكن يقصد العدة التي تعينه على مبتغاه . فأعطاه الصديق سلاحاً وفرساً بعد أن قال له « يا خليفة رسول الله احملنى وقوئى ، فحمله وقواه <sup>(١)</sup> » ، لكن بعد أن مضى القادة الذين أرسلهم بجنودهم إلى أماكن الارتداد جاءت الأخبار المؤسفة : أن بجيرو هذا كان حرياً على الإسلام أكثر من أعدائه حيث قتل عدداً من المسلمين غيله وغدوا . ولما استفحل خطره وازدادت مأساته بانضمام مجموعة من الأشرار قطعوا الطريق على السابلة للاتهاز والإستلاب . فكتب أبو بكر إلى قائده طريفة بن حاجز الذي وجهه لبني سليم وهوazon أن يلى أمر المسلمين ويقاتل هذا الآثم . فحاربه طريفة وطارده حتى نجح في احتجازه وأسره ومسيره حياً إلى المدينة . فأمر أبو بكر بإحراق بجيرو ذلك الغادر في ناحية المصلى <sup>(٢)</sup> .

هذا الحكم على الرغم مما فيه من قسوة ظاهرة إلا أن هذا يتضاءل أمام ما اقترفه هذا الظالم - بجيرو - من مذابح لنفوس بريئة بعد أن أعطى العهد ، فعامل بجيرو - الغاشم الذي لم يرع الحقوق الإسلامية - كمواطن في زمن الحرب . ومن في مثل ظروفه يتهم بالخيانة العظمى - لأنه بدلاً من أن يقتل أعداء الله قتل الرجال والنساء والأطفال والشيخوخ المسلمين واستلبه الأموال لاكتساب مقام زائلة وهذا جزاء الظالمين .

والجدير بالذكر أن أشد المتتبين خطراً كانوا ثلاثة : مسيلمة الكذاب وطلبيحة بن خوبيل والأسود العنسي ، فضلاً عن الخطير الداهم الآتي من ناحية سجاج التمييمية وقومها ، وممالك بن نويرة وجماعته .

(١) المرجع السابق ص ١١٥

(٢) فتح البلدان ج ٧ ص ١١٤ .

## • طليحة بن خوبلد :

تنبأ طليحة في حياة النبي ﷺ وكان يدعى بأن جبريل ينزل عليه بأخبار السماء وكان يحاول بعناده وصلفه أن يغير ويبدل في بعض الشعائر الإسلامية الصحيحة . فلدعى أتباعه الذي أضلهم بسعيه إلى أداء الصلاة وهم وقوف فقط وأمرهم بترك السجود لأن الله لا يسمح بتعفير وجههم . وقد ساعدته على ادعاء الوحي أنه كان يقول السجع والشعر المنظوم على هيئة خاصة . وقد شايعه قومه من بنى سليم ابن خزيمة ودعوا إليه أحلقه من طيين والغوث وغطفان وماجاورها من أهل البادية الواقعة شرقى المدينة ومن شمالها الشرقي أيضاً<sup>(١)</sup> .

وقد كان الذى قوى أمر طليحة بعد ضعفه أن الرسول ﷺ أرسل ضراراً ابن الأزرق مع مجموعة من الرجال إلى بنى سليم . وأمرهم بالقيام على كل من ارتد . فاشجعوا طلحة وأخافوه . وتنزل المسلمون بواردات والمتردون سميراء<sup>(٢)</sup> وأمر المسلمين في نماء وأمر طليحة في انتكاس . وهم ضرار أن يأخذ طليحة سلماً وضرب طليحة بالسيف فلم يضع السيوف فيه شيئاً . وأشبع أن السيوف لا يحييك في جسده . وجاء الخبر بموت رسول الله ﷺ والناس على ذلك ، فانقض من كان مع ضرار عنه ، وعظم أمر طليحة<sup>(٣)</sup> واجتمع إلى عبس وذبيان من القبائل ما زاد هذا الدعى قوة واستفحالاً مثل غطفان وطئ وفزاره والتي اجتمعت في منطقة براخة<sup>(٤)</sup> معلنة رقتها وخروجها وخلعها سلطان الخليفة الأول أبي بكر . « وقام أحد زعماء فزاره

(١) ابن سعد / الطبقات ج ٤ ص ٥٤ .

(٢) سميراء : هو موضع حول المدينة على طريق مكة .

(٣) الذهبي / سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ١١٨ والتترجمة بضرار بن الأزرق .

(٤) براخة بضم الباء : ماء لطين يأرض نجد وقيل لبني أسد . باترت / المعجم ج ١ ص ٤٠٨ .

المسى عبيدة بن حصن فى غطفان ومن حالفها على القوة واستخدام السلاح فقال لهم جميعا : « ما أعرف حدود غطفان منذ اقطع ما بيننا وبين بني أسد ، وإنى لمجدد الحلف الذى كان بيننا فى القديم . ونتابع طليحة والله لأن نتبع نبيا من الخليفين أحب إلينا من أن نتبع نبيا من قريش وقد مات محمد وبقى طليحة » (١) .

وعبا أبو بكر قواته لمنازلته تلك الجماعات وأعمال الحيلة فى تفريق تحالفهم ، فبعث إليهم - إطالة للوقت - بكتاب يهددهم فيه بالقتال إلى أن يشوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى إسلامهم . وضرب بهم خالد بن الوليد يجعله هو الموكل بحرفهم والقضاء على خطر طليحة . فعن حنظلة قال : « إن أبي بكر بعث خالدا وأمره أن يقاتل الناس على خمس ، من ترك واحدة منهن قاتله كما يقاتل من ترك الخمس جميعا : على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت . وسار خالد ومن معه في جمادى الآخرة من السنة الحادية عشر من الهجرة ليقاتل بني أسد وغطفان ومن تابعهم (٢) . ثم أشاع الخليفة في الأحياء بأنه ذاهب بنفسه إلى القصة - من أرض محارب حتى يكون عضداً لخالد بن الوليد . ثم طلب من عدى بن حاتم أن يذهب إلى قبيلة طيين يخوفهم عاقبة أمرهم إذا أصرروا على ردتهم . وفي الوقت نفسه اتجه خالد ناحية أجأ معلنا أنه ذاهب إلى خيبر - كنوع من التمويه الحربي - فأقعد ذلك طيين ويطأهم عن طليحة القابع بسميراء قبل انتقاله إلى عين بزاحة فذهب عدى إلى بني طيين يدعوهم ليرجعوا إلى الإسلام وليركونوا مع أبي بكر فقال عدى لقيهم منهم « لقد أتاكم قوم ليبحن حرمكم ولتكنه بالفحول الأكبر فشأنكم به . فقالوا له : فاستقبل الجيش فنهنهه (٣) عنا .

(١) ابن الأثير / الكامل ج ٢ ص ٢٣٢ . (٢) السيوطي / مرجع سابق ص ٧٥ .

(٣) أى كفه عنا .

حتى نستخرج من لحق بالبزاحة منا فإننا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتهن . فاستقبل عدى خالدا وهو بالسنج <sup>(١)</sup> فقال يا خالد أمسك عنى ثلاثة يجتمع لك خمسمائة مقاتل تضرب بهم عدوك . وذلك خير من أن تعجلهم إلى النار وتشاغل بهم . ففعل . فعاد عدى إليهم وقد أرسلوا إخوانهم أن يأتوهم . فأتوهم من بزاحة كالمدد لهم ولو لا ذلك لم يتركوا . فعاد عدى بإسلامهم إلى خالد وارتحل خالد ناحية الأنسر يريد جديلة فقال له عدى : إنما كالطائر وإن جديلة أحد جناحي طيء ، فأجلّنى أيامًا لعل الله ينقذ جديلة كما أنقذ الغوث ففعل فأتاهم عدى ، فلم ينزل بهم حتى بايعوه ، فجاءه بإسلامهم ولحق بال المسلمين منهم ألف راكب <sup>(٢)</sup> .

سار خالد بجيشه ومن انضم إلى طلائعه من طيء وجديلة للقاء طليحة في عين بزاحة بأرض نجد وقاتلهم وفرق تجمعات غطفان وسلمي وأسد كما قضى على بقايا المرتدين من عبس وذبيان بقيادة عبيدة بن حصن الفزارى الذى وجد من شدة المسلمين وقوة ضرباتهم ما جعله يترك جنده يعانون الهزائم وذهب مسرعاً إلى طليحة فى خلوته التى اتخذها من وبر الإبل مدعياً أن جبريل يأتيه <sup>(٣)</sup> فدخل عليه عبيدة وقال له : هل جاءك جبريل ؟

(١) ضاحية بأطراف المدينة .

(٢) ابن كثير البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١٤ ، ٣١٥ ، وما ساعد في نجاح مهمته عدى بين تبليطى طيء وجديلة اطمئنانهم إلى رأيه بينهم فكانوا يسألون أنفسهم لم تقاتل أبا يكر وصاحبنا عدى لا يطلب إلينا إلا أن نقييم على ما كان عليه الأمر في عهد الرسول ؟ وتحدث بعضهم إلى بعض فرأوا أن عديا على الحق وأنه يخلص لهم الوأى ويصنه لهم النصيحة ولم يكن في خلقهم أنه يذكره عدد المسلمين وعددهم أنه كان يريد أن يزعزعهم وتروعهم وأدى مهمته الرائعة في إبعاد طيء وجديلة فكان عدى خير مولولد ولد في أرض طيء وأعظمهم بركة : ما أورهن من عزم طليحة وأضعف قوته فماذا يفعل بنبوته هذه وقد غادرته طيء وجديلة ؟ دكتور هيكل الصديق أبو بكر ص ١١٦ .

(٣) ابن كثير المراجع السابق ص ٣١٥ .

فيقول لا . فلما جاءه الثالثة قال : نعم . قال : فماذا قال لك ؟ قال : قال لي : إنَّ لك رحأً كرجاه وحديشاً لا تنساه . قال عبينه : قد علم الله أنَّ لك حديشاً لا تنساه . ثم صاح في قومه : يا بني فزارة انصرفوا هذا كذاب . وانصرف عبينة في سبعمائة فارس من بني فزارة وطلب من عامده من تحالف مع طليحة أن ينفضوا عنه ويستسلموا <sup>(١)</sup> .

فهزم طليحة وجماعه المنتصرة وحيثند أعد هذا التنبئ فرسأله وهجينا لأمرأته النوار تاركاً عين بزاحة تطعنها السيف الإسلامية . يقول الطبرى : إن طليحة أذعن للفارار ومضى هو وزوجته إلى بني كلب حينما أحسن بالخطر وثبت على فرسه ثم حمل امرأته لينجو بنفسه وبها إلى أرض الشام وقال لقومه الذين قالوا له : ماذا تأمرنا ؟ قال : من استطاع أن يفعل مثل ما فعلتُ وينجو بأهله فليفعل . وكانت هذه خاتمة نبوته <sup>(٢)</sup> .

وقد وضع خالد حدا للقتال الدائر بعد أن أيقن أن رؤساء القبائل وعامتها الذين حاربوا في صف طليحة قد عادوا وأنابوا وأقرروا دفع الزكاة بل قالوا ندخل فيما خربنا منه ونؤمن بالله ورسوله ونسلم لحكمه في أمورنا وأنفسنا . وأرسلوا وفداً منهم للقاء أبي بكر في المدينة <sup>(٣)</sup> وقد قال الصديق لقائده خالد بعد انتصاره على طليحة وأتباعه : احرص على الموت توهب لك الحياة » . وتتمة لذلك نقول « إن طليحة بن خوبيل قد أسر فيما بعد وأرسل إلى المدينة وقبلت توبيته بعد أن رجع إلى الإسلام واستحبها من مواجهة أبي بكر ثم انضم إلى خالد بقاتل معه . وقد أشار الخليفة على خالد أن يستشيره في شتون القتال ولا يؤمره . كما سيكون له شأن كبير في فتوحات عمر <sup>(٤)</sup> ويقول البعض : إن طليحة بعد عودته إلى إسلامه وأقام

(١) المرجع السابق ص ٣١٩ .

(٣) ابن كثير المرجع السابق ص ٣١٩ .

(٤) الأزدي فتوح الشام ص ١٨٥ .

فِي الشَّامِ حِينَأَرَادَالْعُمَرَةَ فَمَرَبِّالْمَدِينَةِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ ، وَعَرَفَهُ مِنْ عَرَفَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا لِأَبِيهِ بَكْرٍ : هَذَا طَلِيْحَةُ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى مَكَّةَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَمَا أَصْنَعَ بِهِ ؟ دُعَوْهُ فَقَدْ هَدَاهُ اللَّهُ إِلَى إِسْلَامٍ<sup>(١)</sup> .

#### • مَسِيلَمَةُ بْنُ حَبِيبٍ الْخَنْفِيُّ :

كَانَ مَسِيلَمَةً مِنْ قَبْيَلَةِ بَنِي حَنْيَفَةَ الَّتِي تَنْزَلُ أَرْضُ الْيَمَامَةِ . وَقَدْ ذَكَرَتْ كَتَبُ التَّارِيْخِ عَلَى اختِلَافِ هُوَيَّةِ أَصْحَابِهِ اسْمَهُ بِصِيغَةِ التَّصْغِيرِ تَحْقِيرًا وَاسْتِهْزَاءَ بِهِ . وَفِي الْحَقِّ أَنَّ مَسِيلَمَةً « لَمَّا أَسْلَمَتْ قَبْيَلَتَهُ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ النَّبِيُّ<sup>ﷺ</sup> وَقَدْ أَوْفَى السَّنَةِ الْعَاشِرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ وَكَانَ مَعَ هَذَا الْوَفَدِ مَسِيلَمَةً وَأَصْحَابَهُ ضَغْنَ لِمَا رَأَى التَّفَافَ الْمُسْلِمِينَ حَوْلَ النَّبِيِّ وَإِحْاطَتِهِمْ بِهِ . وَيَحْظَى بِكُلِّ مَعْنَى التَّقدِيرِ وَالْحُبِّ وَالْإِخْلَاصِ أَصْمَرَ فِي نَفْسِهِ أَمْرَ الْادْعَاءِ » إِذَا مَا عَادَ مِنَ الْمَدِينَةِ تَنْبِأً وَزَعْمَ أَنَّهُ شَرِيكَ الرَّسُولِ فِي النَّبِيَّةِ<sup>(٢)</sup> كَمَا ادْعَى أَنَّ النَّبِيَّ<sup>ﷺ</sup> نَزَلَ لَهُ عَنْ نَصْفِ أَرْضِ الْمُسْلِمِينَ وَكَتَبَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ فِي آخِرِ سَنَةِ ١٠ هـ يَقُولُ : مَنْ مَسِيلَمَةُ بْنُ حَبِيبٍ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ سَلَامٌ عَلَيْكَ أَمَا بَعْدَ فَإِنِّي قَدْ أَشَرِّكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَكَ ، وَإِنْ لَنَا نَصْفُ الْأَرْضِ وَلَقَرِيشُ نَصْفُ الْأَرْضِ وَلَكُنْ قَرِيشُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ . وَقَدْ كَتَبَ الرَّسُولُ<sup>ﷺ</sup> إِلَيْهِ مَسِيلَمَةً « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مَسِيلَمَةَ الْكَذَابِ . السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَا بَعْدَ فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يَوْرَثُهَا مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »<sup>(٣)</sup> وَقَدْ كَانَ هَذَا الْمُتَّقِيُّ قدْ دَسَ إِلَيْهِ النَّاسَ بَعْضَ الْمُبَادَىِ إِسْلَامِيَّةِ الْمَحْرَفَةِ كِيَّا قَامَةِ الصَّلَاةِ الَّتِي جَعَلَهَا ثَلَاثَ أَوْقَاتٍ بَدْلًا مِنْ خَمْسَةَ بَحْذَفِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ وَنَبْذِ بَعْضِ الشَّرَائِعِ مِنْ قَطْعِ الْأَيْدِيِّ وَالْأَرْجُلِ وَدُعَا إِلَى الزَّهْدِ وَالْامْتِنَاعِ عَنْ شَرْبِ الْخَمْرِ وَالتَّقْشِفِ<sup>(٤)</sup> وَقَدْ بَدَتْ خَطُورَتِهِ

(١) طَهُ حَسِينٌ - الشِّيْخَانُ ص٨٢ . (٢) تَارِيْخُ الْيَعْنَوْنِيِّ ج٢ ب٧ ص١٠٩ .

(٣) سِيرَةُ ابْنِ هَشَامٍ - ج٤ ص٢٧٢ . (٤) الْقَرِيزِيُّ - إِمْتَاعُ الْأَسْمَاعِ ج١ ص٥٠٨ .

عندما وحد صفوفه وعقد حلفاً دينياً ودنيوياً مع سجاح وهي امرأة نصرانية ادَّعت النبوة وتعاطت العراقة فتبعتها قبيلة تميم ثم تزوج منها مسيلمة حيث كانت ديار قومها على مقرية من حدود بلاد فارس وكانت ذات كلمة نافذة فيهم فانضم منهم الكثير إلى جيش مسيلمة الذي بلغت قواته حوالي أربعين ألف رجل<sup>(١)</sup>.

وقد عقد أبو بكر لقتال تلك الجماعات بأرض البشامة - القيادة لعكرمة ابن أبي جهل ، ثم وجه قوة على رأسها شرحبيل بن حسنة في أثر جيش عكرمة ليكون دعماً له في ملاقاة بني حنيفة في أراضيهم الواسعة التي تتدلى حتى الخليج وتسكنها قبائل عديدة من بطون ربيعة ، وكانت بنو حنيفة معروفة في تلك الجهات بأنها أقواها عدداً وشدة بأس وكانت أقوى من قريش في الجاهلية وتطمع أن يكون لها منطقة نفوذ في بلاد العرب<sup>(٢)</sup> تعجل عكرمة قبل أن يواتيه صاحبه « شرحبيل » ضماناً لأن ينفرد بالنصر الذي تخمس لتحقيقه فلقيت قوات مسيلمة قوات عكرمة وهزمها لقلة إعداد رجاله وقد حفظه هذا النجاح إلى التقدم نحو الشمال فلقي جيش شرحبيل فألحق به هزيمة أخرى كسابقه وعندما علم أبو بكر بتلك الأنباء المؤسفة كتب إلى شرحبيل ابن حسنة<sup>(٣)</sup> أن توقف ولا تتقدم حتى يأتيك أمرى . كما أرسل إلى عسكر عكرمة كتابه الذي كان ملخصه « يا ابن أم عكرمة لا أربنك ولا تراني على حالها لا ترجع فتوهن وامض على وجهك حتى تساند حنيفة وعرفجة فقاتل معهما أهل عمان ومهرة . وإن شغلا فامض أنت شـ

(١) المرجع السابق .

(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ١١٨ .

(٣) وقبل كتب إليه أبو بكر كتاباً آخر قبل أن يوجه خالد بأيام إلى البشامة ومضمنه « إذا قدم عليك خالد ثم فرغتم إن شاء الله فالحق بقضاءه حتى تكون أنت وعمرو بن العاص على من أبى منهم وخالف » البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٢٥ .

تسير وتسير جندك تستبرئون من مررتم به حتى تلتقا أنتم والهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت في ظاهرهما<sup>(١)</sup>.

وقد أراد الخليفة أن يستفيد من عقبية خالد العسكرية لقمع المرتدين من بنى حنيفة فرماه بهم ودعم هذا الجيش الذي عقد له اللواء بمجموعة من المهاجرين والأنصار فيهم خمسة من حفاظ القرآن وعدده من شهد بدرًا في مقدمتهم ثابت بن قيس وأبو حذيفة بن اليمان والبراء بن مالك وزيد بن الخطاب شقيق عمر . وقد قسم خالد جيشه إلى رايات من المهاجرين ومثلها من الأنصار وثالثة بسلمي البوادي<sup>(٢)</sup> ، وعندما جاءت الأنبا ، يقدم جيش خالد إلى بنى حنيفة سار مسلمة إلى مكان في طرق اليمامة يسمى عقرايا<sup>(٣)</sup> كما تقدم خالد بطلاع جنده على كثيب يشرف على اليمامة . وقد نظم مسلمة جنده بعد أن جعل الريف وراء ظهره والصحراء عن شمالي في أربعين ألف مقاتل أو يزيدون<sup>(٤)</sup> .

وقد جاءت فلول هذا الخصم وشدد الحصار حول معسكره<sup>(٥)</sup> ودارت رحى معارك فاصلة - شرسة - لم تشهد الجزيرة العربية لها مثيلا في الضراوة والإحكام وكثرة المصابين والقتلى من الجانبين . فلم تسكن غبار تلك المعركة إلا وقد تحدد الموقف كله بهزيمة جيش مسلمة الذي أخرج المسلمين

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٢ ص ٣٥٢ .

(٢) قسم خالد جيشه رايات يجعل على المقدمه شرحبيل بن حسنة ودفع لواء الأنصار لثابت بن قيس بن شناس أما لواء المهاجرين فكان من نصيب سالم مولى حذيفة بن اليمان وجعل أعراب الوداد كل على رايته .

(٣) عقرايا في طرف اليمامة على طريق النباج وهو من أعمال العرض ( ياقوت ) .

(٤) ابن كثير البداية ج ٦ ص ١٠٦ .

(٥) خطب مسلمة في جنده قال : اليوم يوم الغيرة اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات وينكحن غير حظيات ، فقاتلوا عن أحبابكم وامنعوا نساءكم .

في مناوشات جزئية انتصر فيها بعد أن انكشف جيش خالد لكتلة ما فيه من الأعراب <sup>(١)</sup> وكانت الدائرة أن تسحق هذا الجيش الذي أخذ على غرة ، وقد وصل المرتدون إلى خيمة خالد التي كان فيها أحد الرهائن واسمه « مجاعة بن مرارة » <sup>(٢)</sup> وأرادوا الظفر بزوجة القائد إلا أن مجاعة تصدى لهم وهو في حديده المقيد به قال مجاعة « مد أنا لها جار فنعتن المرة عليكم بالرجال » فزعيلوا الفسطاط بالسيوف . ثم إن المسلمين تداعوا فقال ثابت بن قيس : بنسما عودتم أنفسكم يا عشر المسلمين اللهم إني أبرا إليك مما يعبد هؤلاء ( يعني أهل اليمامة ) وأبرا إليك مما يصنع هؤلاء ( يعني المسلمين ) ثم جالد بسيفه حتى قتل <sup>(٣)</sup> . على أن المسلمين لم يتراجعوا حتى قتلوا من بنى حنيفة جماعات كثيرة في رباطة جأش وقوة يقين بعد أن صرخوا في القوم وصدقوا الحملة وتذمر زيد بن الخطاب وخالد وحذيفة « وتكلم الناس وكان يوم جنوب له غبار . فقال ابن الخطاب لما تكلم : لا والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فاكلمة بمحني ، عضوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا في عدوكم وامضوا قدما . فعلوا فردوهم إلى مصافهم حتى أعادوهم إلى أبعد من الغاية التي حيزوا إليها من عسكرهم . واستشهد زيد بن الخطاب وقال أبو حذيفة : يا أهل القرآن زينوا القرآن بالفعال . ثم حمل فحازهم حتى أنفذهم وأصيب ، واشتد القتال وكانت يومئذ سجالا ، فكانت مرة على المسلمين ومرة على الكافرين <sup>(٤)</sup>

(١) راجع ابن كثير المرجع السابق جـ ٦ ص ٣١٩ .

(٢) هو رجل شريف كان يطلب ثارا خاصا في بنى قيم وقت هذا الصراع وأدرك ثأره مع أربعين من رجاله ثم عاد ، وفي الطريق لحق به خالد وظن أنه من بنى حنيفة وتشكل فيه فاستيقاد وتركه مقيدا في خيمته وأوصى به امرأته أم قيم وقال لها استوصي به خيرا .

(٣) سير أعلام النبلاء جـ ٥ ص ١٨ ترجمة ثابت .

(٤) المريزى : إمتناع الأسماء جـ ١ ص ٥١٣ .

وتنادى كبار الصحابة الذين ارتفعت معنوياتهم إلى ما فوق الرغبة في الحياة فاسترخصوها في سبيل الله - على خالد أن يبزهم عن مسلمي البوادي فاستجاب القائد وقال « أيها الناس امتازوا لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى . فاممتاز أهل القرى والبوادي وامتازت القبائل من أهل الباادية وأهل الحضر فوقف كل بنو أب على رايتهن وقال أهل القرى : نحن أعلم بقتال أهل القرى يا معاشر أهل الباادية منكم ، قال أهل الباادية : إن أهل القرى لا يحسنون القتال ولا يدركون ما الحرب فسترون إذا امتنتم من أين يجيء الخلل . فاممتازوا واستحرر القتال فما رأى يوم كان أحد ولا أعظم نكایة مما رأى يومئذ . ولم يدر أى الفريقين كان أشد فيهم ، إلا أن المصيبة كانت في المهاجرين والأنصار أكثر منها في أهل الباادية (١) .

وقد تمكن المسلمين بفضل هجمات خالد الماهرة أن يحققوا النصر الساحق على عدوهم . وعرف خالد أن تلك المعارك لن تحسن إلا بقتل مسيلمة إذ لم تحفل بنو حذيفة بقتل منهم ، ولما أيقن مسيلمة بأن الدائرة كانت على قومه أسرع بالانسحاب إلى ريف اليمامة المزروع ليتحصن هو ورجاله بين الأشجار ، وبابع الكثيرون من جل البدريين وحملة القرآن على الموت في صدق وإيمان فاقتحموا على بنى حنيفة مكانهم الذي تحصنوا داخله وتلاحموا في مذبحة رهيبة من فيها الطرفان بخسائر فادحة وأعمل المسلمون السيف فيمن وجده من أتباع مسيلمة بعد انكسارهم فقال مسيلمة حين قام وقد تطاير الناس عنه وقال قائلون : فأين ما كنت تعدنا ؟ فقال : قاتلوا عن أحسابكم . ونادى مناديهم للحقيقة « حقيقة الموت » ، فولجواها وأغلقوا عليهم وأحاط المسلمين بهم ، وصرخ البراء بن مالك وقيل أبو دجانة

(١) نفسه ج ١ ص ٥١٤ .

الساعدى (١) : يا معشر المسلمين احملونى على الجدار وذلك لأجل أن لا يفر من المسلمين أحد فاما النصر وإما الموت . وقد كمن البراء ووحشى الحبشي (٢) لمسيلمة ، فأسرع وحشى إليه بحريته المسمومة وأجهز عليه الأنصارى بسيفه وسط تكبير المجاهدين جميعا . وشاهدت امرأة من الفنصر مقتل مسيلمة فصاحت وا أمير الوضاعة قتله العبد الأسود (٣) . وكانت هزيمة ساحقة لبني حنيفة التى تحطمـت قواها بعد سويعات من مقتل متنبئـهم الكاذب ، وقد سمي هذا المكان الذى جرت فيه تلك المعركة الأخيرة حدقة الموت وسمى يوم المعركة يوم اليـمامـة (٤) . وقد قـتل فى أرض اليـمامـة نحوـا من إحدى وعشرين ألفا من بـنى حـنيـفة وـقـتلـ منـ المـسـلـمـينـ نـحوـ أـلـفـ وـمـائـىـ رـجـلـ مـنـهـمـ نـحوـ خـمـسـمـائـةـ مـنـ القرـاءـ حـفـظـةـ الـقـرـآنـ فـىـ مـقـدـمـتـهـمـ أـبـىـ حـذـيفـةـ وـشـجـاعـ بـنـ وـهـبـ وـزـيـدـ بـنـ الـخـطـابـ وـعـبـدـ اللـهـ بـنـ سـهـلـ وـمـالـكـ بـنـ عـمـرـ وـالـطـفـيلـ بـنـ عـمـرـ الـدوـسـىـ وـزـيـدـ بـنـ سـمـاـكـ بـنـ حـرـبـ . وـمـعـنـ بـنـ عـدـىـ وـثـابـتـ بـنـ قـيسـ بـنـ شـمـاسـ وـجـمـاعـةـ آخـرـونـ رـضـىـ اللـهـ عـنـهـمـ فـىـ الـأـوـلـىـ وـالـآخـرـينـ (٥) .

خرج خالد بعد هذا النصر ومعه مجاعة بن مرارة مكيلأً بأغلاله ، وصار يتفقد القتلى ليتفرس بين وجوه القتلى على مسيلمة ، ومر خالد بأحد القتلى

(١) إمتاع الأسماع ص ٥١٤

(٢) وحشى كان له مع الإسلام سجل من الآلام لقتله أسد الله حمزة بن عبد المطلب فيعد أن حسن إسلامه بعد فتح مكة أراد أن يقدم للإسلام عملا يحاور أن يخفى من غلواء النفوس ورصيد الكراهيـةـ لـهـ مـنـ عـمـلـهـ الشـتـيـعـ فـخـلـصـ الإـسـلـامـ مـنـ شـرـ مـسـيـلـمـةـ .

(٣) ابن كثير البداية ج ٦ ص ٢٢٣ ، الصديق أبو بكر هيكـلـ ص ١٣١

(٤) هيكـلـ المرجـعـ السـابـقـ ص ١٣٤

(٥) السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٧٦

فسائل مجاعة أهذا هو ؟ قال لا هذا خير منه هذا « الرجل بن عنقة » ، ثم مر برجل أصفر أخنس فقال مجاعة هذا صاحبكم . قال خالد قيبحكم الله على اتباعكم هذا - وكان يقصد بنى حنيفة <sup>(١)</sup> . وقد أراد خالد أن يهاجم الحصون إلا أن مجاعة بن مرارة صالحه على أن يحقن دم المقاتلة وأن يأخذ ما عندهم من نقود الذهب والفضة والسلاح وريع السيسي ، وكان خالد قد رأى ما أصاب المسلمين من المجهد وهم يخرجون من حرب إلى حرب فقبل مبدأ الصلح على الحصون ، وبعد أن تم الاتفاق ورد على خالد كتاب أبي بكر يأمر بقتل مقاتلتهم ، فرورى خالد القوم بما عاهدهم به بعد أن كتبت الشروط فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا جميعاً وفانعوا إلى الحق <sup>(٢)</sup> .

وأرسل خالد - بعد معركة اليمامة مباشرة - وفدا من بنى حنيفة بعد أن رجعوا إلى الإسلام لمقابلة أبي بكر بالمدينة ، قال لهم الخليفة حين قدموا عليه : ويحكم ما هذا الذي استنزل منكم ؟ قالوا يا خليفة رسول الله قد كان الذي بلغك مما أصابنا كان أمراء لم يبارك الله عز وجل له ولا لعشيرته فيه . ثم سألهم في بعض أسباع مسيلمة فتلوا عليه شيئاً منها <sup>(٣)</sup> فقال : سبحان الله ما خرج هذا من ير أبداً ، فأين يذهب بكم ؟ <sup>(٤)</sup> .

### ● الأسود العنسي :

اسمه الأصلى عيهلة بن كعب ، ولقب بالأسود لسواد لونه ، وهو من قبيلة

(١) الطبرى ج ٢ ص ٥١٩

(٢) المرجع السابق ص ٥٢٠

(٣) كانت خرافات مسيلمة مثل « والليل الدامس والذئب الهايس ، ما أقطعته أسد من رطب ولا يابس » وتقال يقول « والبنرات زرعاً والماضيات حصداً ، والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ، واللامفات لفاماً ، أهالة وسيناً . لتد نضالتم على أهل الورى ، وما سبقكم أهل المدن دينكم فامتعوه . والمفتر فاوروه ، والبالغى فناوموه »

(٤) نفسه ص ٥٢١

مذحج ، وقد ادعى النبوة وحاول إقناع قومه ، فآمنوا بنبوته الضالة المضللة في البحرين وعمان وحضرموت واليمن ، وكانت حركته تقوم على أساس إثارة الروح القومية في أبناء جلدته اليمنيين وتبعده خلق كثيرون من يمليون إلى الفوضى والإباحية<sup>(١)</sup> وأغار الأسود على أطراف الدولة الإسلامية باليمن واستطاع أن يطرد عمال المسلمين منها . على أن خطر الأسود - الشديد الوطأة في الجنوح والظلم - لم يقتصر على اليمن وملحقاتها بل تعداها إلى الحجاز حيث وصل نفوذه إلى الطائف بجوار مكة ، وخشى النبي ﷺ أن يزداد خطر الأسود ، فاتخذ الوسائل المناسبة للقضاء عليه وما هو إلا كاهن كان يقيم بكهف حبان بجنوب اليمن وزعم أن له شيطانا يخبره بالغيب فكان يلبس خماراً على وجهه كعادة الكهان . كما أنه أباح الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وأشاع الفساد<sup>(٢)</sup> . وكان عامل الرسول على اليمن منذ أسلمت باذان أحد الأبناء<sup>(٣)</sup> فلما مات هذا الأمير فرق الرسول ﷺ عمله بين رجال عدة ، واحتفظ لشهر بن باذان بإمارة صنعاء وجعل معاذ ابن جبل معلما يفقه الناس في أمور دينهم في مساجد مدن اليمن جميعا<sup>(٤)</sup> . وكان الأسود ينظر إلى الأبناء والمسلمين نظرة واحدة حيث اعتبرهم دخلاء على اليمن لا يحق لهم أن يمارسوا نفوذا على أرضها ، وقويت حركته وانضمت إليه بعض القبائل وغزا نجران فدانت له ، ثم قصد صنعاء فتغلب عليها . وقد قتل الوالي شهر بن باذان أثناء قتاله مع الأسود<sup>(٥)</sup> ويقال إن

(١) محمد الحضرى ، إقام الوفاء بأخبار الخلفاء ص ٤٦

(٢) ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ١٤٦

(٣) الأبناء هم الجماعة التي أقامت باليمن من الفرس منذ أن احتلتها القوات الفارسية قبل الإسلام ، وقد أطلق العرب على هؤلاء الأمراء لقب الأبناء .

(٤) راجع ابن الأثير ج ٢ ص ١٤٥

(٥) الحضرى مرجع سابق ص ٤٦

زوجته الفارسية آزار هي التي تأمرت ضده ودبرت خطة التخلص منه ، ولما تم للأسود ما أراد تزوج هذه المرأة الموثورة<sup>(١)</sup> ولما بلغ الرسول ﷺ انضمام القبائل اليمنية إلى الأسود واتساع سلطانه أرسل إلى ولاة المسلمين باليمن يأمرهم بالقيام بأمر دينهم ومناهضة الأسود وإن وزيره الفارسي رادويه وفيروز الديلمي كانه لا يضمري له الملاع وانتقد كاستيما على التخلص منه فاتفقا عليه وقتلوا ذات ليلة ليلاء عليه وعلى أتباعه ، ثم نودي بعدها بأذان الإسلام وتحققت كلمة الجماعة<sup>(٢)</sup> .

غير أن قتل الأسود<sup>(٣)</sup> لم يقض على حركته تماما لأن الكذاب العنسى نجح في أن يصطفي كثيرا من عرب اليمن ، وجنده جيشاً كثيفاً لغزو الشمال بقيادة قيس بن عبد يغوث بمعاونة عمرو بن معد يكرب الزبيدي بلغت أعداده سبعمائة فارس مجهزة بالأسلحة القوية ، إذ همته ظن المسلمين في صنعاء وما ولتها أن جو البلاد قد صفا ، لكن لما داهمهم خبر وفاة رسول الله ﷺ عاد الأمر إلى أشد مما كان عليه وارتدى العرب وعادوا إلى الخلافات تابعين لبعض الرؤساء ، فبعث أبو بكر إلى من يقى على إسلامه من سادة اليمن ورؤسائهم يأمرهم بالثبات على أمرهم والوقوف حيال المرتدين وأن يكونوا عوناً لفيروز - الذي عينه الخليفة والياً على البلاد - حتى توافقهم النجدات<sup>(٤)</sup> واجتمع لفيروز جموع من المخلصين من عرب اليمن المسلمين ، فنازل قيس بن عبد يغوث ، وقادمه بهؤلاء الرجال وصمد لأتباع الأسود

(١) الطبرى تاريخ الأمم ج ٣ ص ٢٢٧

(٢) ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ١٤٦

(٣) بشر النبي بقتله من السماء قبل وفاته ، وأخبر المسلمين ، وجاءت البشرى لأبي بكر أول توليد الخلافة واستتب الأمر فى اليمن .

(٤) البداية والنهاية ج ٦ ص ٣١١

الذين كانت هجماتهم تتميز بالشراسة والعدوان ولم يمض كبير وقت حتى اتخذ الخليفة أبو بكر الخطة الكفيلة بالقضاء على أعون الأسود وعلى رأسهم ابن عبد يغوث وابن معد يكرب وذلك بجيش كبير بقيادة المهاجر بن أمية كما أرسل إلى عكرمة بن أبي جهل ليكون في أثره معاوناً ومظاهراً له في الضربات والحماية في الوقت المناسب وليعاونا الآباء بقيادة فiroz ، وبعد مناورات عنيفة هزمت فيها جموع أتباع الأسود التي تجمعت على أشد مسعي وأخس مبتغي بعد مأسى ومذابح ودماء أسيلت في طرقات اليمن <sup>(١)</sup> وقد نجح المهاجر ومعاونه عكرمة أن يعيدا ملك البلاد إلى بيضة الإسلام بعد أن أسر رؤوس الفتنة الأخيرة « قيس بن عبد يغوث وعمرو بن معد يكرب » ويعثاهم إلى المدينة مخمورين بالأصفاد يجمعان مع عار الردة والهزيمة انكسار الخزى والندامة ليرى الخليفة فيهما رأيه . قال ابن جرير الطبرى « لما جئ بقيس وعمرو أسيرين إلى أبي بكر ، أنب قيساً على عمله الشرير ، كما ويخ عمرو على كل ذنبه وأثامه السابقة قال أبو بكر يا قيس قتلت عباد الله واتخذت المرتدين ولبيحة من دون المسلمين » وهم أبو بكر بقتله ، فأنكر قيس قتل داوديه ، ولم تكن هناك بينة تدين قيساً بقتل داوديه لأن قتله كان خفية فتجاذبى أبو بكر عن دمه ، ثم قال أبو بكر لعمرو بن معد يكرب « أما تستحبى إنك كل يوم مهزوم أو مأسور لو نصرت هذا الدين لرفعك الله » فقال « لا جرم لأقبلن ولا أعود » ثم تجاوز عنه وخلى سبيله وردهما إلى عشائرهما أتباعاً لهذا الدين بعد أن كانوا حرياً عليه <sup>(٢)</sup> . وقد سار المهاجر بن أمية من نجران ليطهر الحبيب المتبقية

<sup>(١)</sup> عبد الوهاب التجار الخلفاء الراشدون ص ٥٥

<sup>(٢)</sup> تاريخ الأمم ج ٢ ص ٥٤٢

من أدران الردة باليمن فأمر جنده أن يتعقبوا العصابات المتمردة التي أثارت الفساد في الأرض من عهد الأسود وأن يقتلوا من ثقفوه منهم لا يقبلون منهم توبة ولا إناية ، وإنما قبل من أتاب من غير المتمردة ، أما عكرمة فقد بقى في جنوب اليمن بعد أن استبرأ النجع وحمير <sup>(١)</sup> بذلك عادت اليمن كلها آمنة مطمئنة ورجع أهلها إلى دين الله الحق <sup>(٢)</sup> .

أما الحجة الواهية التي يجسمها الغمازون على الخليفة الأول لنصرته عناصر الفرس في البلاد على العرب فذلك مردود عليه بأن الإسلام - والحمد لله - لا يرى فرقاً بين عربي وعجمي إلا بالتفوي « وأن ذلك لم يكن وحده الذي دعا أبو بكر لنصرة فيروز ومن معه على قيس ومن تبعه ، بل دعاه لنصرته كذلك أن الفرس أول من أسلم باليمن ، والسابقة في الإسلام لها قدرها ثم أن العرب من أهل تلك البلاد هم الذين قاموا بالثورة على الدين الجديد ، قام بها الأسود العنسي مدعياً النبوة في عهد الرسول وقام بها أنصاره من بعده ، وباذان وشهر وفيروز والفرس حولهم هم الذين قاموا بالدعوة للإسلام في هذه الريوع ، وهم الذين استمسكوا به وقاوموا خصومه . وهم الذين أقاموا على الولاء بسلطان المدينة وخليفة رسول الله حين ارتدت العرب كلها وتضمرت الأرض في شبه الجزيرة ناراً . فلا عجب إذاً أن يؤيد أبو بكر فيروز بسلطانه وأن يمدّه بجنده وقواده . وأن يقيمه أميراً على صنعاء كما أقام النبي صلوات الله عليه شهراً أميراً عليها وكما أقام أباه باذان أميراً على اليمن كلها من قبله <sup>(٣)</sup> .

(٢) هيكل / الصديق أبو بكر ص ١٧٣

(١) النجار / مرجع سابق ص ٥٦

(٣) النجار / الخلق، ص ٥٧

## • ردة أهل دبا ومهرة (١) :

قلنا من قبل إن الخليفة عقد لواء معاشرية أهل دبا ومهرة لخديفة بن محصن الغفانى وعرفجة بن هرثمة ، وقد أمرهما أبو بكر أن يجتمعوا وكل واحد منهما فى عمله على صاحبه بعد أن زودهما بكتاب الاستشارة للمرتدين فى تلك الناحيتين ، وما كان - خبر عكرمة وهزيمته أمام أتباع مسليمة بأن جعل الخليفة عضداً لخديفة وعرفجة بعد عمان « فمضى عكرمة فى أثر عرفجة وخدبيفة فيمن كان معه حتى لحق بهما ، وقد عهد إليهم الخليفة أن ينتهاى إلى رأى عكرمة . وقد التقى ثلاثتهم على دبا ونظموا صفوفهم وبعدها وقع القتال واشتدت الحرب واقتتلوا مع المرتدين قتالاً شديداً وكاد المسلمون أن يعظم بينهم الخلل لولا أن تراحت إليهم القوى من بني ناجية وشواذب وعبد القيس فقوى الله بهم أهل الإسلام ووهن بهم الشرك ، فولى المشركون الأدبار فقتلوا منهم فى المعركة عشرة آلاف وركبوا بهم حتى أثخنوا فيهم وقسموا الأموال على المسلمين وسبوا الذرية كما بعثوا بالخمس (٢) إلى أبي بكر مع عرفجة بن هرثمة (٣) وبعدها اتجهت القوات الإسلامية إلى بلاد مهرة ، فلما وصلها عكرمة وخدبيفة لاحظا صراعاً ناشباً بين قوتين على كل واحدة منها أمير ، وكانا في أشد التناحر والاختلاف ، فكان هذا أكبر حسم للقضية لمصلحة المسلمين . من ذلك أن عكرمة راسل أحدهما واسمه شخريت ليحسنه له أمر الرجوع إلى الإسلام فقبل ذلك وأسرع هو وجنته فى

(١) دبا : سوق من أسواق العرب بعمان : وعمان مدينة قديمة مشهورة لها ذكر من أيام العرب وأخبارها وأشعارها ، وكانت قديماً قصبة عمان . ياقوت المعمجم ج ٥ ص ٤٣٥ « أما مهرة فبلاد تنسب إليها الإبل المهرية وباليسن . لها مخلاف بينه وبين عمان نحو شهر وكذلك بينه وبين حضرموت » المعمجم ج ٥ ص ٢٤٣

(٢) كان الحمس شمامنة رأس وغنمو السوق به تأثيرها .

(٣) الطبرى المربع السابق ج ٢ ص ٣٢٥

الانضوا ، تحت لواء المسلمين . وقد شجع هذا الإنجاز القائد عكرمة أن يراسل خصميه المسمى « المصبع » إلا أنه غوى وتجبر واغتر بعظم قوته إذ كيف ينضم إلى جيش فيه عدوه اللدود « شخريت » فازداد مباعدة وعتوا . فسار إليه عكرمة بالجيوش المجهزة معه وانضم إليهم والتقوا بجيش « المصبع » وتلاحمت السيفوف في معركة ضارية حيث كتب الله النصر للMuslimين بعد أن كشف الله جنود المرتدين وقتل رئيسهم ولقي مصريره العديد من جنده وركب المسلمين من نجبي وأصابوا ما شاءوا وكان الذي أصابوه ألفاً نحيبية ، فخمس عكرمة الفي قي ببعث بالأختام مع شخريت إلى أبي بكر وقسم الأربعية أخمس على المسلمين وازداد عكرمة وجنده قوة بالرکائب والمتابع والأداة فأقام عكرمة في مهرة حتى جمعهم على الذي يحب ، فبايعوا على الإسلام ، فكتب عكرمة بذلك لل الخليفة أبي بكر وبعثه مع البشير واسمه السائب من حي عابد من بنى مخزوم فقدم على الخليفة بأنباء فتح دبا ومهرة وصلبت الجماعة في إفائهما <sup>(١)</sup> .

#### • خلاصة القول :

فإن فلول المرتدين أعلنت جماعاتها على تدمها وتبؤها من مقتفياتها وسفح أعمالها . وغادت خاضعة لسلطان الخليفة أبي بكر الذي أيده الله بالنصر المبين وفي أقل من عام حيث نابت كل القبائل - الكافرة والنافرة - إلى سابق عهدها بالإسلام كما عاد الإسلام إلى سابق قوته وفي ذلك ما يدل على بعد نظر الصديق وقوة عزيمته حيث عظمت دولة الإسلام وتدعى أركانها في عهده واعتصم - من أظلته شبه الجزيرة بصفاتها - بحبل الدين القوي .

---

(١) ابن كثير البداية ج ٦ ص ٣٢٩

على أن هناك بعض الأسباب التي أدت إلى هذا الخطر الذي واجه  
سياسة الخليفة الأول . نجملها في عدة نقاط أساسية :

أ - ارتدت بعض القبائل العربية لأن الإسلام لم يكن قد تمكن بعد من  
قلوبيهم ، بل لامس شفاههم فقط والعديد من أفرادها أعلن إسلامه إما  
تقليدياً لزعمائهم « والناس على دين ملوكهم وأمرائهم » ، أو خوفاً من  
مواجهة القوات الإسلامية الظافرة . ولما بدت علامات الشقاق الظاهر في  
مؤتمر السقيفة ظن هؤلاء المرتدون إنه الخلاف الذي يؤدي إلى تفتت وحدة  
الكلمة الإسلامية ، فقامت قيامتهم ، فأرادوا تحويل الجزيرة إلى جحيم  
تغلق في أتونه السنة الفرقـة والفنـ المـتهـبة ، لـولا رحـمة الله .

ب - عودة النعـرة القـبلـية القـديـة التـى حـاولـ الإـسـلامـ بـتـعـالـيمـهـ السـمـحةـ أـنـ  
يـزـيلـهـاـ مـنـ النـفـوسـ ، إـلاـ أـنـهـاـ عـادـتـ فـورـ وـفـاةـ الـمـصـطـفـيـ الـأـعـظـمـ عليه السلامـ ،ـ تـلـكـ  
الـنـعـرةـ الـهـادـمـةـ التـىـ أـضـعـفـتـ شـأنـ الـبـطـوـنـ الـعـرـبـيـةـ وـشـتـتـهـاـ فـيـ حـرـوبـ مـسـتـعـرـةـ  
لـاـ طـائـلـ مـنـ وـرـائـهـاـ .ـ وـهـىـ التـىـ جـعـلـتـ بـنـىـ حـنـيفـةـ يـنـضـمـونـ -ـ دـوـنـ تـفـكـيرـ -ـ  
إـلـىـ مـسـيـلـمـةـ الـذـىـ اـدـعـىـ النـبـوـةـ فـىـ أـرـضـ الـيـعـامـةـ وـسـانـدـوـاـ دـعـوـتـهـ عـلـىـ الرـغـمـ  
مـنـ مـعـرـفـتـهـ بـعـدـ صـدـقـهـ وـإـنـهـ غـاشـ حـتـىـ إـنـ بـعـضـهـ كـانـ يـرـدـ أـشـهـدـ أـنـ  
مـسـيـلـمـةـ كـذـابـ وـأـنـ مـحـمـداـ صـادـقـ وـلـكـنـ كـذـابـ رـبـيعـةـ أـحـبـ إـلـيـنـاـ مـنـ صـادـقـ  
مـضـرـ (١)ـ .ـ وـكـانـ تـلـكـ الـعـصـبـيـةـ مـوجـهـةـ بـالـدـرـجـةـ الـأـوـلـىـ ضـدـ قـرـيشـ بـعـدـ  
انتـخـابـ أـبـيـ بـكـرـ فـاعـتـقـدـوـاـ أـنـهـ لـوـ تـمـكـنـ مـنـ أـمـرـ الـخـلـافـةـ -ـ بـعـدـ وـفـاةـ الرـسـولـ  
الـقـرـشـيـ -ـ فـسـيـحـكـمـ وـفـقـ هـوـاهـ مـغـلـبـاـ مـصـلـحـةـ قـوـمـهـ عـلـىـ سـائـرـ الـقـبـائـلـ  
الـأـخـرـىـ ،ـ فـتـرـجـعـ كـفـةـ الـمـيزـانـ السـيـاسـيـ دـاخـلـ الـجـزـيـرـةـ وـخـارـجـهاـ لـصـالـحـ قـرـишـ .ـ

ج - سـاعـدـ عـلـىـ إـثـارـةـ ذـلـكـ الـخـطـرـ المـدـرـ تـضـافـرـ جـهـودـ أـعـدـاءـ الإـسـلامـ الـذـينـ

(١) المسعودي / مرج الذهب ج ٢ ص ٤٠٩ . قالها عبيدة بن حصن سيرة ابن هشام ٤

وجدوها فرصة ذهبية لعودة أمجادهم المضيعة ، فتولى تحريك ألسنة النيران كلما خدمت عدد كبير من الدول والإمبراطوريات فضلاً عن اليهود الناقمين على منجزات الإسلام في الشام واليمن وأسيا وأوروبا وأفريقيا ، كما قام بها بنصيب وافر الغساسنة بأطراف الشام والمناذرة بالعراق ، وكان الهدف الظاهر دون ريب تدمير القوى الإسلامية ومحاولة وقف مسيرتها الظافرة المتقدمة .

د - وهم خلود النبي : اعتقاد الكثير من لا عقل لهم أن الرسول مخلد لا يموت ، حتى وصل حد الإفتراء والظلم فقالوا « لو كان محمد نبياً لما مات » إلا أن الجارود بن المعلى في قرية بحرنيبه اسمها « جوانا » تصدى لقومه قائلًا يا بني عبد القيس إنني سائلكم سؤالاً فإن علمتم جوابه فأجيبوا وإن لم تعلموا فلا تجيبوا ( قال ) أتعلمون إنه كان قبل محمد أنبياء ؟ قالوا : نعم ، قال : فأين هم ؟ قالوا ماتوا ( قال ) فإن محمد قد مات وإنىأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، قالوا ونشهد أن لا إله إلا وأن محمد رسول الله ، وأنك أفضلنا وسيينا (١) .

ه - تحقيق أمجاد شخصية وزعامات كاذبة لرؤوس الفتن مسيلمة بن حبيب والأسود العنسي وطليحة الأسدى والكافنة التميمية سجاح (٢) ولا يهم مبلغ الخسائر التي أريقت فيها الدماء واستنزاف المئن الكثيرة والأموال الطائلة التي كانت تحتاجها ميزانية دولة فتية - دولة الإسلام - المهم أن يصلوا إلى أطماعهم ، وقد ساعدهم على الاستمرار انضمام بعض القبائل وزعمائهما وعرب البوادي الحاذدين على الدعوة الهدادية وأصحابها ، فادعوا جميعاً النبي وأحاطوا أنفسهم بهاالة بازعة من القدسية الزائفة . واحتربوا

(١) سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٣٤٦

(٢) أرادت أن يكون للمرأة دوراً في هذا العصر وأن يرتفع صورتها ليجذب بالتبورات الكاذبة .

الكهانة وادعوا علم الغيب وأن الشياطين <sup>(١)</sup> تخبرهم بأمور الناس ، ولا يهم بعد ذلك أن تشرد الأسر العريقة في الحضارة أو تهدم تلك الدولة أو يستشهد الجواهر النادرة من خيرة الرجال - حملة القرآن دستور الدعوة الإسلامية - المهم أن تحمل دعاويمهم الباطلة محل الدعوة الراسدة . وأن يظفروا بزعامة العرب على جثث الأبراء، غصباً واقتداراً .

وهنا ظهرت شخصية الصديق في وضح نهار التاريخ عظيمة تسفر عن معدنها الأصيل الذي تصوغها نيران الأحداث . في تلك الأحداث الخطيرة التي تضافرت فيها عوامل الشر الوبيـل وقف الرجل - ليكون أسوة حسنة لمن دونه من الحكام والولاة - في بأس يفوق أعتى القوى وحزم لا يلين أبداً وشجاعة وإيمان بأن النجاح سوف يكون حلـيف القضية التي يحارب للمحافظة عليها . فوطـد عزمه على مقاتـلـتهم وإخـيـادـ حـرـكـاتـهمـ مـهـماـ كـانـتـ النـتـائـجـ ، فـوجـهـ الـحملـاتـ التـىـ أـرـسـلـتـ إـلـىـ الـمـرـتـدـينـ فـغـطـتـ أـنـحـاءـ شـبـهـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ كـمـاـ اـسـتعـانـ بـالـخـاصـ الـذـىـ بـلـغـ أـرـبعـينـ أـلـفـ دـيـنـارـ ذـهـبـيـاـ أـنـفـقـهـاـ فـىـ تـجهـيزـ تـلـكـ الـجـيـوشـ وـتـسيـيرـهـاـ <sup>(٢)</sup> كـمـاـ أـنـهـ وـقـفـ فـيـ موـاجـهـةـ بـعـضـ مـسـتـشـارـيهـ الـذـينـ طـلـبـواـ مـنـهـ فـيـ غـضـونـ الـأـزـمـةـ أـنـ يـلتـزـمـ السـكـيـنـةـ لـقـلـةـ عـدـدـ الـمـخـلـصـينـ ، وـحتـىـ لـاـ يـقـولـ مـنـ كـانـ خـارـجـ أـرـضـ الـإـسـلـامـ مـنـ الـأـعـدـاءـ أـنـ الـعـرـبـ يـقـاتـلـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ . فـلـمـ يـلـتـفـتـ إـلـىـ هـذـاـ الرـأـيـ وـصـمـ عـلـىـ الـقـضـاءـ عـلـىـ الـمـتـبـئـينـ وـالـمـرـتـدـينـ وـمـانـعـيـ الزـكـاـةـ ، وـقـدـ تـجـمـعـتـ الـعـدـاـوـاتـ وـكـثـرـ الـإـهـاجـاتـ وـاـنـتـهـىـ كـلـ ذـلـكـ بـتـفـوقـ الـقـادـةـ الـذـينـ اـخـتـارـهـمـ - بـعـقـرـيـتـهـ الـحـرـبـيـةـ - فـرمـىـ بـهـمـ أـعـدـاءـ وـاجـتـازـ أـخـطـرـ الـمـصـاعـبـ بـعـدـ أـقـلـ مـنـ عـامـ وـبعـضـ عـامـ مـنـ وـفـاةـ الـنـبـيـ الـأـكـرـمـ صلـوةـ . وـلـاـ يـقـدـحـ مـنـ جـهـودـ الـمـوـفـقـةـ دـعـمـ الـتـقـافـ الـقـبـائـلـ الـجـانـحةـ

(١) اختاروا لأنفسهم الوسائل المناسبة التي تدهم بالضلال .

(٢) ابن كثير / المرجع السابق ج ٤ ص ٣٢٩

إلى الارتداد في كيان واحد وذلك بسبب طبيعتها البدوية ونعرتها التي تقسمتها العلاقات وفتتها الأهواء<sup>(١)</sup> بل إن ذلك كان رحمة من الله لعبد الصالح أبي بكر الذي جيش زحوفه المتماسكة كالبنيان المرصوص يشد بعض أركانه البعض الآخر ، بل لم يتوقف لحظة واحدة ومعه التاريخ يستحثه للفتح خارج أرض الجزيرة حتى تزداد رقعة دولة الإسلام مع صفحات مشرفات في تاريخ الجهاد الإسلامي الذي يقتضي المزيد من البطولات وكلها إنجازات تحقت طفرة واحدة ولدت وقت الأزمة وحرك أبو بكر الدفة لصالح الدولة التي اختاره المسلمين ليحكمهما ، وسوف يبين الفصل القادم أن أبي بكر قد وصل بجهده إلى ما أراد من إظهار تعاليم الإسلام في العراق والشام ، فازدادت رقعة الدولة ، والحمد لله .

\* \* \*

---

<sup>(١)</sup> جروينبارم / حضارة الإسلام ص ١١٨

## الفصل الخامس

### الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر

لا يختلف اثنان على أن أبي بكر كان له الفضل الكبير في تدعيم صروح الإسلام وتوطيد قوى العرب ، وجعل للدولة التي يحكمها هيبة سياسية وسلطة نافذة وجيشاً كبيراً حقق من خلاله الأسس الموضعية للفتوحات وذلك بعد أن أطمأن خاطره إلى عودة الدولة الإسلامية إلى سابق بريقها وقوتها ورسوخ مكانتها كما هو العهد بها قبل وقوع الفتنة السابقة ، ولا شك أن الحماسة المتدفقة التي أودعها الرسول ﷺ وخليفته من بعده في روح الأبطال المسلمين ، كانت من العوامل المؤثرة في تدعيم الفتح الإسلامي واستمرار البعوث لأطراف الجزيرة العربية وتوسيعها والبلاد الواقعة خارجها لإحياء كلمة الإسلام في تلك البلاد ونشر تعاليمه بين ريوها والتي كان أهلها يجهلون حقيقة ذلك الدين القيم . كما أن هناك حقائق ماثلة تحقق رغبة خاصة عند الخليفة الأول أبي بكر تتواء مع طلائع الفتح المبين ، في الأقاليم المتعددة الجهات والجهات في أرض العراق والشام ، استقيناها من بين ثنايا الأحداث المضطربة السابقة . وقد أثبتتها الطبرى وأبن الأثير وأبن سعد والسيوطى وأبن خلدون فى أسفارهم المعتبرة<sup>(١)</sup> فكان لزاماً أن نبرزها أولاً .

(١) صرف أنظار الأنصار عن التفكير في شأن الخلافة : تلك التي كانت من نصيب المهاجرين ، خاصة عندما وجد الخليفة أبو بكر أن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ، الكامل ج ٣ ، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ، وطبقات ابن سعد ج ٤ ، تاريخ ابن خلدون مع المقدمة .

سکوت البعض كان على مضض <sup>(١)</sup> وأن زعماء المعارضة قد هددوا في مؤقر السقیفة بحمل السلاح وفي مقدمتهم سعد بن عبادة وأهله حتى يعود إليهم ما اعتقادوا أنه من حقهم <sup>(٢)</sup>.

(٢) الميل الفطري للقتال : والذي كانت تتميز به بطون العديد من القبائل العربية حيث كانت تقاس أمجاد الرجال بما حققه من انتصارات شخصية وفي حروب داخلية ، فكان الرجل يفاخر بعدد ما أذل من الأعناق وكم من الأبطال تصدى في منازلاته وما إليه من الأمجاد الخاصة التي تتضاعل بجانبها كل ما عدتها من مكتسبات الحياة ، فبدلاً من استنزاف الجهد في منازعات داخلية استفاد الخليفة أبو بكر من هذا الميل بتوجيهه إلى أرشد السبل وخدمة الدين لنشر مبادئه السامية في أرجاء المعمورة الأرض ، ودفعاً عن الإسلام ضد أعدائه المتربصين به .

(٣) توبية المرتدين : إن الإرادة القوية التي أحاطت بالعديد من بقى من المرتدين على قيد الحياة وإعلانهم عن تقديم كل ما من شأنه أن يزيل من التفوس الإسلامية تلك الآثار السيئة التي أحدثوها . وانقلاب صنيعهم فجاهر العديد منهم بصدق النية في الانضمام إلى صفوف الطلائع الإسلامية طمعاً في نيل الشهادة في ميادين القتال حتى يكفروا عن بعض خططيائهم التي ارتكبوها في حق الله ورسوله وذلك بعد أن تخلصوا من تراكمات الأحقاد التي غلفت قلوبهم ، وكان الموت في سبيل الله أحب

(١) مثل الحباب بن المنذر الذي نادى على بشير بن سعد فور بيعته داخل السقیفة فقال له : «عاتك عاتق ؟ ما اضطرك إلى ما صنعت ؟ أنسفت على ابن عمك الإمارة » .

(٢) قبل إن الحباب قام إلى سيفه فأخذه فبادروا إليه فأخذوا السيف منه فجعل يضرب بشيء وجههم حتى فرغوا من البيعة ، فقال الحباب : فعلتموها يا معشر الأنصار ، فقال له أبو بكر : أمّا تخاف يا حباب ؟ ( قال ) ليس منك أخاف ولكن من يجيء بعدهك » طبرى ج ٢

إليهم من الحياة ، صحيح أن أبو بكر قد صمم على إطالة مدة الحظر من استخدامهم حتى يحول بينهم وبين هذا الشرف الذي اشرأبت إليه نفوسهم كنوع من العقوبة النفسية استمرت إلى قبيل وفاته بقوله إن الإسلام ليس في حاجة إلى من كانوا حريبا عليه إلى فك هذا الحظر ويدت بطلolas رجال منهم كطليحة الأسدى الذى انضم إلى جيش خالد ليقاتل معه وقد أشار أبو بكر على خالد أن يستشيره فى شئون القتال ولا يؤمره<sup>(١)</sup> . وسوف تسجل صفحات مجيدة للبطولة والإقدام فى يوم اليرموك للعديد منهم فى مقدمتهم عمرو بن معد يكرب الزبيدي وقيس بن مكشوح وطليحة أيضاً .

(٤) تحقيق الوحدة : حيث رغب أبو بكر فى إنجاز عظيم هو تأليف القلوب وتلاحمها على الحب والمؤازرة فى وحدة عربية متماaska تحت راية الإسلام لا فرق بين قرشى وغير قرشى ، وكان الهدف المرجو نشر الدين الإسلامي - كما قلنا - خارج شبه الجزيرة العربية والإنسان خارج وطنه يحس بتشابك المشاعر القلبية مع أبناء جلدته ، وقد ظهر ذلك واضحا فى حالة المروء - التى سوف تغطيها الصفحات القادمة - ضد الفرس والروم ، فلم يعتر المجاهد المسلم شعور بالوحشة عندما كان يحارب فى العراق والشام لأن القطرين كان يقيم بهما بعض القبائل العربية . حيث يوجد بالعراق قبائل مثل بكر وتغلب وبالمحيرة المناذرة ، أما فى تخوم الشام فكانت قبائل قضاعة والغساسنة تتخذان منها مكانا لإقامةهما ، فغزو هذين الإقليمين هو فى واقع الأمر غزو الجندي العربى لأرض عربية فلم يحس بغريبة أو وحشة إطلاقاً .

---

(١) ابن كثير البداية ج ٦ ص ٣١٩

## • فتح العراق :

بعد أن فرغ الخليفة أبو بكر من القضاء على كل فتن الردة شرع في إرسال الزحف وتحشيد القوات الإسلامية للذهاب إلى العراق والشام دفعة واحدة . فيما كاد الجندي ينصرفون من بلاد البحرين بعد انتصارهم على فلول الارتداد حتى أتته الأنباء برغبة بعض القبائل - بكر وريبيعة - لإتمام الزحف نحو العراق خاصة وان العديد من القبائل نظرت إلى الدولة الإسلامية بعيون الإكبار والإعجاب ، وأن تلك القبائل قطعت كل جسور التعامل مع الدولة الفارسية سياسياً واقتصادياً ، الأمر الذي شجع أبي بكر على الاستئثار للذهب لمعاونة تلك القبائل والتي كان على رأس سادتها القائد المظفر « المثنى بن حارثة الشيباني » من قبيلة بكر بن وائل المتاخمة لبلاد فارس <sup>(١)</sup> فأجابهم الصديق إلى ما طلبوا وأمرَّ عليهم المثنى بعد أن نجح في حشد مجموعة من خيرة رجاله الذين بلغ عددهم ثمانية آلاف مقاتل وقد ساعد على إقام الفتح هناك أن الأوضاع داخل أرض العراق كانت مهيأة بعد الظلم الواقع من أكاسرة الفرس للأهلين <sup>(٢)</sup> كذلك كانت أوامر الخليفة محددة إلى قواده بالعراق « أن لا ينالوا من هؤلاء العرب ولا يتعرضوا لهم بسوء » فأرسل المثنى إلى أبي بكر كتاباً يعلمه فيه ضراوته بفارس وينبهه بوهن القوم ويسأله أن يمدء بجيشه دعماً له ليؤثر في فارس <sup>(٣)</sup> ولقي المثنى ترحيباً من أبي بكر <sup>(٤)</sup> على التوجه إلى فارس

(١) الطبرى تاريخ الأمم ج ٣ ص ٣١٨

(٢) المرجع السابق ص ٣١٨

(٣) البلاذرى فتح البلدان ج ٢ ص ١٠٨

(٤) بعد أن استمع إلى ترزيكة قيس بن عاصم المنقري للمثنى قال : « هذا رجل غير خامل الذكر ولا مجھول النسب ولا ذليل العياد هذا المثنى بن حارثة الشيباني » الدينوري الأخبار الطوال ص ٦٤

فواصل زحفه ناحية الشمال . وأصبحت على عاتقه مسؤولية ضخمة بتلك القيادة « ففور وصوله إلى نهر الفرات جاءه كتاب الخليفة يشجعه على مواصلة الزحف في النواحي مما يليه وقد التقى عند مصبات النهر بقوات فارسية تفوقه عدداً وعدة وفي قتالهم بما معه من جنود قليلين أمر فيه مخاطرة كبيرة » (١) .

أضف إلى ذلك :

أ - إن جهود كل من معه من الجندي قد استنفذتها حروب البحرين أثناء قتال المرتدين .

ب - كانوا أثناء سيرهم على ساحل الخليج إلى الشمال حتى وصلوا إلى جنوب العراق كل ذلك تم مراجلة على الأقدام دون راحة على الطريق . صحيح أن الحماسة الدينية قد غلبتهم حتى وصلوا .

ج - أن بأس الفرس بينهم شديد - هذا صحيح - لكنهم لن يفرطوا في العراق وهم غير تاركي المثنى القائد العربي يضيع ملوكهم بسهولة (٢) .

والجدير بالذكر أن المثنى لما وجد المقاومة الضاربة ضده من الخاميات الفارسية المستحكمة هنا اتبع خطة عسكرية موفقة مؤداها « الدفاع عن مراكزه التي بسط يده عليها » وكانت تلك خطة أولى على طريق فتح العراق « وقد ترا مت الأنبياء بأن المثنى قد وضع يده على القطيف وهجر حتى بلغ مصب دجلة والفرات وأنه قضى في مسيرته هذه على الفرس وعمالهم من عاونوا المرتدين في البحرين . كما أنه نزل في قبائل العرب

---

(١) أبو حنيفة الأخبار الطوال ص ٧٨

(٢) راجع ابن دحلان الفتوحات الإسلامية ص ٨٨

الذين يقيمون بدلتنا النهرين <sup>(١)</sup> من بنى لثم وتغلب وإياد والنمر فتحدث إليهم وتعاهد معهم <sup>(٢)</sup> . أما الخطوة الخامسة على طريق الفتح فتسدّعندما طلب القائد العربي المثنى بن حارثة المدد من الخليفة أبي بكر . فدعمه بكتيبة على رأسها خالد بن الوليد ، عدتها خمسمائة مقاتل ، وكان جنود خالد قد قل عددهم أثر حرب اليمامة مع بنى حنيفة . وقد اتضم إليه - فوق ما معه - متطوعون كثيرون رغبة منهم في نيل الشهادة . وقد كانت أوامر الصديق لقائده خالد الاستعداد للذهاب إلى العراق ، وقد إهتم بذلك الأمر فور منصرفه من أرض اليمامة <sup>(٣)</sup> وكانت خطة الصديق لخالد : « أن سر إلى العراق حتى تدخلها وابداً بفتح الهند <sup>(٤)</sup> وهي

(١) دجلة والفرات .

(٢) هيكل الصديق أبو بكر ص ١٩٨

(٣) أخرج البيهقي في سننه ، عن إسحاق في قصة خالد بن الوليد حين فرغ من اليمامة قال : وكتب أبو بكر إلى خالد وهو باليمامة « من عبد الله أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى خالد بن الوليد والذين معه من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، سلام عليكم فإنني أعلم باليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فالحمد لله ألمجز وعده ونصر عبده وأعز زليه وأذل عدوه وغلب الأحزاب فردا ، فإن الله الذي لا إله إلا هو قال 『 وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلكم وليسكزن لهم دينهم الذي ارتضى لهم 』 وكتب الآية كلها وعداً من لا خلف له ومقلا لا رب فيه وفرض الجهاد على المؤمنين » فقال « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » حتى فرغ من الآيات ( قال ) فاستتمروا بوعده الله إليكم وأطیعوه فيما فرض عليكم وإن عظمت فيه المؤنة واستبدلت الرزية وبعدت المشقة وفجعتم بالأموال والأنفس فإن ذلك يسير في عظيم ثواب الله . فاغزوا في سبيل الله يرحمكم الله - خلقا وتقلا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم - وكتب الآية ألا وإنى وقد أمرت خالد بن الوليد بالمسير إلى العراق فلا يبرحها حتى يأتيه أمرى ، فسيروا معه ولا تشققا عنه فإنه سبيل يعظم الله فيه الأجر من حسنة فيه نيته وعظم في الخير رغبته . وإذا وقعت بالعراق فكونوا بها حتى يأتيكم أمرى كفانا الله وإياكم مهمات الدنيا والآخرة والسلام عليكم » كنز العمال ج ٢ ص ٢٨٤

(٤) الفرج مرض الخلل والمخافة .

الإبلة<sup>(١)</sup> وتألف أهل فارس ومن كان في ملكها من الأمم . كما طلب منه أن ينظم جيشه بعد استنفاره وأن يسير لتجدة المثنى بن حارثة ليضم جيشه إلى قوات بكر وربيعة<sup>(٢)</sup> وأسرع خالد فور فراغه من أمربني حنيفة وذلك في المحرم من السنة الثانية عشر من الهجرة ليكون دعماً للمثنى متبعاً الجانب الغربي للفرات متوجهاً البطائح والمستنقعات وبلغت قوات تلك الجبهة - آنذاك - عشرة آلاف من الجنود البواسل احتشدوا في جيش واحد بعد انضمام جيش خالد إلى جند المثنى وما تبعه من المتطوعة ، وبعد أن استقرت القوات وصل إلى خالد كتاب الخليفة أبي بكر وفيه ينبهه بتعيينه قائداً عاماً على قوات المسلمين بفارس وفيه يخبره بأنه قد أمده بالقعقاع بن عمرو . وقيل لأبي بكر : أقدره برجل واحد ؟ قال لا يهزم جيش فيه مثل هذا يقصد القعقاع<sup>(٣)</sup> وقسم خالد ذلك الجيش إلى ثلاث فرق تولى هو قيادة واحدة وأعطي لواء الفريقين للمثنى وعدى بن حاتم الطائى على أن يسير الأخير بفرقته إلى كلدة<sup>(٤)</sup> لضمها إلى بلاد الإسلام وأنفذ الفرقة الثانية بقادتها المثنى إلى بلدة الإبلة على مصب الفرات - وكانت ذات أهمية تجارية فائقة حيث تسير منها القوافل إلى السند والهند وترد إليه منها إلى العراق - ورابطت الفرقة الأولى بقيادته على الفرات ثم سار إلى بلدة تسمى الحفير<sup>(٥)</sup> - بين بلاد فارس وببلاد العرب - ثم كتب القائد خالد إلى هرمز عامل الفرس على كلدة والفرات رسالة ملخص مضمونها :

(١) الإبلة بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل منه إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة - المعجم ج ١ ص ٧٧

(٢) ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ٢٦

(٣) المرجع السابق ص ٢٨

(٤) من منازل طرق مكة إلى الكوفة .

(٥) الحفير : أول منزل من البصرة لم يريد مكة ( معجم البلدان ج ٢ ص ٢٤ ) .

« أما بعد أسلم تسلم واعتقد لنفسك وقومك الذمة وأقرر الجزية وإن أبيتم فإن معى قوماً يحبون القتل في سبيل الله كما تحب فارس الخسر<sup>(١)</sup> واتصل هرمز بملك الفرس اردشير بعد وصول كتاب خالد بن الوليد إليه وأخذ يجهز جيشه ويجمع جموعه واتخذ في بلدة الكواظام معسكرًا لجيشه استعداد للاقاء العرب بقيادة خالد ، وعندما أتته الأخبار بأن الطائفة الإسلامية قد حطت رحالها عند الحفيير أسرع بجنده فنزل بالقرب منهما ، وكانت المواجهة الخامسة التي أفضت كتب التاريخ في ذكر تفاصيل أحداثها وبطولات رجالها في المعارك الجزئية التي خاضوها وبحسم ضد القوى الفارسية الضخمة .

#### ٥ معركة ذات السلاسل :

كتب القائد العام لجيش المسلمين خالد بن الوليد إلى المثنى وعدى والقعقاع وغيرهم وواعدهم على الاجتماع في منطقة الحفيير ليكون في اجتماعهم على الهيئة عدة لجيش الإسلام وقوتها له .

وجعل خالد على ميمنته - أثناء القتال في تلك المعركة - عدى بن حاتم وميسره فرقة بقيادة المثنى بن حارثة « أما هرمز الذي كان من أخبث الناس وأشدهم دهاء وأعظمهم نكارة تضرب العرب به مثل في الكفر والخبيث فيقولون « أكفر من هرمز » لما كان منه من سوء الجوار لهم<sup>(٢)</sup> فكانت ميمنته معقودة لقباذ وميسره أستنده للأمير أنوشجان وهما من بيت الملك في بلاد فارس<sup>(٣)</sup> وإن القائد الفارسي قبل أن تتلاحم قواته مع

(١) ابن دحلان الفتوحات ص ٩٨

(٢) البلاذري فتوح البلدان ج ٢ ص ١١١

(٣) الطبرى ج ٢ ص ١٠٦

جند العرب في تلك المناوشات العنيفة قد جعل رجالاً في أيديهم السلسل كل فرقة في سلسلة حتى يكون ذلك أدعى للثبات فلا سبيل إلى الفرار أو التراجع فظهرت جموعهم في مواقعهم بهذه الطريقة وفي مقدمتهم راكبوا الفيلة ، والجدير باللحظة أن السلاسل والفيلة كانتا من العوائق التي بزرت للقائد العربي حيث الخيول العربية التي يركبها فرسان الإسلام كانت تحجم ولا تسرع وأحياناً تتوقف عند رؤية الفيلة التي لا عهد لهم بها في حروبهم داخل الجزيرة العربية هذا فضلاً عن أن هرمز قد اتخذ المنطقة التي نزل بها عند الكواظام وهي منطقة استراتيجية بها غدير ما ليشرب منها عسکره .

أما خالد فقد نزل قبله في معسكر يعز فيه الماء عندما أشار إليه بعض الجنود العرب إلى هذا الفارق قال « ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ثم جالدهم على الماء فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين <sup>(١)</sup> . وما هي إلا سويعات حتى أرسل الله سحابة فأغدرت وراء صف المسلمين وهم ركبان على خيولهم فقويت قلوبهم وفرحوا ببشرارة مولاهم <sup>(٢)</sup> وفيها اتبع خالد سبييل الحرب الخاطفة الفجائية في جبهة متعددة شملت مناطق الحيرة وكلدة وأرض الجزيرة والجسر الأعظم والكواظام <sup>(٣)</sup> ومؤداتها أن يظهر أمام العدو ثم يختفي فجأة وينتقل من موقع إلى آخر بسرعة خاطفة أذهلت عسکر خصومه حتى ظنوه يحاربهم في وقت واحد في المناطق المذكورة <sup>(٤)</sup> أما ساعة الصفر فقد علا جهيرها عندما نادى هرمز على خالد أن ينازله ويبارزه

(١) ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ٣٨

(٢) ابن دحلان الفتوحات ص ٩٨ - ٩٩

(٣) البلاذرى المرجع السابق ص ١٢٢

(٤) عياد . نظم الحرب في الإسلام ص ٧٨

وكانت الخطة الفارسية (١) حيث اتفق هرمز مع أصحابه على الغدر بخالد وقت المبارزة فبز إلية خالد ومشى نحوه راجلاً ونزل هرمز أيضاً وتضارباً فاحتضنه خالد وحمل أصحاب هرمز على خالد ليفتوكوا به غدراً فلم يلتفت إليهم خالد ولم يشغله ذلك عن قتله إلا أن القعقاع بن عمرو كان مع مجموعة من المقاتلة قد أزاحوهم وبعد أن أجهز خالد على هرمز بطعناته القاتلة دارت رحى المعركة وولت قوات الفرس مدبرة منهزمة وفي مقدمتهم قباد وانوشجان ، وركب المسلمين الفرس واقتحموا الجسر الأعظم يتبعقون من يقى من الفرس وأخذ خالد سلب هرمز وكانت قلسونه تقدر بمائة ألف (٢) وبعث خالد بالفتح والأخamas إلى أبي بكر الصديق (٣) أما المثنى : فقد كانت مهمته في تلك المعركة مطاردة المهزمين والقضاء على أي بقىء من الجيوش الفارسية التي كان يراودها الأمل في تنظيم لقوات تنازل المسلمين فاستطاع المثنى أن يحاصر حصن المرأة (٤) ففتحه وقد ترك المثنى أخاه المعنى على حصار هذا الحصن فحاصر زوجها في حصنه فقضى الحصن على من فيه وأعمل فيه سيفه واستفاء أموالهم ثم استمر يطارد بقية الجيش ولم يتعرض خالد وصحبه إلى الفلاحين لأن الخليفة أباً بكر أمرهم بذلك وتركهم وعمارة البلاد بعد دفع الجزية التي بلغت مائة وعشرين ألف دينار ذهبي (٥) .

(١) لا تعرفها أخلاق الفروسية العربية الأصلية وهي الضرب من الخلف على أمل أن يدب هذا العمل الوهن في صفوف القوات الإسلامية فهرمز يعرف أن قتل خالد بأي صورة تضمن له الظفر الذي يتطلع إليه ، ويكتب لمسكره الفارسي الغليبة على الجندي المسلمين مهما كانت حماستهم .

(٢) يقال إن هرمز كان قد تم شرفه في الفرس والعادة المتتبعة إذا تم شرف الرجل بينهم تكون قلسونه بمائة ألف . (٣) الخضرى إقام الوفا ص ٥٦ .

(٤) وهو حصن كانت تقيم فيه أميره قادسية وأسلمت فتزوجها المثنى بعد قتل زوجها .

(٥) ابن دحلان الفتوحات ص ١٠٠ .

## • المزار (١) :

ثم تقابل خالد بمساعدة المثنى ومعقل بن الأعشى قوات فارسية أراد على هزيمة هرمز فقد تجمعت بقيادة قارن بن فريانس في موقعة عر- بالمدار حيث وصلت المعلومات إلى جيش الإسلام أثناه، تحركه بأمر هذه التجمعات الجديدة فلم ترتكب قوات خالد لهذه المفاجأة وقد عرف المثنى مهمته وأدرك مسؤوليته الدقيقة في مواجهة تلك القوات التي كانت أن تطوق الجيش الإسلامي فبدأ يفرقتها يشغل قارن عن مسعاه في الوقت الذي ظهرت فيه قوات خالد في الميدان . وقتل قارن وأنوشجان وقباذ (٢) كما قتل من الفرس ثلاثين ألفاً سوياً من غرق ، وما منع المسلمين من مطاردتهم غير مياه المثنى . وبعد قتل أمراء الفرس أقر خالد للفلاحين الجزية وغنم في تلك الواقعة مغانم كثيرة حتى زاد سهم الواحد على ثلاثين ألفاً وقسم خالد الأنفال على أهل البلاء وتبعيغ الجندي وصارت كل واقعة أنكل على الفرس من التي قبلها (٣) .

## • وقعة الولجة (٤) :

بعد أن تطاعت أنباء هزيمة المدار إلى أدرشير أعد جيشاً كثيف العدد على رأسه « الأندرا زعر » كان فارساً من مولدى السواد . وأرسل بهن

(١) المدار ، تقع في منطقة ميسان بين واسط والبصرة وهي قصبة ميسان بينها وبين البصرة مقدار أربعة أيام .

(٢) يادر الشجعان من الأمراء للمنازل حيث نجح معقل بن الأعشى في قتل قائد الجيش قارن . كما قتل عدى بن حاتم منازله قباذ . أما أنوشجان فكان حتفه على يد عاصم بن عمرو التميمي .

(٣) ابن الأثير مرجع سابق جـ ٢ ص ٣٢ .

(٤) الولجة موضع يأرض العراق كان بينها وبين القادسية قبض من مياه الفرات وهو يأخذ . كسر بين البصرة والكونة .

جازويه إمداد له فى أثره بجيش . ولم ينتظر خالد حتى يقتحم « الأندر » جنده بل زحف هو بعد ما أقام على المزار قوة تحميء من الخلف كما ادخل قوة أخرى تكون على هيئة كمين يفاجئ قوات الفرس أثناء الاشتباك . والتقى الجيშان عند الولجة بأرض كسکر وقد أمر خالد قوات الاندر حيث قاتلهم قتالاً عنيفاً وشن عليهم الغارة حتى ظن الفريقان أن الصبر قد نفذ واستبطأ خالد كمينه فلما بلغ القتال أشد خرج الكمين على الفرس من تاحيتين فانهزمت الأعاجم وأخذ خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم فقتل منهم خلقاً كثيراً وقد أصيب العدد الوافر من نصارى بكر بن وائل ومات الأندر زعر عطشاً في الصحراء الغربية وتم ذلك في شهر صفر عام اثنى عشرة من الهجرة وصار الفلاحون ذمة للمسلمين كما سبى ذارى المقاتلة ومن والاهم من قبائل العرب في مقدمتهم جابر بن بجير وإينا لعبد الأسود بن بكر بن وائل <sup>(١)</sup> .

#### • وقعة اليه <sup>(٢)</sup> :

لم يمض طويلاً وقت على موت « الأندر زعر » حتى أستندت رئاسة الجندي إلى داهية آخر اسمه بهمن جاذويه الذي جمع أشتاباً مخلطة من نصارى العرب المotorين خاصة عبيد الأسود والعجلاني <sup>(٣)</sup> ومن له ثأر من جند فارس استغل قائد الفرس حماسهم لرد بعض الاعتبار لتلك الهزائم التالية . فأسرع خالد الذي لم يكن في تلك الليلات يبيت إلا على تعبئة كاملة فاستشعر الخطر ، فعاجل التحالف الجديد عند اليه شمالي المزار .

(١) ابن الأثير مرجع سابق ج ٢ ص ٢٧ .

(٢) اليه موضع في أول أرض العراق من ناحية الbadie وهي قرية من قرى الأنبار .

(٣) وقد تصدى لهؤلاء النصارى مجموعة من مسلميبني عجل منهم عتبة بن التهاش وسعيد ابن مرد وفرات بن حيان والثني بن لاحق ومذعور بن عدى وكانت أشد الناس على قتال هؤلاء النصارى .

وكان قائد فارسي اسمه جابان قد أعد طعاماً لجنده في سماط وعند ذلك وصل خالد رفعوا أيديهم عن طعامهم . وقد أمرهم قائدهم أن يضعوا السبز في هذا الطعام فاشغلوا عنه . وعندما حط خالد أنفاله طلب مبارزة عبد الأسود وابن أبيجر ومالك بن قيس فبرز إليه مالك من بينهم فقتلته خالد بعد أن سخر منه فقال جابان ألم أقل لكم ما دخلتني من مقدم جيش وحشة إلا هذا ! . واقتتلوا قتالاً شديداً وقد أمعن جند المسلمين فيهم تقتيلًا وقدرت خسائرهم بسبعين ألف مقاتل فصدق فراسة خالد الذي قال « اللهم إن هزمتهم فعلى أن لا أستبقى منهم من أقدر عليه حتى أجري من دمائهم نهرهم » . وسمى النهر بنهر الدم <sup>(١)</sup> وبعد أن أنزل الله نصره للMuslimين أكب خالد على هذا السماط الذي وضعه الأعاجم في اليس فقال لجنده : هذا نفل - غنيةمة - فأنزلوا فكلوا . فنزل المجاهدون فأكلوا الطعام وكان فيه مرقاً لم يعرفه أهل البداية فصاروا يسألون ما هذه الرقعة ؟ فقيل لهم إنه رقيق العيش فقالوا بلى قالوا فهذا هو رقيق العيش <sup>(٢)</sup> .

### • وقعة أمغشيا <sup>(٣)</sup> :

ثم سار خالد إلى أمغشيا بعد أن فرغ من الوعة الأخيرة فأجلى أهلها عنها ثم خرب مبانيها بعد أن حاز ما بها من مؤن ومتاع وحيوان وسلاح . ويعث بخمس الغنائم إلى الخليفة أبي بكر بالمدينة حيث أصاب ما لم يصيروا مثله . فقد بلغ سهم الفارس ألفاً وخمسمائة درهم سوى النفل <sup>(٤)</sup> الذي أعطاها خالد لأهل البلاد . ولما جاء الخبر مع الخمس إلى أبي بكر مع جندل

(١) فتوح البلدان جـ ٢ ص ١١٥ . (٢) ابن كثير البداية جـ ص ٣٤٧ .

(٣) أمغشيا كانت مصر كالميره وكانت اليس من مساحتها .

(٤) النفل الغنيةمة .

من بنى عجل . أخبر قريشا الخبر فقال « يا معاشر قريش عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراديله أعجزت النساء أن يلدن مثل خالد » (١) .

الهبت هذه المخوب حماسة المسلمين حتى أن المثنى بن حارثة ظل يطارد الجندي المنهزمين الفارين من ضربات خالد المحكمة وكأنه يريد أن يتعقبهم حتى أبواب المدائن ومعه قوات في غاية من قوة البأس وعزيمة صلبة لا تلين وكلما زادت المغامن والسبايا والذراري في قبضتهم كلما ملأهم ذلك عزة وشكرا لأنعم الله عليهم (٢) وظل المثنى جنديا يطيع وقائدا يطاع مستمسكا بمبادئه عظيمًا في قتاله حتى توغلت فرقته في بلاد فارس في بانقيا وياروسما والمحصيد والثنى والبشر والرضايب والقراض . ولقد أدى دوراً كبيراً خطيراً في هذه المعارك وكان له الفضل في النتائج التي انتهت إليها (٣) .

#### • الأنبار وذات العيون (٤) :

أما خالد بن الوليد فقد اتجهت أنظاره إلى الأنبار وعلى المقدمة الأقرع ابن حابس . ولما بلغ الجيش الإسلامي تلك المنطقة وأنشد صاحب المقدمة القتال - وكان قليل الصبر - وتقدم إلى رماته وكانت المدينة متخصنة

(١) ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ٣٥ ، ابن كثير البداية ج ٦ ص ٣٤٧ .

(٢) التجار الخلقاء ص ٧٧ .

(٣) محمد عبد الجبار الدرمي . المثنى بن حارثة ص ٨٧ ، بانقيا : بلدة بين واسط والبصرة . وياروسما : ناحية من سواد بغداد . والمحصيد : موضع في أطراف العراق من جهة المجزرة . والثنى : علم لموضع بالجزيرة قرب رصافة الشام . والبشر : موضع بالجزيرة شرقى الرصافة . والرضايب والقراض : موضعان على حدود تخوم الشام والعراق والجزيرة فى شرقى الفرات . ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ، ج ٤ .

(٤) نسبة إلى ما فيها من أنابير عديدة لحفظ الفلال في الأهراء ، والعيون لكثرة ما فتا من العيون . وهي مدينة على الفرات غربي بغداد .

بأسوارها وخندق عميق حفر حولها . وعند أول نقطة للنفاذ أمر خالد بالإبل الضعاف فنحرت وألقيت على المنفذ فسدته واقتصر الجندي من فوقها إلى الأسوار فحطموا أبوابها وكانوا على أهبة الدخول إلى المدينة يضمن إليها قتلاً وسبباً (١) .

وما أضجع المسلمين والكافر في الخندق فأرسل أميرهم « شيرازاد » (٢) إلى خالد وينزل له كل ما أراد ، فصالحه على أن يلحقه بأمنه في جريدة من خيل ليس معهم من المtau شئ . وقبل خالد وسرح شيرازاد إلى بهمن جازوبيه فصالح أهل الأنبار وأهل كلوا ذي صالح من حولهما واستتب له الأمر (٣) وقد قيل إن خالد أمر رماته أثناء تراشق النبل من وراء الأسوار أن يركزوا على أعين الأعاجم وقال « إنى أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب فارموا عيونهم ولا تخوا غيرها ففقأوا ألف عين ولذلك سميت الموقعة أيضاً بذات العيون » (٤) .

#### • صلح الحيرة (٥) :

ومن أحسن المفاخر التي يزدان بها جبين الحربة الإسلامية في عصر أبي بكر ما حدث على أرض الحيرة من حرب وسلم توافقنا معاً ، حيث يقدم المحارب المقدام خالد على هذا العمل العبرى فيجدد التأييد والباركة من

(١) الدينوري الأخبار الطوال ص ١١١ .

(٢) صاحب سباط .

(٣) ابن الأثير كامل ج ٢ ص ٩٩

(٤) ابن كثير البداية ج ٦ ص ٣٥ . والجلدي بالتسجيل ما ينقله الطبرى في موسوعته في شأن تعلم الصحابة الكتابة العربية من عرب الأنبار ( قال ) كان يختصر قد أباح الأنبار للعرب فنزلوها ولم يزالوا بها حتى نفع خالد الأنبار وسأل الناس ما أنتم ؟ فقالوا قوم من العرب نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا فتعلمنا الخط من أباد ثم أنشده قوله الشاعر « قومي إباد لواتهم أمم . ساروا جميعاً وللروح والقلم » ، تاريخ الأمم ج ٢ ص ٥٧١ .

(٥) مدينة كبيرة بعرق العرب على الضفة اليمنى لنهر الفرات .

السياسي البارع أبي بكر فيما أنجز وأبرم وهي من الحكم البليغة التي تعد من المحاسن الغراء للحاكم القائد على الإطلاق . ومرد ذلك أن الأزادة «مرزيان الحيرة » بعد أن وجد انتصارات المسلمين في المواجهات الفارسية السابقة أيقن أن الدور على إقليميه قد حان لعمل حربى تدور معه الأنبياء فى كل الأنحاء ، فتهيأ للحرب ، وأعد تجهيزاته العسكرية لتكون على الأهبة « وقدم ابنه أمامه ثم خرج فى أثره على عسكر من الحيرة وأمره بسد الفرات وتغيير الأنهار التى تستمد منه الماء (١) وكان خالد قد حمل فى السفن مع الأطفال والأطفال فلم يفاجأ إلا والسفن جوانح . فارتاح المسلمين وقابل لهم الملحوظ إن الفرس قد فجروا الأنهار فسلك الماء غير طريقه ولا يجري الماء إلينا إلا بسد الأنهار فنهض خالد فى خيل نحو ابن الأزادة فلقي خيلا من خيله وقد فاجأهم وهو آمنون من غاراته فى تلك الساعة فأناهم ثم نهض من فورة وسبق الأخبار حتى لقى بجند ابن الأزادة على فرات بادقلى فقاتلهم وقتل ابن الأزادة بعد هزيمته . ثم سلك الماء سبيله بعد سد الأنهار وبعد أن استلحق خالد عساشه ثم يم الحيرة حتى نزل بين الخورنق والنجف (٢) وما لبث خالد بعد هذه الانتصار المبأى إلا أن وضع يده على قصرى الخورنق والنجف (٣) وكانا مصيف أمراء الحيرة فى الوقت الذى عسكر فيه جنده أمام أسوار الحيرة أما المرزيان الأزادة ففر تاركاً ولايته متاثراً بمقتل ابنه إلا أن أهل الحيرة قد قرروا اتخاذ كل السبيل فى المقاومة واتخذوا العده الكاملة للدفاع عنها وذلك بالتحصن خلف القلاع المستحکمة والأسوار العالية فأرسل خالد السرايا تحاصر حصون الحيرة بعد أن اختار القوم المنايذة وعمدوا لرمي المسلمين بالحذف . فرشتهم

(١) الطبرى ج ٢ ص ٥٨١ .

(٢) نوح البلدان ج ٢ ص ١٢١ .

(٣) على نحو ميل من الحيرة القصران .

ال المسلمين بالتبلي وتوالت غاراتهم ففتح القوم الدور والديارات فنادى القسيسون يا أهل القصور ما يقتلنا غيركم . فنادى أهل القصور يا معاشر العرب قبلنا واحدة من ثلاث تكروا علينا . وخرج رؤساء أهل القصور إلى خالد فخلا بأهل كل قصر ولا م لهم وما لوا إلى الصلح وأول من طلبه منهم عمرو بن عبد المسيح ثم تبعه بقية الرؤساء وأهدوا خالد الهدايا الثمينة ورضوا بالجزية وتعااهدوا على دفع أربعين ألف درهم عاجلة (١) . وما يجدر ذكره أن خالد قد بعث بأمر الفتح وما عاقد عليه أهل الحيرة والهدايا إلى أبي بكر فقبل أبو بكر الهدايا على أن تكون من الجزية وكتب إلى خالد أن احسب لهم هديتهم من الجزاء وخذ بقيه ما عليهم فقوّ بها أصحابك (٢) .

وعندما خرج أهل الحيرة وأشرفها مع إياس بن قبيصه الطائى وكان أميراً عليهم بعد التعمان بن المنذر وأخرج إليهم بيان الصلح الذى لم يخرج عما جاء فى مضمون الوثيقة : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد إياس بن قبيصه وعمرو بن عبد المسيح وعدياً وعمرو ابن عدى وحيرى بن أطال وهم تقباً أهل الحيرة ورضى بذلك قومهم أمر وهم به ، عاهدهم على مائة وتسعين ألف درهم تقبل فى كل سنة جزاء عن أيديهم فى الدنيا رهبانهم وقسسينهم إلا من كان منهم على غير ذى يد حبساً عن الدنيا تاركاً لها وعلى المنعة وإن لم ينفعهم فلا شئ عليهم حتى ينفعهم وإن غادروا بفعل أو قول والذمة منهم برئية (٣) وأقام خالد بمدينة الحيرة (٤)

(١) ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ٩٤ . (٢) المرجع السابق ص ٩٤ .

(٣) الطبرى تاريخ الأمم ج ٢ ص ٥٧٢ .

(٤) وبعد فتح مدينة الحيرة هناك قصة طويلة بطلها صحابي اسمه - شريل - كان يرغب من الزواج من ابنة عبد المسيح بن قيس أحد زعماء الحيرة وكان ذلك أيام النبي ﷺ وكان شريل عند رسول الله لما ذكر استسلامه على ملك قارس والحريرة فسألته شريل أن يعطيه « كرامة ابنة عبد المسيح » فوعده الرسول ذلك . فلما فتحت الحيرة طلبها شريل من خالد وشهد له شهود يوعد =

وطلب من جنده أن يعاملوا أهل الأنجاء بما عاهدهم عليه من الأمان والحفظ على الأرواح والأموال والأعراض ثم «جعلها مركز قيادته وكانت أول عاصمة إسلامية خارج بلاد العرب . على أنه ترك أمر إدارتها لزعماء من أبنائها لذلك اطمأنوا إلى حكمه ونشروا حولهم جواً من السكينة إليه ورأوا عدلاً شاملاً بعد أن ترك الفلاحين يعملون في الأرض لم يتعرض لهم بل رفع عنهم ما كان نازلاً بهم من ظلم دهاقين الفرس وحفظ عليهم كل حقوقهم<sup>(١)</sup> .

#### • موضوع خالد بن الوليد وتركه للعراق :

إن الخليفة أبو بكر قد طلب من خالد بن الوليد أن يترك جبهة العراق ونقله بكتيبة المقاتلة - نصف الجيش - إلى جبهة الشام التي احتاجت مجاهوداته و يجعل قيادة الجيش الإسلامي بالعراق إلى المثنى بن حارثة مرة أخرى . وصادف ذلك أن خالد قد ترك عسکره بعد بعض المعارك الجزئية<sup>(٢)</sup> في خمس بقين من ذى القعدة من السنة الثانية عشر من الهجرة ومضى إلى الحج في عدة من خاصته نحو المسجد الحرام فسلك طريقاً من طرق أهل الجزيرة لم ير طريقاً أعجب منه ولا أشد على صعوبته وصار يعتسف البلاد حتى أتى مكة بالسمت فتأتى له من ذلك ما لم يتأت لدليل فكانت غيبته عن الجند قصيرة ولم يعلم أحد بحجه حتى رأوه وأصحابه محلقين رؤوسهم

= النبي . فاشترط خالد أن تسلم كرامات إلى شريل فامتنعوا عن تسليمها وقالوا ما تزيد إلى امرأة بنت ثمانين سنة ؟ قالت كرامات لقومها إدعوني إليك فإني سأفتدى منه إنه تد رأني وأنا شابة فسلمت إلى شريل ولما خلا بها قالت ما تزيد إلى امرأة بنت ثمانين سنة ؟ وأنا أفتدى منك فاحكم بما أردت . قال والله لا أقدرك بأقل من عشر مائة . فاستكثر ذلك لتخذعه . فافتدى نفسها منه بألف درهم فلامة الناس فقال شريل : ما كنت أظن أن عدداً أكثر من عشر مائة وذهب إلى خالد يشكوا له ( قال ) أردت أكثر العدد فقال خالد أردت أمراً وأراد الله غيره ، ابن كثير البداية ج ٦ ص ٣٤٨ .

(١) هيكل الصديق أبو بكر ص ٢١٨ . (٢) معركة الفراطن قبل صلح الحيرة .

ومقسرین <sup>(١)</sup> وأدرك أمر الساقية وقد وافقهم مع شجر بن الأعز صاحب الساقية . فقدموا معاً ومشيا في جيشه المتوجه إلى الحيرة قبل أن يصلوا إليها <sup>(٢)</sup> وقد ترامت الأنبلاء إلى المدينة فالتحقق منها أذن الصديق . وعدها من السقطات التي توجب العتب والعقاب « لتركه الجيش ومسيره إلى الحج فصرفه إلى الشام وقد وفاه كتاب أبي بكر وهو بالحيرة يقول الكتاب : أن سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجعوا واشجعوا وإياك أن تعود مثل ما فعلت فإنه لم يشجع الجموع من الناس بعون الله شجيك ، ولم ينزع الشجي من الناس نزعك فليهنا أبا سليمان النبة والحظوظ فأتم يتم الله لك ولا يدخلنك عجب فتخسر وتذل وإياك أن تدل بعمل فإن الله له الم وهو ولـى الجزاء » <sup>(٣)</sup> والتأمل لهذا الكتاب يجد أن الخليفة لا يريد أن يغدو سيفاً سله على الكفار والمرتكبين فلم يغفل عنه قط أثر ابتعاد القائد عن عسكره وسط مممعة القتال الدائر بل اعتبرها الصديق من الأمور التي تغفو فيه النفوس إلى الاعتزاز والخيلاء والميل إلى الإصقاء إلى ما يطرق الأذن من آيات الإعجاب وضروب الرهو الذي يعقب ذلك كله فتفسد الشخصية العسكرية <sup>(٤)</sup> وقد أمره - في الكتاب - بعد أن قاربه وباعده أن ينتقل بجنته من العراق إلى الشام حيث تحرجت أمور أبطال المسلمين في الشام عند ماء اليرموك ورأى أبو بكر بهذا العمل أن يصيب غرضين بحجر واحد . أولهما أن يعاقبه بشئ ملفت بابعاده عن ساحات الانتصارات التي أوجبت عتبه . وثانيهما أن يرسله مددًا لأخوانه في البلاد الشامية .

(١) الطبرى ج ٢ ص ٥٨٤ .

(٢) ابن كثير البداية ج ٦ ص ٣٥٢ .

(٤) إن الناقلين إلى الخليفة أعلمونه بأن خالدًا قد وضع على عسامته بعض العلامات فور انصرافه من الأرض المقدسة كعلامة تميزه وسط الجم من أصحابه . وربط الخليفة ذلك بما اتيح له من انتصارات والاستهانة بشأن عدوه فلم لا يكون ذلك من إمارات العجب ؟

ولبى خالد نداء الخليفة ووجدت الموعظة مكانها من قلب الفارس الأريب الذي تلقى أوامر الصديق « أن سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك فإنهم قد شجوا وأشجوا » فجسمها بالطاعة وكامل الإخلاص فسار خالد على رأس كتيبته فى صفر سنة ١٣ هـ من الحيرة إلى تدمر ومنها إلى الشام حتى وصل إلى مياه اليرموك على غير الطريق المستطريق لأجل أن يخفى سره مخترقاً الصحراء الجرداء التى بين العراق والشام فى بضعة أيام وهى من روائع الحركات الحربية فى التاريخ<sup>(١)</sup>.

كان لرخيل خالد عن العراق أثر كبير فى عودة الآمال الفارسية فى استرجاع نفوذهم وهيبتهم وظنوها فرصة ذهبية يستطيعون فيها تأديب العرب المسلمين وإخضاعهم . ولم يكن المثنى ليخفى عليه أمر بدھى كهذا بخلو مكان خالد ومعه نصف الجيش . فأعاد نفسه وجنده لمواجهة المسئوليات والتحديات وشتى الاحتمالات ، وأقام بالحيرة « تاج أرض العراق الإسلامي » ووضع المسلحة وأذکى العيون والمراصد فعلم أن ملك الفرس حشد جيشاً كبيراً فى محاولة لاسترداد المدن والحاميات التى أخذها العرب ولكن المثنى انسحب إلى الوراء قليلاً وتحصن فى مركز مأمون بعد أن شعر بحرج موقفه ، لهذا أرسل المثنى إلى المدينة يطلب المدد . وفي رواية أنه وصل بنفسه إلى يثرب ليخبر أبا يكر بما تم ويعلمه بالحال ويستأذنه فى الاستعانة بأهل الربدة من ظهرت توبيته وندمه<sup>(٢)</sup> وكان المثنى قد خلف على من كان معه « بشير بن الخصاصي » ووافق انصراف المثنى

(١) ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ١٧٥ ، وابن دحلان الفتوحات الإسلامية ص ١٠٢ .

(٢) ابن الأثير المرجع السابق ص ١٧٦

اضطراب الفرس في شأن ملتهم فشغلهم ذلك عن المثنى وجيشه<sup>(١)</sup> ولما قدم قائده الجبهة الشرقية على أبي بكر وجده قد اشتد به المرض . « فلما أخبره الخبر طلب أبو بكر عمر بن الخطاب وظل يوصيه بأمر المسلمين بالعراق وأن يمد المثنى بما طلب فنفذ عمر وصية أبي بكر كلها فمكث ثلاثة أيام يجهز الجيش وهياً للقدرات وأمدhem بالسلاح وأمر عليهم أبيا عبيدة مسعود الثقفي دعماً للمثنى بعد أن رفع الحظر عن عادوا إلى الإسلام من المرتدين لينهضوا إلى حرب فارس<sup>(٢)</sup> وعاد المثنى الشيباني إلى عسكره فور وفاة الخليفة الأول وقد تكون من إعادة الهيبة لهؤلاء الجنديين تأثروا بانتقال الأعداد الكبيرة منهم إلى مكان آخر وقد وجد من رعاية الخليفة أبي بكر - يرحمه الله - ما يدعم مركزه في تلك البلاد .

#### • فتح الشام<sup>(٣)</sup> :

أما لفتح الشام فقد جهز الخليفة أبو بكر أربعة جيوش لهذا الغرض . وكان على رأس كل جيش قائد من أعظم قواد العرب هم سيف الإسلام والأعلام عمرو بن العاص وأبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرجبيل بن حسنة الذين جلوا وجه التاريخ الإسلامي عن صفحاتهم المشرقة في مجال حروب الردة وصولاً لهم في مقاومة الخطر النازل بال المسلمين . وأضافوا إلى سجل المفاخر مجد الفتوح وإعلاء كلمة الإسلام خارج أرض الجزيرة العربية . وقبل أن تخرج تلك الطلاطم الإسلامية إلى وجهتها جمع أبو بكر أهل المشورة والخبرة من كبار الصحابة لاستجلاء آرائهم في سير تلك الجيوش المجاهدة لإعلاء كلمة الله على أرض الشام . فدعا عمر

(١) ابن كثير البداية ج ٦ ص ٣٥٤ .

(٢) ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ١٧٨ .

(٣) كانت بلاد الشام تابعة لامبراطورية الرومانية .

وعثمان وعلياً وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة بن الجراح وعدها من وجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم . فدخلوا عليه <sup>(١)</sup> فقال أبو بكر لمن حضر منهم « إن الله عز وجل لا تختص نعماؤه ولا تبلغ جزاءها الأعمال فللله الحمد قد جمع الله كلمتكم وأصلاح ذات بنينكم وهذاكم إلى الإسلام . وقد رأيت أن أستنصر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله كلمته العليا مع أن المسلمين في ذلك الحظ الأوفر لأنه من هلك منهم هلك شهيداً وما عند الله خير للأبرار ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله ثواب المجاهدين . وهذارأيى الذي رأيته فليشر على أمره برأيه » <sup>(٢)</sup> .

فجاءت الآراء التي انتظرها الخليفة فكان عمر أسبقهم في الإدلاء برأيه فقال : « الحمد لله الذي يخص بالخير من شاء من خلقه ، والله ما استبينا إلى شيء من الخير قط إلا استبينا إليه وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . قد والله أردت لقاءك بهذا الرأى الذي رأيت فيما قضى أن يكون حتى ذكرته فقد أصبت أصحاب الله بك سبل الرشاد . سرّب إليهم الخيل في أثر الخيل وابعث الرجال بعد الرجال والجنود تتبعها الجنود . فإن الله ناصر دينه ومعز الإسلام وأهله <sup>(٣)</sup> وقد تجمعت آراء عثمان وأبي عبيدة والزبير وسعد وطلحة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار وكان إجماعهم على : « إننا نرى أنك ناصح لأهل هذا الدين شقيق عليهم فإذا رأيت رأياً تراه لعامتهم صلحاً فاعزم على إمضائه فإنك غير ظنين <sup>(٤)</sup> ثم أعقبهم عبد الرحمن بن عوف الذي قال لأبي بكر

(١) تاريخ دمشق الكبير لأبن عساكر جـ ١ ص ١٢٦ . (٢) المرجع السابق ص ١٢٧ .

(٣) الواقدي . فتوح الشام جـ ١ ص ٥٧

(٤) ابن عساكر المرجع السابق ص ١٢٧

مستهدفا خلاصة فكره : قال « يا خليفة رسول الله إنها الروم ويتوا الأصفر حد حديد وركن شديد ما أرى أن نقتصر عليهم اقتحاماً ، ولكن أبعث الخيل فتغير في نواحي أراضيهم ثم ترجع إليك وإذا فعلوا ذلك بهم مراها أضروا بهم وغنموا من أدانى أراضيهم فقعدها بذلك من عدوهم » <sup>(١)</sup> وتلتفت الصديق ناحية على بن أبي طالب فأخذ يستحثه لإنفاذ رأيه . قال أبو بكر ماذا ترى يا أبو الحسن ؟ قال على « أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعشت إليهم نصرت عليهم إن شاء الله » فقال أبو بكر : بشرك الله بخير ومن أين علمت ذلك ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم هذا الدين وأهله ظاهرون . فقال أبو بكر : سبحان الله ما أحسن هذا الحديث ، لقد سرتني به سرك الله <sup>(٢)</sup> ثم إن أبو بكر قام في الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه ﷺ ثم قال « أيها الناس إن الله أنعم عليكم بالإسلام وألزمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام فإني مؤمر عليكم أمراء وعاقد لكم الولية فأطليعوا ريمكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسين نيتكم وأشريفتكم وأطعمتكم « فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون <sup>(٣)</sup> ». وفي الوقت الذي بلغت فيه الحماسة الغالية أوجها والتجهيزات وتحشيد القوى على قدم وساق بدأت التجمعات مثنى وفرادي حتى تتكون الفرق بسلاحيها ثم ينضمون إلى معسركهم من عشرة وعشرين وثلاثين وأربعين وخمسين ومائة كل يوم حتى اجتمع أئم كثيرون <sup>(٤)</sup> وقبيل اختياره لقواده الأربعه تذهب الكثير من الرويات بأن أبو بكر « خرج ذات يوم ومعه رجال من الصحابة حتى انتهى إلى معسركهم فرأى عدة

(١) الواقدي مرجع سابق ج ١ ص ٥٨ .

(٢) المراجع السابق ص ٥٩ .

(٣) المتنى كنز العمال ج ٣ ص ٢٩٨

حسنة لم يرض عدتها للروم فقال ل أصحابه : ما ترون في هؤلاء أن أرسلتهم إلى الشام في هذه العدة ؟ فقال عمر : ما أرضي هذه العدة جموع بنى الأنصار . فقال أبو بكر ل أصحابه : ماذا ترون أنتم ؟ فقالوا نحن نرى ما رأى عمر <sup>(١)</sup> فقال الصديق مرة أخرى : ألا أكتب كتاباً لأهل اليمن ندعوهم فيه إلى الجهاد ونرغبهم في ثوابه ؟ فرأى ذلك جميع أصحابه فقالوا نعم ما رأيت أفعل . فكتب أبو بكر « بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة رسول الله إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين المسلمين من أهل اليمن سلام عليكم . فإنني أحمد إليكما الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد . فإن الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن يتذروا خفافاً وثقالاً ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله . والجهاد فريضة مفروضة والثواب عند الله عظيم وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا إلى ذلك وقد حسنت بذلك نيتهم وعظمت حسبتهم فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه ولتحسن نيتكم فيه فإنكم إلى إحدى الحسينين إما الشهادة وإما الفتح والغنية فإن الله تبارك وتعالى لم يرض لعباده بالقول دون العمل ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق ويقرروا لحكم الكتاب حفظ الله لكم دينكم وهدى قلوبكم وأزكي أعمالكم ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين » <sup>(٢)</sup> وتواترت التجمعات تندى بأعداد وافرة إلى المدينة بعد سماعهم لأنس بن مالك الذي ندب الخليفة لهذا الأمر قارئاً كتاب أبي بكر في المساجد والأماكن التي يتجمعون فيها « وقد خف ذو الكلاع الحميري إلى فرسه وسلامه ونهض في قومه ومن عسكر معه في جموع اليمن وسار يطلب المدينة . كذلك خف قيس بن هبيرة المرادي في مذحج وجندب بن عمرو الدوسى في الأزد وحابس بن سعد الطائي في طبيع بينما كان رسول أبي بكر إلى اليمن قد بلغها وأقام يتحدث إلى

(١) المرجع السابق ، الطبرى ج ٣ ص ١٥٤ . (٢) كنز العمال ج ٣ ص ٢٩٩ .

جموع من أهلها بينما كان أبو بكر يستنفر إليه من حوله من المهاجرين والأنصار وأهل مكة وغيرهم يجمعهم على الذي جمعه أهل اليمن ليوفدهم إلى الشام<sup>(١)</sup> واعتزم الصديق في أمر الروم فعقد الألوية الأربع لخير القواد لتتجه إلى فلسطين وحمص ودمشق والأردن فعين لكل قائد منهم الطريق الذي يسلكونه والجهة التي ينزلونها ثم التي تليها بعد أن يتم الله نصره بالفتح فجعل ليزيد بن أبي سفيان دمشق وشرحبيل بن حسنة الأردن ولأبي عبيدة بن الجراح حمص ولعمرو بن العاص فلسطين وكان ذلك في خريف سنة ١٢ هـ<sup>(٢)</sup> ولم تكن قوات العراق خلقت من قتال الفرس في نواحيها<sup>(٣)</sup>.

### ● قوة استطلاعية :

ومع أن الخليفة الصديق - القائد الأعلى - قد أنفذ أوليته المعقودة لأربعة جيوش مهيبة بأحسن تجهيز حيث أراد أن يحمي حدود المجزرة العربية المتاخمة لبلاد الشام ومواجهة القوات الرومانية التي يعلم مدى قوتها واتساع رقعة ممالكها بالشرق . إلا أنه أرسل قوة استطلاعية بقيادة خالد بن سعيد بن العاص . وقد طلب منه الخليفة أن ينزل بمنطقة تيماء<sup>(٤)</sup> ليحمي بها مقدمة كل الجيوش الزاحفة - فيما بعد - وقال خالد هذا<sup>(٥)</sup>

(١) الأزدي فتح الشام ص ٤٣٢ م . ١٠٧ .

(٢) الأزدي مرجع سابق ص ١٠٧ .

(٤) تيماء بليدة في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق .

(٥) قيل إن خالد بن سعيد وصل إلى المدينة من اليمن بعد وفاة المصطفى عليه جبة ديباج فلما رأه عمر أمر من معه من الناس يزعها منه وتغريها فغضب خالد هذا وقال لعلى مهيجا ضد عمر وأبي بكر يا أبا الحسن أغلبتم يا بنى عبد مناف عن الإمارة . فقال له على : أ McGillah تراها أو خلافة ؟ فقال له خالد لا تغالب على هذا الأمر أولى منكم فقال له عمر اسكت فض الله فاك والله لا تزال كاذباً تخوض فيما قلت ثم لا تضر إلا نفسك وأبلغ عمر أباً بكر بما كان من أمر خالد فلم يتأثر الخليفة بذلك وعقد له أول لقاء يسير إلى الشام ولم يزل عمر بأبي بكر حتى حمل أباً بكر أن يأمر خالداً بالسير إلى تيماء والانتظار بها فقط ولم يأمره بالسير إلى داخل الشام .

أنت أمير الناس جزاك الله خيرا من أخ وخليل فقد كنت أسلمت مرتغبا وهاجرت محتسبا وقد كنت هربت بدينك من الكفار لكيما ترضي الله ورسوله وتعلو كلمته فسر يرحمك الله<sup>(١)</sup>. فنزل خالد بن سعيد وجنته حيث أمره الخليفة وقد أمر الصديق بلاً فأذن في الناس : أن انفروا أيها الناس إلى جهاد الروم والناس لا يشكون أن أميرهم خالد بن سعيد<sup>(٢)</sup> وعمر يقول لأبي بكر في شأن خالد الأموي إنه رجل فخور يحمل أمره على الغالبة والتعصب . إلا أن أبي بكر قد عقد عزمها لإرساله ليكون ردعا لل المسلمين بتيماء<sup>(٣)</sup> .

وعندما نزلها خالد وجد هناك عسكراً للروم كثيرة أعدادها وقد عرف أن السلطات البيزنطية قد دعت الفسانيين ومن نفر إليها من بهراء وكلب وتنوخ ولخم وجذام وغيرها من القبائل القيمة ببادية الشام ليقفوا في وجه المسلمين واجتمع من هذه القبائل عدد عظيم لا يقل عن اجتماع حول خالد ابن سعيد الذي كتب إلى الخليفة أبي بكر باجتماع الروم ومن نفر إليهم من القبائل العربية وأنهم مقدمون للهجوم على قواته<sup>(٤)</sup> . فرأى الخليفة أبو بكر أن ينصح قائده بعدما عرف بأن القوات الرومانية قد أسرعت بقذف جلمود بجلمود بقصد غل قوات هذا الجيش الإسلامي قبل أن يتکاثر أعداده بانضمام بعض القبائل التي كان هواها مع أبناء جلدتها من العرب مثل جرام وبهرام فكتب إلى خالد : أن أقدم ولا تحجم واستنصر الله . وطلب منه أن يحافظ دائماً على خط رجعته وأن لا يتوجّل كثيراً في بادية الشام<sup>(٥)</sup> فنهد إليهم خالد في جموعه فلما دناهم تفرقوا وأعروا منزله فنزله ودخل

(١) كنز العمال ج ٣ ص ٣٠٠ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣٠١ .

(٣) الطبرى ج ٢ ص ٤٠٨ .

(٤) الأزدي مرجع سابق ص ١٠٩ .

(٥) ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ٨٧ .

عامة من تجمع له في الإسلام وكتب إلى أبي بكر مرة أخرى بما كان ، فكتب إليه : أقدم ولا تقتلون حتى لا تؤتي من خلفك وأرسل إليه مدادا فيه الوليد بن عقبة وعكرمة بن أبي جهل <sup>(١)</sup> . وسار خالد فيما كان خرج معه من تيماء ومن لحق به حتى نزلوا بين آيل وزبزا والقسطل فسيرت الروم إليه عسكراً بقيادة بطريق منهم يدعى « ماهان » فهزمه خالد وفض جموعه التي فرت إلى دمشق . وكان خالدا يرى أن توالي نكباته بالروم ينبعهم إلى شأنه والمجد في أمره يستمد حتى لا يفاجئه العدو بجيش لا قبل له به <sup>(٢)</sup> .

واستمر خالد الأموي في مناوراته مع فلول تلك القبائل التي ناوأته وتربيصت به فحقق النصر المطلوب وهكذا ظفر خالد الشام ما ناله خالد العراق من فوز ونصر . وعلى الرغم من هذا الانتصار الذي سجله التاريخ إلا أن بعض الباحثين يرى أن خالدا قد هزم بقواته بدليل أن الصديق قد عزله وعقد الأولوية للقواعد الأربعية الذين تم لهم فتح بلاد الشام وأن الهزيمة سببها أن القائد المذكور لم يكن من المهرة بحيث يرتاح الخليفة إلى خططه وتصرفاته العامة <sup>(٣)</sup> وأنه قد استهواه النصر وتسرع في التقدم قبل أن تصل إليه النجدة واندفع في ملاحقة العدو حتى مرج صفر ولما رأى القائد الروماني تقدم خالد بن سعيد راح يخادعه ويستدرجه إلى الابتعاد عن مراكزه الأولية وما كادت القوات العربية تصل إلى منطقة حوران حتى داهمتها قوات رومانية من خلفها وفتكت بالجند ، الأعظم منها . وعاد خالد ابن العاص بمن بقي معه من الجنود ، وأمر أبو بكر ألا يدخل المدينة حتى

(١) ابن كثير البداية ج ٧ ص ٤ .

(٢) الشيخ النجاشي الحلة الراشدون ص ٩٣ .

(٣) د / عبد الحميد بخيت . عصر الخلفاء الراشدين ص ٨٦

لا تؤثر هزعته في قوة المسلمين المعنوية<sup>(١)</sup> والحقيقة أن خالداً لم ينتظر وصول جيش المسلمين وجموعهم فتسرع بالسير إلى دمشق ليكون له فخر الزهو بتحقيق النصر الذي لا يأتي إلا بترتيب وهو ما فعله الخليفة الصديق بتخطيطه وحسمه . حيث جعل خالد مهمة محددة من شقين :

أ - حماية حدود الجزيرة العربية من الغارات الخارجية وقت الفتوحات العراقية .

ب - إنها قوة استطلاعية تقف بحق على التجهيزات الحربية للحاميات الرومانية ببلاد الشام وقد أدت مهمتها وإنها تعاملت حربياً ضد قوات ماهان التي نزلت منطقة آبل وفضلت جموعه التي أتت لعمل الكمانين للجيوش العربية . وإن سر ارتداد قوات ابن سعيد إلى منطقة ذوى المروه - براودي القرى - كان بإشارة من الخليفة المحنك البصیر بأحوال تلك البلاد ومبلغ علمه بأن القوات الرومانية سوف تضطر إلى منازلة القوة بالقوة وسوف يحاصروه حتى لا تتكاثر أعداد جيشه فجعل أبو بكر عكرمة في الناس رداء - بما معه من قوة - للMuslimين يمنع من يطلبهم<sup>(٢)</sup> . أما بالنسبة لاختيار الخليفة أبي بكر لأربعة من خيرة قواد المسلمين لهم جد وهمة ووصلات مع جيش كبير بلغت عدته خمسة وثلاثين ألف مقاتل فإن بلاد الشام كانت فسيحة متراامية الأطراف وتحتاج إلى جهود كل هؤلاء حيث شملت المساحة كل البلاد الواقعة غرب الجزيرة ومناطق كلدة وقيصرية على البحر وأريحا والكلس وعسقلان وغزة ويفا وعكا وصور شمالى فلسطين وسوريا التي من أهم مدنها دمشق وحمص وحلب وفحل وأنطاكية . وفي كل تلك الأماكن معاقل حصينة تحرسها حاميات رومانية قوية ومجهزة

---

(١) التجار مرجع سابق ص ٩٤ .      (٢) ابن كثير مرجع سابق ج ٧ ص ٤ .

بأنواع الأسلحة<sup>(١)</sup> ولا أعتقد أن خالد بن سعيد بتسرعه يستطيع أن ينجز ذلك بقوته الاستكشافية أن تتفرد بهذه الحاميات كلها وقد لخص أبو بكر رأيه في خالد بن سعيد ويسعدنا أن نورده هنا : « فلعمري إنك مقدام محجام نجاء من الغمرات لا تخوضها إلى حق ولا تصبر عليه »<sup>(٢)</sup> وقد أتى أبو بكر قوة خالد بقوات أخرى جاوزت الحدود بعد أن حشدتها بكل المستنصررين من اليمن ومكة وجمعت كل من عاد من أرض تهامة وعمان والبحرين والسرى وأواخر سنة ١٢ هـ .

#### • إرسال القوات الإسلامية الأربعية إلى بادية الشام :

كانت الخطة التي وضعها الخليفة أبو بكر بالمدينة لقواته الأربعية أن ينزل أبا عبيدة بن الجراح بالجابية وجعل ليزيد بن أبي سفيان الإقامة بالبلقاء<sup>(٣)</sup> وعمرو بن العاص بوادي عربة وشحبيل بن حسنة يقيم بطيريه - بالقرب من البحيرة - وهؤلاء القواد هم في الأصل قرشين عدا شحبيل فإنه كندي<sup>(٤)</sup> أخرج البيهقي أن أبا بكر لما بعث الجنود نحو الشام مشى أبو بكر مع أمراء جنده يودعهم حتى يبلغ منية الوداع . فقالوا يا خليفة رسول الله تمشي ونحن ركبان ؟ فقال إنى أحتسب خطاي هذه في سبيل الله فجعل يوصيهم فقال « أوصيكم بتقوى الله اغزوا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله فإن الله ناصر دينه ولا تغلوا ولا تغدوا ولا تجبنوا ولا تفسدوا في الأرض ولا تعصوا ما تؤمرون فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوه

(١) راجع الأزدي فتوح الشام ص ١٠٨ - ١٢٢ .

(٢) الطبرى تاريخ الأمم ج ٦ ص ٥٩ .

(٣) الجابية : قرية من أعمال دمشق قرب مرج الصفر في شمال حوران وتدعى جابية الجولان والبلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى .

(٤) الطبرى ج ٤ ص ٢٩ .

إلى ثلاثة فإنهم أجابوك فاقبلوا منهم وكفوا عنهم وادعوهم إلى الإسلام فإنهم أجابوك فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ثم ادعوه إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين فإنهم فعلوا فأخبروهم إن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين . وإنهم دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي فرض على المؤمنين وليس لهم في الفئ والغائم شيئاً حتى يجاهدوا مع المسلمين فإنهم أبوا أن يدخلوا في الإسلام فادعوه إلى الجزية فإنهم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم وإنهم أبوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوا هم إن شاء الله ولا تفرقوا نخلا ولا تحرقوا ولا تعقروا بهيمة ولا شجرة تم ولا تهدموا بيعة ولا تقتلوا الولدان والشيخوخ ولا النساء وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوه وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين اتخذوا للشيطان في أوساط رءوسهم أفحاصا فإذا وجدتم أولئك فاضربوا أنفاسهم إن شاء الله » (١) .

وكان يزيد أول الأمرة خروجاً إلى الروم فأسدى أبو بكر إليه خلاصة نصيحة ومنحة براة تعينه التي لم تخرج عن مضمونها البليغ (٢) وعندما

(١) كنز العمال ج ٢ س ٢٩٥

(٢) ما قاله لقائد الأمرى يزيد : إنى قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك فإن أحسنت ردتك إلى عملك وزدتك وإن أساءت عزتك فعليك بتقوى الله فإنه يرى من باطنك مثل ما يرى من ظاهرك وإن أولى الناس بالله أشدتهم تولية له وأقرب الناس من الله أشدتهم تقرباً إليه بعمله وإياك وعيبة الجاهلية فإن الله يبغضها ويبغض أهلها وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم إيه وإذا وعظت فأوجز وأصلح نفسك يصلح لك الناس وصل الصلاة لورثتها بإقام رکوعها وسجودها والتخشى فيها . وإذا قدم عليك رسول عدوك فأكرمه وأقلل لبئهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون . ولا تجعل سرك بلاعنتك فيختلط أمرك وإذا استشرت فأصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك وأسرر الليل في أصحابك تأتيك الأخبار وتكتشف عندك =

وصلت الجيوش الإسلامية إلى أماكنها التي حددت لها بعد أن اطمأن الخليفة إلى كفاية قواده وقوة جنده الذين كانوا خلاصة أكبات المسلمين في مكة والمدينة والطائف واليمن وملاً قلب أبي بكر إيماناً بأن نصر الله قريب ، وكان يزيد بن أبي سفيان - أيضاً - أول القادة مواجهة للجيش الروماني وعلى اللواء أخيه معاوية يحمله فجرت بينه وبين سرجيوس بطريق قيصرية وقعة شديدة الوطأة في وادي عريبة جنوب البحر الميت وانتهت هذه المعركة بقتل سرجيوس والقضاء على قوته المضطربة في سنة ١٣ هـ ٤ فبراير سنة ٦٣٤ م ثم أتبعه القائد الذهابي عمرو بن العاص فزحف بجيشه من إبلة - العقبة - وشن الغارات تلو الغارات في كل النواحي الجنوبية من فلسطين حتى استولى على إقليم قيصرية<sup>(١)</sup> بعد أن هزم القوات الرومانية به الذين فاجأتهم هجمات عمرو واستطاع - بفضل تدبيره - أن يبسط يده على جنوب فلسطين لتكون قوة عربية في أرض الشام بلغت ثمانية آلاف مقاتل<sup>(٢)</sup>.

وبعد تلك الهجمات عرف الرومان جد المسلمين في حروبهم فتأهيلوا للتحرك السريع حيث كاتبوا هرقل فقدم إلى حمص ليكون على مقربة من ساحة الميدان وأمر قواده أن يشغلوا القوات الإسلامية حتى لا تجتمع قوتهم في جيش واحد وأرسل لهذا بازاره كل أمير حি�شاً أكثر من جيشه

= الأستار وأكثر حرسك في عسكرك وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك فمن وجدته غفل عن محرسه أذبه وعاقبه في غير إفراط ولا تغلق عن أهل عسكرك فتفسده ولا تخس عليهم فتضخمهم ولا تجالس العيالين وجالس أهل الصدق والوفاء وأصدق اللقاء ولا تخبن فيجبن الناس .  
واجتنب الغلو فإنك يتقارب الفقر » ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ١٠٤ .

(١) وهو موقع إستراتيجي هام حيث كانت به حامية مستحکمة عالية الأسوار مجهزة بالعدة والثورة وسقوطه في يد قوات عمرو يعطي قوة للجيوش الإسلامية في بلاد الشام .

(٢) راجع مروج الذهب للمسعودي ج ١ ص ١٣٨ ، الدولة الإسلامية لصطفى زياده ص ٢٧

وأعظم قوة فجمعت الروم جموعهم وقالوا « والله لنشغلن أبي بكر عن أن يورد الخيول إلى أرضنا » ، فعسكر يازعه قوات عمرو تسعين ألفا بقيادة « تذارق » تيودور . كما أرسل الإمبراطور جيشاً ثانياً من ستين ألفا وأمر عليه جرجة بن يوذيها لمحارب يزيد بن أبي سفيان . كما بعث جيشاً عدته ستون ألفا على رأسه القيقلان بن نسطورس ليتazon أبي عبدة أما شرحبيل فانتدب الدرافص بقوة أربعين ألفا لمحاربه بها وكان قائدهم تذارق الذي غلب الأعاجم من قبل (١) .

ورأت القوات الإسلامية ببادية الشام بعد إعمال الفكر والنظر في أمر تلك المقاومة الرومانية التي لم يكن في حسابهم أن يكون لها هذا التنظيم وعلى هذه الدرجة من الإعداد والتجهيز المحكم وأنهم لا قبل لهم بالجيش المناظر ، فتكلموا وتشاوروا وأرسلوا إلى أبي بكر بالمدينة وإلى عمرو بن العاص بقيصرية لجسم الأمر والموقف جد خطير ، فبعث إليهم عمرو برأيه وينبئهم بإمكان هزيمة هذا الجيش القوى بالمجتمع « لأن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب عن قلة وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقرن فيه لأحد ما استقبلنا وأعدلنا لكل طائفة لنا » (٢) .

كما طبع عليهم كتاب الخليفة أبي بكر الذي جاء إليهم بعد ورود كتاب عمرو . قال الصديق في كتابه لأمراء جنده بالشام « اجتمعوا وكونوا عسكراً واحداً والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين . فإنكم أعون الله والله ناصر من ينصره وخاذل من كفره ولن يؤتى مثلكم عن قلة وإنما يأتي العشرة الآلاف والزيادة عليها بذنبهم فاحترسوا من الذنوب وليصل كل منكم بأصحابه والله ناصركم إن شاء الله (٣) .

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٨

(٢) الطبرى تاريخ الأمم ج ٦ ص ٥٩٠

(٣) المرجع السابق ج ٦ ص ٥٩٠

ولما اجتمع المسلمون بلغ عددهم أكثر من ثلاثين ألفاً ، ولما علم هرقل باجتماع المسلمين كتب إلى قواه أن يجتمعوا أيضاً وبلغت أعدادهم بعد هذا أربعين ومائتي ألف مقاتل . وقد كان من السهل على هذا الامبراطور تجميع هذا العدد الوافر حيث كان يدين له بالولاء ويقع تحت نفوذه مناطق آسيا الصغرى ومصر وفلسطين وأفريقيا وسوريا والأردن وكل إقليم به حاميات تستطيع أن تمده بما يتطلب من مؤن وسلاح ورجال برأ وبحراً وفي أي وقت يريد وتحتاج إليه ساحات القتال .

#### ٦ موقعة اليرموك : (١)

اجتمع المسلمون على شاطئ اليرموك وفي طليعتهم زهرة شباب المهاجرين والأنصار فيهم ما يزيد على ألف من أصحاب رسول الله ﷺ بل فيهم من شهدوا بدرأ ، وتدعى بالملائكة المسموين وقد تواترت إمدادات الجند إليهم في مقدمتهم هاشم بن عتبة وسعيد بن عامر بن جذيم وبلال بن أبي رباح وحمزة ابن مالك الهمданى وحبيب بن مسلمة الفهري تتبع قدومهم بمجموعاتهم إلى عسكر المسلمين الذين سُروا بمجيئهم واستبشروا بهم خيراً ، وكل واحد من هؤلاء الخمسة له استئثار وجد في الخروج لكي يكون على أهبة المدد هو ومن معه . فكان أولهم هاشم الذي دعم قوات المسلمين بألف من المسلمين فسلم على أبي بكر وودعه وخرج من غده وسار يضرب في المسالك والطرق حتى لحق بالجيوش المتأهبة ، أما سعيد الذي صدقته نيته في الجهاد وتقديمه كل العون لأخوانه في الشام ، فعندما بلغه أن أبي بكر يريد أن يبعثه لينضم إلى طلائع المجاهدين يقول ابن جرير إن ابن عامر لما أبطا على أبي بكر إرساله ومكث أيامًا لا يذكر له ذلك أتاه فقال : يا أبي بكر والله لقد

(١) اليرموك . واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن ثم يضي إلى البحيرة

بلغنى أنك كنت أردت أن تبعثنى فى هذا الوجه ، ثم سكتَ ، فما أدرى ما يدا لك فى ؟ فإن كنت تريد أن تبعث غيري فابعثنى معه وإن كنت لا تريد أن تبعث أحداً فإتني راغب فى الجهاد فإذا ذلتى رحمة الله كما ألم بال المسلمين ، فقد ذكر لي أن الروم جمعت لهم جمعاً عظيماً . فقال له الخليفة أبو بكر : رحمة الله أرحم الراحمين يا سعيد . فأمر بلا ، فنادى فى الناس أن انتدبوا إليها المسلمين مع سعيد بن عامر إلى الشام . فانتدب معه سبعمائة رجل فى أيام ، فلما أراد سعيد الشخص جاء بلال إلى الخليفة وقال له « يا خليفة رسول الله إن كنت إنما أعتقتك لـ الله تعالى لأملك نفسي وأتصرف فيما ينفعنى فخل سبيلى حتى أجاهد فى سبيل ربى فإن jihad أحب إلى من المقام ، فأذن له الصديق ، ففرح بلال وتأهب للخروج وقال لأبى بكر : جزاكم الله من ولی نعمة ومن أخ فى الإسلام خيرا فوالله ما أمرك لنا بالصبر على الحق والمداومة على العمل بالطاعة بيدع (١) .

ويقول ابن الأثير إن رجلاً اسمه حمزة بن مالك قدم على المدينة في جمع من قومه يلغوا ألف مجاهد فلما رأى أبو بكر عددهم وعدتهم سرّه ذلك فقال : الحمد لله الذي صنعه للمسلمين ما يزال الله تعالى يرتاح لهم بمدد من أنفسهم يشد به ظهورهم ويقصم به ظهور عدوهم . ثم سرّح الصديق بما معد إلى جهة الشام . وما زال الخليفة يرسل كل راغب في الجهاد خاصة بعدما بلغ بجمع الأعاجم إذ لم يكن شئّ أعجب إليه من قدوة المجاهدين عليه من أرض العرب فيستقبلهم ويرتبهم ويبين لهم وجهتهم ويوعدهم فكانوا كلما قدموا عليه سرّح الأول فالآخر وجاءت القبائل بالرجل الواحد والمتات من بنى سليم وكعب وأسلم وغفار ومزينة ، حتى رأى أهل مدائن الشام أن

---

(١) تاريخ الأمم ٦ ص ٥٩٢

العرب قد جاشت عليهم من كل وجه وكثرت جموعهم فاستبقوا يفزعون إلى الحشد ما يعتقدون أنه يضيق به الأرض الفضاء<sup>(١)</sup>.

وتوفدت قوات الروم بحشدهم الهائل وعسكروا على الشاطئ الآخر من نهر اليرموك وكانت جيوشهم أكبر عددا وأكثر عتادا عند الواقوسة<sup>(٢)</sup> بقيادة « تيودوريك » أخي هرقل في أرض متسطة تحيط بها الجبال من ثلاثة جهات وعسكروا في هذا المكان الذي يتسع لجموعهم وعندما رأى عمرو بن العاص نزول جيش العدو في هذا المكان هتف قائلا : « أيها الناس أبشروا حضرت والله الروم وقلما جاء محصور بغير<sup>(٣)</sup> وكان على مقدمتهم جرجة وعلى المجنبة باهان وعلى المجنبة الأخرى الدرقصى<sup>(٤)</sup> وعلى الحرب الفيقار<sup>(٥)</sup> وقد عسكر العرب في موقع استراتيجي هام يفضل موقع الروم حيث نزلوا بأذرعات<sup>(٦)</sup> الذي تمر منه الطرق الرئيسية المؤدية إلى قلب فلسطين ويحميهم من الخلف رواقد اليرموك العميقه وإذا ما قدر للمسلمين الهزيمة - والعياذ بالله - أمكنهم الانسحاب إلى الصحراء والرجوع إلى يثرب من أخضر طريق<sup>(٧)</sup> وقد عبر المسلمون النهر

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٩١ . وقد ارتأحت سيرة الخليفة أبي بكر عندما وصلته الآباء بوصول هذه الإمدادات المتواتلة وقد تلاحمت جهود المسلمين في الجيوش الأربع في عسكر واحد - كما أراد - وهذا يضمن لهم النصر المذذر وإن إنكسار الروم بعد هذا الجمع أصبح وشيكا .

(٢) الواقوسة ، واد بالشام في أرض حوران .

(٣) الطبرى مرجع سابق ج ٦ ص ٥٩٢

(٤) مجنبي الجيش جوانبه أى ميسره وميئنته .

(٥) ابن كثير البداية ج ٧ ص ١١٢

(٦) أذرعات شرقى الأردن وجنوب شرقى وادى اليرموك وشمال البلدة التي تعرف الآن بدرعة ويتوسط أخضر بقاع الشام .

(٧) زيادة الدولة الإسلامية ص ٢٧

إلى معسكر الروم فوقفوا بيازائهم . وظل الفريقان يتناوشان ويختبر كل معسكر قوة خصميه بطريق الهجوم المباغت فإذا خرج الروم من جهتهم ردتهم القوات الإسلامية فيرجعون إلى مكانهم وإذا غامر بعض الأبطال المسلمين بالهجوم لم يلبثوا إلا ساعة من نهار يتراجعون بعدها مخافة الحصار والهزيمة . وهكذا نرى أن القوتين قد هابت كلتاهما الأخرى واستمر الحال على ذلك مدة ثلاثة أشهر وتحرج الأمر وعرف أبو بكر ذلك الموقف المتازم فضاق به وضجر منه ومل الانتظار الطويل حيث أقام المسلمون شهر صفر من سنة ثلاثة عشرة من الهجرة وشهرى ربيع الأول والثانى لا يقدرون منهم على شئ من الوادى والختنق . ثم لما رأى المسلمون مطاولة الروم استندوا أبا بكر الصديق أيضا<sup>(١)</sup> وبينما الخليفة أبي بكر يفكر انكشفت له الحقيقة جلية أن المسلمين لم ينتصروا يوما بكثرة عددهم وإنما انتصروا دائمًا بمهارة القيادة وقوّة الإيمان ، والإيمان لا ينتصص جيوش الشام لا بد أن تكون العلة إذن في القيادة . فهذا الموقف يحتاج إلى القائد الجسور الذي لا يعرف الهوادة ولا يهاب الموت . وأبو عبيدة على مقدرته رجل رقيق القلب ، وابن العاص على دهائه في السياسة هياب غير مقدم ، وعكرمة مداور مقدم إلا أنه تعوزه دقة التقدير وسائر القواد لم يقودوا بعد المعارك الكبرى ثم إن هؤلاء الأمراة جميعا لا يقررون لواحد منهم بالتفوق على سائرهم تفوقا يكفل بسلطانه وحدة القيادة . تكشفت تلك الحقيقة للخليفة أبي بكر فوق اختياره على خالد بن الوليد<sup>(٢)</sup> فأرسل إليه أن يقدم إلى الشام لينجذب الجيش الإسلامي باليرموك ويأتي إليهم ومعه نصف الجيش وقيل أتى ومعه تسعة آلاف وخمسمائة مجاهد وقد أعلن الصديق ساعتها :

(١) ابن دحلان الفتوحات الإسلامية ص ١٠٧

(٢) هيكل . الصديق أبو بكر ص ٢٥١

والله لأنسين وساوس شيطان الروم بخالد بن الوليد <sup>(١)</sup> وعندما جاء كتاب الخليفة إلى خالد كان فور منصرفه من الحج السرى - كما أبنا ذلك من قبل في موضوع سبب ترك خالد للعراق - وسلك خالد أسرع الطرق للوصول إلى البرموك <sup>(٢)</sup>.

أنس القواد الأربع المخلصون لطاعة الخليفة أبي بكر لتعيينه خالد قائداً عاماً على جيوش المسلمين بالشام وهو قرار يمس صميم قوتهم بل مصير الحرب في تلك الجبهة كلها خاصة وأن الجهد بلغ بهم مبلغه وربما يتراجع الموقف ويصل إلى الحرج وجاء خالد رجل الساعة الحصيف والقائد المقدام وسط مجاهديه من أرض العراق فوجد أن قساوسة الرومان قد مكثوا شهراً كاملاً يحرضون قواتهم على التزال ويعيّنون روحهم المعنوية في حماسة دينية متقطعة النظير <sup>(٣)</sup>.

لم تعد القوات الإسلامية - بالطبع - تلك التعبئة الروحية التي تولاها القراء الحفاظ والخطباء المبرزون في استئناف يحرك الخادم ويوقظ الخامل وكان على رأس «الجهاز التعبوي» المقداد بن عمرو وأبو هريرة وبلال بن أبي رياح والذين سُنوا في الناس سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد بدر فكان يقرأ

(١) ابن دحلان مرجع سابق ص ١٠٨

(٢) وقصد الشام عن طريق لم يسلكه جيش قبله وكان دليلاً رافع بن عمير الطائى فسار عن طريق فراغر وهو ما لقيته كلب بالسماء إلى «سوى» ثم أرك وأتى تدمر ورأى أتعاب الأفعال والأبنية في كل مقاوزه ومدته لمعالجة المعيش للرجال والفرسان والخيول والإبل إلى أن بلغ القرىتين . بلد تقرب حمص في البرية ثم حوارين والعتاب ومرج راهط وبصرى . وقصم وفي كل موقع من هذه الواقع الرومانية وجد خالد وجنده المسلمين مقاومة فأغار خالد عليهم وساق أمامه السباباً والمغامن الكبيرة وبعث بأخماس كل ذلك إلى أبي بكر بالمدينة ثم لحق بالمسلمين بالبرموك فوجد الجنديون محاصرون على حالتهم التي كاتبوا الخليفة أبي بكر يطلبون إمداده . فآمدتهم به .

(٣) ريا لا يعادلها في كثافتها إلا ما حدث أثناء الحروب الصليبية التي جرت معاركها على أرض المشرق العربي - دحلان مرجع سابق ص ١٠٩

سورة الجهاد عند اللقاء وهي الأنفال<sup>(١)</sup> وكان أبوسفيان يقف على كل كردوس ويقول : إنكم زادة العرب . الله الله إن هذا يوم من أيامك اللهم أنزل نصرك على عبادك ، وأهلك زادة الروم وأهل الشرك<sup>(٢)</sup> .

وأثناء تلك التعبئة أعاد خالد التشكيلات الحربية تحت القيادة الإسلامية والتي أسندت لأربعة من خيال القواد وأعظمهم جلدا في ساحة القتال وذلك قبل أن ينتهي شهر جمادى الآخر سنة ١٣ هـ ولا بد من اجتماع الكلمة وتوجيه الضربات إلى الروم ويسرعة حتى لا يفت التأخير في عضد القوات التي أصبح أميرا عاما عليها فاستخدم أسلوب الكراديس<sup>(٣)</sup> التي حارب بها في الجبهة الشرقية وجعل على كراديس الميمنة عمرو بن العاص وشريحيل بن حسنة وأمر على قوات الميسرة يزيد بن أبي سفيان وأسند القلب إلى أبي عبيدة بن الجراح وأقام على الجيش أربعين كردوسا تماما بالتجهيزات الإدارية والمعنوية ينتظرون ساعة اللقاء ولا ضير أن يقاتل هؤلاء عددهم الذي يفوق أعدادهم وعتادهم التي تملأ السهل والجبل « وإنما تكثر القوات بالنصر وتقل بالخذلان لا بعد الرجال » وأثناء تنظيم الأولية كان

(١) الطبرى مرجع سابق ج ٦ ص ٥٩٥

(٢) الأزدي فتوح الشام ص ١١٠

(٣) الكردوس : الجماعة من العسكر فكان رؤساء الكراديس القتاع بن عمرو ومنعور بن عدى ودحية بن خلف الكلبي وعمرو بن عنبرة ومجاربة بن عبد الله الأشجعى وقياث بن أشيم وسعيد بن خالد وأبو الأعور بن سفيان وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وابن ذى المثار ولقيط بن عبد القيس وجندب بن عمرو وحبيب بن مسلمة وصفوان بن أمية ويزيد بن يحنث وزياد بن حنظلة وعياض ابن عنم وعاشر بن عتبة وامرؤ القيس وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن فلان والذير بن العوام وضرار ابن الأزور وعصمة بن عبد الله وحوشب ذو ظلم ويزيد بن أبي سفيان وقيس بن عمرو بن يزيد وشريحيل ابن حسنة وعمارة بن مخش ، وغيرهم الذين كان قائمهم أربعين كردوسا كما أوردتهم ابن

الأثيرج ٢ ص ١٨٢ ، ١٨٣

خالد ينظر في كراديس جيشه فمال إلى أبي عبيدة وقال له : إنني مشير بأمر . قال أبو عبيدة « قل ما أمرك والله أسمع لك وأطيع » . قال خالد : إن هؤلاء القوم لا بد لهم من حملة عظيمة لا محيد لهم عنها وإنني أخشى على الميمنة والميسرة حتى إذا صدموا كانوا لهم رداء فتأتיהם من ورائهم . قال أبو عبيدة لخالد : نعم مارأيت . فكان خالد في إحدى فرق الخييل من وراء الميمنة وكان قيس بن هبيرة في الخييل الأخرى وراء الميسرة وأمر أبو عبيدة أن يتأخر عن القلب إلى وراء الجيش كله ووضع سعيد بن زيد مكانه بالقلب ، وجعل النساء المسلمين على رأسهن أسماء بنت أبي بكر والختساء بنت عمرو وهند بنت عتبة موقنهن من وراء الجيش معهن عدد من السيوف وغيرها من الأخشاب والأشواك وال الحديد والحجارة وقال لهن من رأيتموه موليا فاقتلنـه <sup>(١)</sup> .

وبعد أن اطمأن خالد على غاية ترتيباته قام في الجند خطيباً محدداً لهم ما يريد أن يقوله كقائد عام وفي جعبته الكثير قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه « إن هذا اليوم له ما بعده لا ينبغي فيه الفخر والبغى ، أخلصوا جهادكم وأربدوا الله بعملكم ولا تقاتلوا قوماً على غير نظام وتعبيبة على تساند وانتشار فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي وإن من وراءكم لو يعلم عملكم حال بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذى ترون أنه الرأى من عليكم ومحبته قالوا : فهات فيما الرأى ؟ قال إن أبي بكر لم يبعثنا إلا وهو يرى أنا سنتياسر ولو علم الذى كان ويكون لما جمعكم . إن الذى أنتم فيه أشد على المسلمين مما قد غشيم وأنفع للمشركين من إمدادهم ولقد علمت أن الدنيا فرقت بينكم فالله الله فلو أفرد كل رجل منكم بيلد من البلدان لا ينتقصه منه إن دان لأحد من أمراء الجنود ولا يزيده عليه إن دان له وإن

---

(١) ابن عساكر التهذيب ج ١ ص ١٢٥

تأمر بعضكم لا ينتصركم عند الله ولا عند خليفة رسول الله ﷺ هلموا فإن  
هؤلاء قد تهياوا<sup>(١)</sup>.

وفي صبيحة آخر يوم من جمادى الآخر سنة ١٣ هـ سنة ٦٣٤ م وقعت المعركة الفاصلة بين المسلمين والروم وقد قام بعض البدو النازلين فى الأصقاع بنقل الأخبار وأعمال الماسوسية لكلا المعسكرين ومن خلال هذه الآنباء التى وصلت فسطاط خالد تعرف من خلالها على ثغرات العدو وبين خططه على أساسها كما وصل إلى سمعه فزع الأمراء البيزنطيين حينما علموا بوجوده بين جند المسلمين وإن الخلاف دب بين صفوف الروم مع انتشار روح التمرد في الجند<sup>(٢)</sup> وقد استمر القتال طوال النهار إلى جنوح الشمس إلى المغيب فتطارد الفرسان وخرست الألسن وصمت الأذان إلا من قعقة السيوف وتراشق النبل من أقواس الأبطال تحت ظلال الرياحات المرفوعة ، وعندما صدرت الأوامر بالزحف نحو المسلمين كان القائد البيزنطى المسماى « جرجه » بجيشه فى الطبيعة فتلقاء خالد وفسح له ولعسکره طريقا وظن فيلق من الروم أن قائدتهم فى حاجة إلى المدد فانقضوا على المسلمين فأذاحوهم من مواقعهم وحملوهم على التراجع . وثبتت فى تلك الآونة بطولات معادن الإسلام المتفردة البطولة الذين تصدوا لوابل السهام وملاحقات الطعان « فى مقدمتهم الزبير بن العوام الذى كان من أفضل من شهد المعركة فقد اخترق الصدف الرومانية مرتين . أما عكرمة الذى كان على الكردوس الذى تلقى الصدمة الأولى فصاحت فى جنده : من يبایع على الموت فقد قاتلت مع رسول الله ﷺ فى كل موطن وأفر اليوم ؟ إن ذلك لن يكون . فبایعه أربعمائة من أهل النجدة والغناء من وجوه

---

(١) ابن كثير البداية ج ٧ ص ١٤

(٢) محمد فرج . السلام والمراب فى الإسلام ص ٥٨

المسلمين وقاتلوا جميعا قدام فسطاط القائد وهو في وسط القلب حتى أثخنوا جميعا جراحها وقتلوا إلا من برأ منهم في تلك المعركة ، وقد قيل إن الحارث بن هشام أثناء إصابته دعا بهاء ليشرب فنظر إليه عياض بن ربيعة فقال أدفعه إلى عكرمة فلما أخذه عكرمة نظر إليه عياش فقال أدفعه إلى الحارث ، فما وصل إلى عياش حتى مات ولا وصل إلى واحد منهم حتى ماتوا رضوان الله عليهم<sup>(١)</sup> .

وظهرت مواهب المقدام « عمرو بن معدى كرب » الذي قاتل قتالا شديداً وثبت احتساباً بعد أن انكشفت زيد - قبيلته - وكان عمره آنذاك مائة وعشرين سنة إلا أن همة الشجاعة كما يقول ابن أثيم الكوفي كانت متيقظة فيه ( قال ) فلما نظر إلى قومه قد انكشفوا صاحفهم يا آل زيد يا آل زيد أتفرون من الأعداء ترمون أنفسكم بالعار والذلة والشنار فما هذا الإنزعاج من كلاب أعلاج أما علمتم أن الله يطلع على المجاهدين الصابرين فإذا نظر إليهم قد لزموا الصبر في مرضاته وثبتوا لقضائه أ美德هم بنصره وأيدهم به فأين تهربون من الجنة ؟ أرضيتم بالعار وغضب الجبار ؟ فلما سمعت زيد كلام سيدها عمرو تراجعوا إليه كعطفة الأم واجتمعوا من حوله وحملوا على الروم حملة واحدة وحملت معهم حمير وحضرموت وخولان فأزالوا الروم عن مواقعهم<sup>(٢)</sup> وتحركت الحمية في النفوس الأبية فانتهزها خالد وعزم على مناجزة « تيودور » وعبا العرب تعبئة جديدة رائعة وأحکم خطبة القتال فوضع جانباً من جنوده في الناحية الشرقية من ساحة القتال وقطع طريق الاتصال بين قوات الروم وحاميتهم بدمشق . كما احتل

(١) ابن الفلاح بن العماد . وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٤ ص ١١٨

(٢) الفتح . ج ١ ص ٢٥٩

الجسر القائم فوق وادي الرقاد ليسهل عليه عبور هذا الوادي الرحيب في سهولة ويسر فحال بين الرومان وبين إمكان تراجعهم إلى الغرب<sup>(١)</sup> . وكان المكان واسعاً للنزال ولكنه ضيق المهرب وتضايفت خيل الروم وقد وجدت منعرجاً فذهبت تسرع إلى الصحراء وكان الجنود المسلمين في إثر فرسانهم يلاحقونهم وهم يهربون ومن يثبت منهم في الواقع صة أخذته سيف الكمان في الكراديس ، ومن حاول النجاة من تلك السيف أغرقته تيارات أمواج نهر اليرموك . وبهذه الخطة المحكمة أبيد معظم الجيش الروماني في الواقع صة وقد زاد من خسارتهم أنه كان منهم كثير من المسلمين أو المقيدين إذا هو واحد منهم في النهر هو يقيتهم بهويه ، فتهافت في الواقع صة مائة وعشرون ألفاً منهم ثمانون ألفاً مقترن وأربعون ألفاً مطلق سوى من قتل في المعركة من الخيول والرجل ، ولما رأى « الفيقار » قائد الروم مع أشرافهم ما حل بهم قالوا ما نحب أن نرى يوم السوء إذا لم نستطيع أن نرى يوم السرور وإذا لم نستطيع أن نمنع التصارنية فتجلوا بранسهم فأصحابهم المسلمين قتلاً فأصبح خالد في اليوم الثاني للمعركة في فسطاط أخي الملك بعد أن قضى عليه وهو يقاتل المسلمين نهار الأمس مع ليلة اليوم الثاني إلى الصباح فهزم الله الروم وجئي المسلمين العقبي وأصابوا ما في المعسكر فكان سهم الفارس من المسلمين يومئذ ألفاً وخمسينات<sup>(٢)</sup> .

وقد استشهد نحو ثلاثة آلاف مجاهد بينهم العدد الوافر من أعلام الصحابة في مقدمتهم عبد الرحمن بن العوام أخو الزبير وعامر بن أبي وقاص ، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي والنضير بن الحارث وسعيد بن الحرب ونعيم بن عبد الله التمام العدوى وأبو الروم بن عمير العبدري

(١) د . مصطفى زياده . الدولة الإسلامية ص ٢٨

(٢) ابن كثير البداية ج ٧ ص ١٥ ، ابن أثيم الكوفي الفتوح ج ١ ص ٢٦٠

وكليب بن عمير وهشام بن العاص والطفيل بن عمرو وجندب بن عمرو وسلمة بن هشام وعكرمة بن أبي جهل وابنه عمرو وأيان بن سعيد ، في الجنة مستقرهم جميعاً<sup>(١)</sup>.

وفي النهاية : يجب أن نضع بعض النقاط نوردها مع النتائج الهامة لتلك المعركة الخامسة لبلاد الشام والتي تعد من مفاخر الحرية الإسلامية في تاريخ الإسلام وفي عهد أبي بكر الصديق على وجه الخصوص :

أ - بعد هزيمة القوات البيزنطية ارتحل هرقل وهو دون مدينة حمص ، إذ تقرر أمر الشام لمصلحة الدولة الإسلامية فعلى أثر اليرموك تم للقوات الإسلامية فتح دمشق قصبة البلاد الرئيسية .

ب - بعد أن خلت المعركة دخل المسلمين « المعسكر الروماني » فوجدوا الكثير من الأسلاب والغنائم فاستقر خالد في رواق تذارق وغنم المسلمون كل ما في معسكر الروم . ومن الرواق الذي أقام به شقيق قيسر خلال ثلاثة أشهر وهو من الدبياج مد خالد بصره إلى الميدان الذي فر منه الروم فأصبح خلاه ليس لهم فيه نباء . ولا هسيس ثم رفعه إلى السماء شكرأ للله على نعمائه<sup>(٢)</sup> .

ج - أن جيشاً بلغ عدد رجاله أربعين ألف مجاهد ينازل جيشاً كثيف العدد فيه خمسة أمثاله ويحقق النصر عليه لدليل على أن الكثرة والقلة ليستا مدار النصر والهزيمة وإنما مدارها الصبر والثبات وخلوص النوايا وتحقيق قول الله تعالى « كم من فتنة قليلة غلت فتنة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين »<sup>(٣)</sup> .

(١) ابن اعشن المرجع السابق ص ٢٦١

(٢) سورة البقرة آية ٢٤٩

(٣) هيكيل . الصديق أبو بكر ص ٢٦٤

د - كان جيش المسلمين فيه العدد الوفير من درب على الحرب وإيقاع الخصوم في مصائد الهزيمة فساعدوا خالداً إزالة الضربات التي تتميز بالضراوة سواء كانت في المجزرة ضد المرتدين أو في جبهة العراق في مواجهة الفرس أم كانت تساعده في إزالة ألوية الدولة البيزنطية المنهزمة في بادية الشام .

ه - لم تنهزم القوات الرومانية بسبب الضعف العام في دولتهم كما قال المرحوم العقاد « لأنهم كانوا يدفعون العرب عن دولة حطمها ما قد حطم الفرس من الحروب الخارجية والفنان الداخلية ، وباخت عقائدها في صدورها لفطر ما أرثها من الجدل العقيم واستكانت إلى الذلة مرغمه حتى رضيت بالجزية تؤديها »<sup>(١)</sup> بقدر ما كانت الريادة - في رأيي - في تلك المناطق سلم مفاتيح النصر والظفر لفرسان دولة الإسلام المعاوين خالد وعمرو ويزيد وشحبيل والوليد بن عقبة وابن الجراح وأسماء عكرمة والنضير وعياش والتمام ومن نهج مناهجهم في صحائف الصالحين .

و - وقد حدثت وفاة الخليفة أبي بكر قبيل التحام القوتين العربية والرومانية ووصلت الأخبار إلى القائد العام ، « خالد » ، فكتبتها حتى تم له النصر النهائي ثم أذاعه . وكان مضمون الكتاب الذي وصل إلى خالد بواسطة منتجمة بن زنيم والذي كان قد أسر في أذنه بأن الصديق قد توفي واستخلف عمر وتم إسناد الإمارة على جيوش الشام إلى أبي عبيدة بن الجراح <sup>(٢)</sup> وقد وجد خالد أنه من المصلحة أن لا يلتفت إليه وقتها . وبعد أن نفذ الخطة المترتبة التي وضعها وتم له ولجنده الفوز سلم الأمر إلى أبي عبيدة وأعطيه مرسوم التقليد الذي جاء به البريد من الحجاز وعليه نقش

(١) عبقرية الصديق من ١٤٥

(٢) الطبرى ج ٦ ص ٥٩٢

خاتم الخليفة الجديد عمر بن الخطاب . وينضم خالد الذى تربى فى ساحات ميادين القتال بطلًا مغواراً ودانت له أعنى الجيوش وفتحت له العواصم حتى أن القواد من الخصوم الذين كانوا يتحاشون منازلته يقولون « إن الله أنزل على الرسول ﷺ سيفاً من السماء أعطاه خالد فلا يسله على قوم إلا هزمهم حيث سمي » سيف الله المسلول « أخذ بالقلوب والتواصى <sup>(١)</sup> ومع هذا كله لم يتضجر ابن الوليد لهذا العزل كعهدنا بأرباب الفروسية بل طلب من أبي عبيدة - القائد الجديد - بعد أن هنأ أن ينضم إلى جيش الشام تحت قيادته كفرد عادى يلاقى أعداء الله لينال الشهادة التى تمناها بعد مئات المراحل والطعنات التى هى فى الحقيقة أوسمة يكرم بها الأبطال ، ولكن الأمانة الغالية تمنعت ولم تكتب له ، يقول المرحوم عبد الوهاب النجار « إن خالدا كان واسطة عقد قواد الفتوحات وزينة تاريخ أبي بكر » ويانتها ، وقعة اليرموك قمت الأعمال الكبرى التى قامت بين دولة الإسلام فى مقابلة دولتى الفرس والروم فى عهد أبي بكر وقد عد المؤرخون اليرموك من أعمال عهد أبي بكر لأنها بدأت وتهيات فى زمانه ويعمله . وإن الأعمال الكبرى التى قمت فى هذا التاريخ القصير الذى لم يمتد إلى أكثر من سنتين وأربعين أشهر وهى مدة خلافة أبي بكر تشهد بأن الرجل كان صادق العزيمة قوى الإرادة كبير الهمة لأنه لا يحمل العظيم من الأمور ويستقبل به إلا العظيم <sup>(٢)</sup> .

\* \* \*

(١) المرجع السابق ج ٦ ص ٥٩٢

(٢) الخلفاء الراشدون ص ١٠٢

## الفصل السادس

# لطائف مزدهرة من أعمال أبي بكر

• جمع القرآن :

وإذا كان أبو بكر قد تم له الحفاظ على الدين الإسلامي مما عرض له من الناقمين والحاقدين في فتنة الردة فجمع الله على يديه شتات ما تفرق وانضمام فروع ما تبعث . فإنه يذكر له بكل الإجلال أنه تمكن من جمع القرآن في دفة واحدة خوفاً عليه من الضياع أو الزيادة في آياته أو جريان النقص وفق الأهواء كما حدث في الكتب المنزلة التي سبقته ، فاهتم - رضي الله عنه - بجمعه وتدوينه بعد ما استحر القتل في كثير من حفاظ القرآن في معركة اليمامة ضد المرتدين من بنى حنيفة ، والمطلع على تاريخ نزول وتدوين ذلك الكتاب الكريم يجد أنه نزل شفرياً على رسول الله ﷺ وهو ذلك النبي الأمي فلم يخط منه حرفاً ثم حفظه طائفة من الصحابة الأعلام . فسمح لهم المصطفى الكريم ﷺ بأن يكتبه من يشاء منهم بالكيفية التي رأها وتعلمتها في ذلك التاريخ امثلاً لأمر الرسول أو تطوعاً منهم فكانوا يخطون الآية والآيات على ما يصادفهم من أديم أو جريد أو عظام أو رقاع أو غير ذلك مما يصلح للكتابة وحرص بعضهم على حفظه واستظهاره <sup>(١)</sup> وتقول الروايات الموثقة في هذا السبيل إن عمر بن الخطاب في عهد أبي بكر قد سأله يوماً عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان قتل يوم اليمامة فقال : إنا لله وإن إليه راجعون . فطلب من أبي بكر

---

(١) الحافظ السجستاني . كتاب المصايف ص ١٨

أن يجمع القرآن<sup>(١)</sup> . إذن السبب المباشر في هذا العمل الجليل من تدوين آيات القرآن في كتاب واحد لكيلا يضيع منه شيء ، لما مات العدد الكثيف في حروب الردة كما مات غيرهم من القراء والحفاظ في زمن النبي . فوافق أبو بكر على ذلك وأمر زيد بن ثابت أن يكتبه وضم إليه من يساعدته من زعماء الإسلام ورؤوس الدعوة الهدادية من كان منهم على قيد الحياة . فكتب زيد ومن معه نسخة جامعة لكل القرآن حفظت عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر . فكان أبو بكر أول من جمعه وحفظه<sup>(٢)</sup> وفي البخاري عن زيد بن ثابت أنه قال : أرسل إلى أبو بكر عقب مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده قال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر بالمواطن فيذهب كثير من القرآن وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن . فقال زيد لعمر : كيف نفعل ما لم يفعله رسول الله ؟ قال عمر هذا والله خير ، قلم ينزل براجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت في الذي رأى عمر ، قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا تفهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله : فتتبع القرآن فاجتمعه ( قال زيد ) فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على ما أمرني به من جمع القرآن . وجمعه من العسب واللخاف وصدر الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبية مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم » إلى آخر براءة<sup>(٣)</sup> وقال على بن أبي طالب « أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر » رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله بين الموحين<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن الأثير الكامل ج ٣ ص ١٦٧

(٢) أبو عبد الله الزبيجاني ، تاريخ القرآن ص ١٠١

(٣) الترمذ شرح صحيح البخاري ص ٥٢٢

(٤) السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٧٧

وما ساعد زيد في مهمته وجود عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل من يستظهرون القرآن ويحفظون آياته حفظاً جيداً . فضلاً عن الأعلام الأخبار مثل عمر وطلحة وسعيد بن زيد وصهيب بن سنان وبلال وغيرهم من الورعين المأمونين من لا يلمح عليهم شبهة أو شك في يقين ومعظمهم الحمد لله كانوا يلازمون النبي ﷺ ملزمة متصلة حتى زمن هذا التدوين (١) .

أما طريقة زيد بن ثابت - المنوط به العمل الجليل - فإنه قد جمع ما استطاع جمعه من الآيات وال سور المدونة وكان يسأل ثقات الصحابة ما في صدورهم من القرآن حتى تم له تدوين جميع القرآن في أوراق وبطبيعة الحال كان يحتاط لما نسخ من الآيات وال سور وكان يراجع في هذا الصحابة حتى يستوثق له الأمر وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شاهدان على صدق ما يقول . وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفى بجمع ما وجده مكتوباً من القرآن حتى يشهد به من تلقاء سمعاً وكان يفعل ذلك مع أنه من الحفاظ مبالغة في الاحتياط (٢) وزيادة في التدقيق والتحرى طلب أبو بكر من عمر وزيد أن يحرضا على الاستيثاق فقال لهما « اقدعا على باب المسجد فمن جاءكم بما شاهدتم من كتاب الله فاكتباه » . وكان غرضهم إلا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي رسول الله ﷺ لا من مجرد الحفظ (٣) .

وما أقدم عليه الخليفة أبو بكر من جمع القرآن في ضميمة واحدة لهى آية من آيات المنجزات الصائبة التي تسجل لهذا العصر الذي يسارع إلى

(١) السجستانى مرجع سابق ص ١٩

(٢) المرجع السابق ص ١٩

(٣) الزنجانى تاريخ القرآن ص ١٠٢

فعل الحيرات ، فينفرد أبو بكر بهذا الفضل الجليل أولاً ليسهل الأمر لمن جاء بعده عند استنساخ المصاحف التي كتبت منها الأعداد التي وزعت على الأمصار الإسلامية في عصر الخليفة الثالث عثمان بن عفان ، فجزاؤهما لما عملا عند الله مدخل .

### • اجتهادات أبي بكر وفتاويه أثناء خلافته :

كان للحضور الذهني والإحاطة الكاملة بأمور التشريع الإسلامي الأثر البالغ في تلك الاجتهادات الموقعة التي تدرج على بيانها الخليفة الأول أبو بكر لكل من جاء يطلبها في حضور مجلسه ، فكانت الإجابات عمّا غمض فهمه من الحقائق وأغلبها يستدعي جرأة وحسما لا يقدر عليها إلا من كان راسخ العقيدة والمبدأ والمكانة كأبي بكر ، من ذلك ما أخرجه البخاري قال : « جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها فقال : ما لك في كتاب الله شيء وما علمت لك في سنة نبي الله ص شيئاً ، فارجعى حتى أسأل الناس ، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله ص فأعطاهما السادس فقال أبو بكر هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة ، فأنفذ لهها أبو بكر » وقيل إن جدتين أتنا أبو بكر تطليبان ميراثهما : أم أم أو أم فأعطي الميراث لأم الأم فقال له عبد الله بن سهل الأنصاري - وكان من شهدا بدرأ - يا خليفة رسول الله أعطيت التي لو إنها ماتت لم يرثها ؟ فقسمه بينهما <sup>(١)</sup> . وقد سئل الصديق في معنى قوله تعالى : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة » قال : « النظر إلى وجه الله تعالى » <sup>(٢)</sup> وقال البيهقي : إن الصديق سأله رجل من النصارى عن

(١) الترمي شرح صحيح البخاري ص ٣١٥

(٢) الترمي رياض الصالحين ص ١٠٩

الكلالة فرد قائلًا في تواضع وروية إنى سأقول فيها رأىي فإن يكن صوابا  
 فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان : أراه ما خلا الولد والوالد «  
 « ولما استخلف عمر قال : إنني لأشتري أن أرد شيئاً قاله أبو بكر ». .  
 وعن ابن مليكة قال سئل أبو بكر فقال أى أرض تسعنى وأى سماء تظلىنى  
 إذا قلت في كتاب الله ما لم يرد الله ؟ <sup>(١)</sup> وروى إن أبي يكر قال : أطيعوا  
 الله فيما أمركم به من الزواج ينجز لكم ما وعدكم به من الغنى فإنه تعالى  
 يقول « وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا  
 فقراء يغනهم الله من فضله والله واسع عليم » <sup>(٢)</sup> ومن خلاصة اجتهادات  
 الصديق ما أخرجته أسفار السير والسنن والفقه والتى منها « ما قيل إن  
 أبي يكر كره بيع اللحم بالحيوان » وقيل إنه جعل المجد بمنزلة الأب يعني فى  
 الميراث . وعن مالك « أن رجالاً من أهل اليمن قدم على المسجد زمن أبي  
 بكر وهو أقطع اليد اليمنى شاكياً ظلم أمير اليمن له وادعى إنه يصلى  
 الليل ، فقال أبو بكر - على الأمارة التي ظهرت له - وأبيك ما ليك  
 بليل سارق ». أما البراهين الخفية فقد ظهرت له عندما اختفت حلية لأسماء  
 بنت عميس أمراته . وقد أمر أبو بكر الرجل أن يطوف مع الرجل للعثور  
 على ما فقد فوجدوا الحلية عند صائغ زعم أن الأقطع جاء به فاعترف  
 الأقطع أو شهد عليه فأمر به أبو بكر فقطعت يده اليسرى ». وقد سيق إليه  
 رجل آخر قد سرق بعد تعدد جرائمها حيث قطعت جميع قوائمه فقال أبو بكر  
 ما أجد لك شيئاً إلا ما قضى فيك رسول الله ﷺ يوم أمر بقتلك فإنه كان  
 أعلم بك . فأمر بقتله <sup>(٣)</sup> . وروى السيوطي ما نقله عن سيف مأخوذاً عن

(١) رياض الصالحين ص ١٠٩

(٢) سورة النور آية ٣٢ - ابن حزم أصحاب الفتيا من الصحابة ص ١٠٨

(٣) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٣ ص ٢٥٦

شيوخه في كتاب الفتوح « إن أمير اليمامة المهاجر بن أمية » قد رفع إليه أمرأتان مغنيتان ، غفت إحداهما بشتم النبي ﷺ فقطع يدها ونزع ثنيتها وغفت الأخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها ونزع ثنيتها . فكتب إليه أبو بكر قال : « بلغنى الذي فعلت في المرأة التي تغفت بشتم النبي ﷺ فلولا ما سبقتني فيها لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود ، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو محارب غادر . أما التي تغفت بهجاء المسلمين فإن كانت مما يدعى الإسلام فأدب وتعزير دون العذلة وإن كانت ذمية فلعمري لما صفتت عنده من الشرك أعظم ولو كنت تقدمت إليك في مثل هذا لبلغت مكروها فاقبل الدعة وإياك والثلة في الناس فإنها مأثم ومنفحة إلا في قصاص » (١) .

وأخرج البيهقي عن أبي حازم قال جاء رجل إلى أبي بكر فقال إن أبي يريد أن يأخذ مالى كله فقال لأبيه « إنما لك من ماله ما يكفيك . قال الرجل يا خليفة رسول الله أليس قد قال رسول الله ﷺ « أنت ومالك لأبيك » ؟ قال نعم وإنما يعني ذلك النفقه (٢) .

وهكذا نجد أن أبي بكر بما وفق من جليل المسائل فضلاً عن يسيرها قد دل على قدرته العقلية الفائقة وفهمه الصادق لقانون السماء وشرع رب العالمين ورعايته للحقوق العامة الملائمة للتغيرات الزمن أما الملابس التي جددت في عصره فقد وضعها في ميزان صادق من معيار القياس على ما سبق فعله في العصر الظاهر للنبيوة . إن الثقافة الريفية - الروحية والدينية والفكرية - قد ملكها أبو بكر تلك التي جعلته يرضى أمره وفق ما أملأه ضميره العلمي والاجتهادي الذي يزن كل شيء .

(١) تاريخ الخلفاء، ص ٦٧

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٦٦

## • براءة الصديق السياسية :

إن الصديق أبي بكر قد خصه الله من بين أصحاب المزايا وأرباب الموهب بالعديد من السجايا التي بدت عنواناً خالداً على صدق عبقريته السياسية التي أكسبته حب الجميع هؤلاء الذين دانوا بالطاعة والإخلاص والاقتناع به حاكماً رشيداً سعى وجاحد في النهوض بمسئوليية الخلافة التي أستدبت إليه بعد وفاة النبي ﷺ مباشره فقام بتلك الواجبات الأعباء، الجسام التي كان وفيها بحقها جسورةً في اتخاذ القرارات المناسبة التي يحتمها الجسم والخزم معاً في السير على المنهاج الذي رسّمه الرسول الأعظم ﷺ في السلم والمرء والذى نقل العرب من خشونة البداوة إلى نور الحضارة وللسيادة والريادة في كل مجالات الحياة . فها هو الصديق من خلال تعاليم الإسلام السمحاء يوحد الكلمة ويجمع الشمل الإسلامي على سواء : فالمتتبع لسياسة أبي بكر يجد الجزء الفريد من خلافته قد استجلّى جواهر النظام الأساسي على ضوء فهم القرآن للالتزام بتعاليمه الحكيمه . وصورة النبي محمد ﷺ في صميم ذاكرته عند إدارته وسياسته ، ولم يبرح خاطره إطلاقاً - وهو المحمدي المنهج - السر الخالد للوفاء والتسامح والإشراق على الضعفاء واحترام أهل الكتاب بإعطائهم الحرية في معابدهم والأمان على أموالهم وأعراضهم ، والعدل والمساواة وصيانة الحقوق ومحاربة البغي والعوران . كما كان يرى الرسول يحكم دولته الإسلامية . ألم يقل أبو بكر في أهل ولايته « قد وليت أمركم ولست بخيركم ولكن نزل القرآن وسن النبي ﷺ السنن وعلمنا إلنا أنا متبع ولست بمبتدع » (١) إلخ تلك الكلمات القلائل التي جمعت أصول الحكم الصالح واستوحت قواعد الريادة الراشدة في كل نظام يأخذ بكل أسباب الحرية في هذا البناء الشامخ والخطبة

(١) ابن سعد طبقات ج ٣ ص ٢١٣ .

نفسها يوردها العلامة السيوطى ويثبت فى ختامها قول الإمام مالك « لا يكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط »<sup>(١)</sup> فكان هذا شأن أبو بكر حاكماً قوياً حازماً فى مواقف تستدعي ذلك دون هوادة . كما كان لين الطباع رؤوفاً وفيا عطفواً فى مواقف أخرى جديرة بالتقدير<sup>(٢)</sup> وفي كلٍّ مما يرام من الخير للقيادات فى تتبع القوانين الإدارية الوعائية والسبيل الأنجع فى تفهمها ما يعد نبراساً لهم جميعاً على مدار الأزمان .

وقد ظهرت معدن شخصية هذا الصحابي الجليل ، عربته أبيه كعون بارز لأمجادنا التالية آثرت أن أستجليها فى صور متلاحقة من المناقب الأصلية والتي تأكّد بعد أن عرفت روّح حقائق الإسلام وظهرت جلية بعد أن تصدّى لأمانة حكم المسلمين خليفة للرسول الأمين محمد ﷺ فمما اشتهر من مكرمات عطائه المعنوي ككل صالح بر أنه رجاع إلى الحق حين يلوح وتظهر براهينه كاشفة عياناً مثل مسألة « الفئ » والتي كان يأتيه من ساحات الكرامة في حرث الردة وفتح العراق بعد ما أشرقت في يمينه رايات النصر فيهما وكان قواده يتبعون الأمر الإلهي الذي أنزله في محكم بيناته في هذا المخصوص « واعلموا أنا غتنتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتם بالله وما أنزلنا على عبادنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قادر »<sup>(٣)</sup> ، يقول طه حسين<sup>(٤)</sup> « وكان هؤلاء المجاهدين يقسمون أربعة أخمس الغنيمة على الجذور وربما نقلوا<sup>(٥)</sup> أصحاب البلاء من الخمس ثم يرسلون ما بقى منه إلى أبي بكر يقسم ما يصل إليه بين المسلمين لا يفرق بينهم في

(١) تاريخ الخلفاء ص ٧٢ .

(٢) أبو الأعلى المودودي نظرية الإسلام وهديه في السياسة ص ٥١ .

(٣) سورة الأنفال آية ٤١ . (٤) الشيخان ص ٩٨ .

(٥) نقلوا : زادوا .

القسمة وإنما يعطىهم جميعاً على السواء يعطى الرجال والنساء والأمراء والرقيق وما كلم في شأن السابقين إلى الإسلام والمجاهدين مع رسول الله ص قال : إن أجرهم على ذلك عند الله وإنما الدنيا بлагٍ » .

كما أن هذا الخليفة الصادق السريه والذى ما أن انتهى أمره بحرق «بجير بن إياس» ذلك الظالم الغشوم فى ناحية المصلى جزء ما اقترف من الإثم . والجزء من جنس العمل . إلا أن الصديق كان يصارح نفسه بصورة فريدة من النقد الذاتى الذى لا تصلح الحياة السياسية إلا به . فكان أبو بكر يذكر ذلك العمل ويتمنى لو أنه أتى بفعل أخف غير تلك النهاية التى حدثت يروى البلاذرى بسنده عنه رضى الله عنه « ثلاثة تركتهن ووددت إنى لم أفعل : وددت إنى يوم أتيت بالأشعث بن قيس ضربت عنقه فإنه تخيل إلى أنه لا يرى شرا إلا سعى فيه وأعلن عليه . ووددت إنى حيث يوم أتيت بالنجاعة - بجير بن إياس - قتلتة ولم أحرقه . ووددت إنى حيث وجهت خالدا إلى الشام وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق فأكون قد بسطت يميني وشمالي جميعاً في سبيل الله »<sup>(١)</sup> .

وقد كان - رحمه الله - يبتعد عن كل ما فيه شبهة وضرب المثل الرائع فى التعطف على ما فيه ريبة من طعام أو شراب أو غيرهما . إن فى ذلك لعبرة للذاكرين من الحكام والأمراء والأشخاص على وجه العموم الذين يغفلون عن عظام الأمور ويستسهلون ما صغر مما قدمت أيديهم « وكل النار من مستصغر الشرر » فإن يقظة الضمير من مطلوبات الحياة . من ذلك ما رواه البخارى « أن أبا يكر كان له غلام فأتاه ليلة بطعام ، فأكل منه أبو يكر . فقال له الغلام : كنت تسألنى كل ليلة ولا تسألنى الليلة ؟ قال حملنى على ذلك الجوع . ثم سأله : من أين جئت بهذا ؟ . قال : مررت

---

(١) فتح البلدان جـ ٢ ص ١١٢ .

بِقَوْمٍ كُنْتُ أَرْقَى لَهُمْ فِي الْجَاهْلِيَّةِ فَأَعْطَوْنِي هَذَا الطَّعَامُ مَعَ عَرْسٍ لَهُمْ هَذَا  
الْيَوْمِ ( قال ) وَيَلِ لَكَ إِنْ كَدْتَ لَتَهْلِكُنِي . فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرَ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ  
فِي بَطْنِهِ (١) وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ يَقُولُ بَأْنَ أَبَا بَكْرٍ دَعَى بَطْسَتَ مِنْ مَا فَجَعَلَ  
يَشْرَبُ وَيَقْنَى مَا فِي بَطْنِهِ . فَقَبِيلَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ تَفْعَلُ  
كُلَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ لِقَمَةٍ ؟ قَالَ : لَوْلَمْ تَخْرُجْ إِلَّا مَعَ نَفْسِي لَأَخْرُجْتُهَا فَقَدْ  
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ : كُلَّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سَحْتِ فَالنَّارِ أَوْلَى بِهِ (٢) .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ قَرَأَ الآيَةَ الْكَرِيمَةَ : « خَذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ  
الْجَاهْلِيَّةِ » (٣) أَثْنَاءَ خطبةٍ لَهُ فَقَالَ أَيْهَا النَّاسُ إِنْكُمْ تَقْرَأُونَ هَذِهِ الآيَةَ  
وَتَؤْلِونَهَا عَلَى خَلَافِ تَأْوِيلِهَا « يَا أَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ  
لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضُلُّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ » (٤) وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ تَعَالَى يَقُولُ : مَا  
مِنْ قَوْمٍ عَمِلُوا بِالْمُعَاصِي وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَنْكِرَ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَفْعَلْ إِلَّا  
يَوْشِكُ أَنْ يَعْمَلُهُمُ اللَّهُ بَعْذَابًا مِنْ عَنْدِهِ (٥) .

وَكَانَ أَبُو بَكْرَ مَوَالِ امْرَأَ عَجُوزَ عَمِيَّاً فِي هَدَاءِ اللَّيلِ فَرَبِيعًا لَا تَجِدُ مَا  
سَدَ الرَّمْقَ بَعْدَ أَنْ عَدَا عَلَيْهَا الدَّهْرَ وَعُمْرُ شَاهِدٍ عَلَى تِلْكَ الْلَّفْتَةِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي  
حَدَثَتْ فِي قَاصِيَةِ الْمَدِينَةِ حِيثُ أَخْرَجَ أَبْنَ عَسَاطِرَ قَالَ « إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ  
كَانَ يَتَعَهَّدُ عَجُوزًا كَبِيرًا عَمِيَّاً فِي بَعْضِ حَوَالَيِّ الْمَدِينَةِ مِنَ اللَّيلِ فَيَسْقِي  
لَهَا وَيَقُولُ بِأَمْرِهِ . فَكَانَ إِذَا جَاءَهَا وَجَدَ غَيْرَهُ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا فَأَصْلَحَ مَا  
أَرَادَتْ . فَجَاءَهَا غَيْرُ مَرَةٍ كَيْلًا يَسْبِقُ إِلَيْهَا . فَرَصَدَهُ عُمَرُ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرِ  
الَّذِي يَأْتِيهَا وَهُوَ يَوْمَذِ خَلِيفَةً فَقَالَ عُمَرُ : أَنْتَ هُوَ لِعَمْرِي ! (٦) .

(١) التَّوْرِي شِرْحُ صَحِيحِ الْبَغَارِيِّ صِ ٣٤٨ . (٢) الْأَسْتِعْابُ جِ ٣ صِ ٢٧٩ .

(٤) سُورَةُ الْأَعْرَافِ آيَةُ ١٩٩ . (٣) سُورَةُ الْمَائِدَةِ آيَةُ ١٠٥ .

(٥) أَبْنَ عَبْدِ الْبَرِّ الْمَرْجُعُ السَّابِقُ صِ ٢٨٢ .

(٦) السَّيْوطِيُّ تَارِيخُ الْخَلْفَاءِ صِ ٨٠ .

وقد بلغ من حب أبي بكر لنبيه محمد ﷺ أنه كان يفرط في تقديم آيات الإكبار وعظيم التقدير لأهل البيت وفي مقدمتهم على بن أبي طالب وزوجته السيدة فاطمة الزهراء بنت المصطفى وأم السبطين المعزّين . وحاول استجلاب محبتهم طوال حياته بالخلافة . ويسط حلمه ما وسعته الهمة في أمور - هما وهو - أقرب ما يكونوا إلى الاجتهد الموصل لاستجلاء الحقائق عياناً للعامة والخاصة وفي ذلك فليتنافس المنافسون . وهي مواقف لا تتعارض إطلاقاً مع عزة النفس بل تعدّ محمله في دروب لين الطياع المستمد من دماثة الخلق الرفيع الذي لا خلاف عليه في تقديره هذا الموضوع الذي عرف في التاريخ « بقضيه ميراث الرسول » في مواجهات نجح فيها الخليفة أبو بكر أيها نجاح . أخرج أبو نعيم قال « جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله ﷺ فقال انزل عن مجلس أبي فقال : صدقت إنه مجلس أبيك وأجلسه في حجره ويسكي . فقال على : والله ما هذا من أمري . فقال : صدقت والله ما أتھمك (١) وعندما جاءت السيدة البيتول فاطمة الزهراء إلى مجلس الخليفة مطالبة بميراث أبيها في أرض فدك وفي سهمه من خيبر فرد عليها أبو بكر بقوله « سمعت رسول الله ﷺ يقول : نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة إنما يأكل أهل محمد في هذا المال وإنى والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا أصنعه (٢) وتزيد رواية البخاري « وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقات النبي ﷺ التي كانت عليها في عهد النبي ﷺ ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله ﷺ فتشهد على ». ثم قال : إنما قد عرفنا يا أبو بكر فضيلتك وذكراً قرابتكم من رسول الله وحقهم . فتكلم أبو بكر فقال : والذي نفسي بيده لقرايبة رسول الله ﷺ أحب إلى أن أصل من قرابتي (٣) . وغضبت الزهراء

(١) السيوطي المربع السابق ص . ٨ . (٢) ابن كثير البداية ج ٣ ص ١٨٩ .

(٣) الترمذ شرح صحيح البخاري ص ٥١٨ .

من هذا الموقف وقاطعت أبا بكر كما قاطعت عمر بن الخطاب . « ولقد بلغ من ألم أبي بكر وصاحبه عمر أنهما ذهبا إليها المرة تلو المرة وكلما عليا في الاستئذان لهما بالدخول مقابلتها ورفضت . فقال أبو بكر « لتن ظلت ابنة الرسول وأم السبطين غضبي لأعتزلن الخلافة . وااضطر على أن يلح عليها حتى أذنت لها وأخذ أبو بكر يتراضها <sup>(١)</sup> من ذلك ما رواه أحمد بن الطفيلي أن السيدة فاطمة قالت لأبي بكر في حضور عمر وعلى « ألا أنت ورثت النبي أم أهله ؟ » فقال : لا بل أهله فقالت : فأين سهم رسول الله ص ؟ فقال أبو بكر إنني سمعت رسول الله ص يقول : إن الله إذا طعم نبيا طعمة ثم قبضه جعله للذى يقوم من بعده » فرأيت أن أردء على المسلمين . قالت فأنت وما سمعت من رسول الله ص <sup>(٢)</sup> . وهكذا نجد أن أبا بكر قد ترضى فاطمة ولايتها قبل موتها فرضيت رضوان الله عليها وقد حسم الحافظ ابن كثير تلك القضية قال : « وأما تغضب فاطمة على أبي بكر فما أدرى ما وجهه فإن كان لنعنه إياها ما سأله من الميراث فقد اعتذر إليها بعذر يجب قبوله وهو ما رواه عن أبيها رسول الله ص أنه قال « لا نورث ما تركناه صدقة » وهي من تنقاد لنص الشارع الذى خفى عليها قبل سؤالها الميراث كما خفى على أزواج النبي حتى أخبرتهن عائشة بذلك ووافقنها عليه <sup>(٣)</sup> أما ابن عبد البر فقال : « ولستا نظن بفاطمة أنها اتهمت أبا بكر فيما أخبرها به . حاشاها وحاشاه من ذلك ، كيف وقد وافق على رواية هذا الحديث عمر وعثمان وعلى وابن عوف والزبير والعباس وطلحة وأبو هريرة وسعد وغيرهم وكان رأيه فيما يشبه الاعتذار وإنى والله لا أدع أمراً كان يصنعه فيه رسول الله ص إلا أصنعه <sup>(٤)</sup> . »

(١) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٢ ص ٢٣٥ .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ٢٣٦ ، وعن مالك بن أوس أن عمر قال : كانت أموال بنى النضير ما أنا ، الله على رسوله ص ما لم يوجد عليه المسلمين بخييل ولا ركب . فكانت لبني خاصة . فكان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقى جعله فى الكراج والسلاح عدة فى سبيل الله »

(٣) البداية ج ٢ ص ٣٥٢ .

(٤) الاستيعاب ج ٢ ص ٢٣٧ وروى البيهقي قال : « قال زيد بن علي بن الحسين : أما أنا فلو كنت مكان أبي بكر لحكمت بما حكم به أبي بكر في ذلك » .

ومن لطائف المواقف التي تستدعي الحسم ما نقلته أسفار التاريخ إبان الفتوحات الإسلامية في أرض العراق وذلك بعد ما انتهت معركة ذات السلاسل بهزيمة الفرس ومقتل قائدتهم الذهابية هرمز « فبعث خالد خمس الغنائم إلى أبي بكر بالمدينة وبعث معها قلنوسه هرمز وفيلاً أصابه المسلمون في الحرب ولم يكن أهل المدينة قد رأوا فيلاً قبل ذلك بل لم تر بلاد العرب فيلاً قبل ذلك إلا فيل أبيه الحبشي حين حاول هدم الكعبة . ولما طاف قائد الفيل به في المدينة عجب أهلها لنظر الحيوان الضخم وتولى بعضهم الريب في أمره . بل لقد جعلت ضعيفات النساء يقلن ومن خلق الله هذا أم من صناعة فارس ؟ (١) ورأى أبو بكر بواسع مداركه وبعد نظره وخوفاً من زيادة الافتتان أنه لا نفع فيه فرده إلى العراق مع قائدته . وقضى بعمله الحاسم هذا على كل ما من شأنه أن يتبيه بالناس في ترهات الأراجيف وسد هذا الباب الذي يشير الشكوك من أساسه . إن خصلة التواضع من شيم الكرام ذكي الخليفة الأولى بها نفسه الصافية . وإن العفة من الأمانة والبر هي مسكلهما وجماعتها في النفس . وإن الأمانة من البر ، والعفة هي كمال هذه الفضائل . وأقصد بالعفة هنا التعفف عن مال الرعية التي عدّها الصديق في درجات الأمانة والتواضع النزول إلى مستوى ما يحتاجه الناس وكلها عنده درجات لحقيقة واحدة . غير أن بعضها أسمى من بعض في الشأن والمنزلة . ومن درجات التعفف على درب المسؤولية ما نقل من « أن زوجته اشتهرت حلواً فقال لها ليس لنا ما نشتري به فقلت إننا استفضل من نفقتنا عدة أيام ما نشتري به قال : افعل ففعلت ذلك فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير . فلما عرفته ذلك ليشتري به حلواً أخذه فرده إلى بيت المال وقال هذا يفضل عن قوتنا وأسقط

---

(١) ابن اعثم الكوفي . الفتوح ج ١ ص ٢٦١ .

من نفقة يقدر ما نقصت كل يوم وغرمه من بيت المال من ملك كان له (١) هل تجد نفساً بهذا السمو الغريب غير هؤلاء الأخيار الذين أجهدوا أجسادهم وحرمواها من متع لا يجد الكثير غضاضة في التخلص عنها . وهو درس لإنسانية العامة في فلسفة السياسة فهل أطعم في وصولها إلى القلوب المفتتحة من أصحاب الأمر والنهي والأمانة ويتصدرون سياسة بلادهم الإسلامية وأدعوهم إلى التطلع الفاضل إلى كتب التراث ، عبرة لنا ولهم .

وقال الطبرى في موسوعته الشاملة : قالت عائشة كان منزل أبي بالسنح وكان قد حجر عليه حجرة من سعف ، فما زاد على ذلك حتى تحول إلى منزله بالمدينة . فأقام هناك بالسنح بعد ما بُويع له ستة أشهر يغدو على رجليه إلى المدينة وربما ركب على فرس له وعليه إزار ورداء فيوانى المدينة فيصلى الصلوات بالناس فإذا صلى العشاء رجع إلى أهله بالسنح (٢) . وكان رجلاً تاجراً فكان يغدو كل يوم السوق فيبيع وبيتاع . وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو نفسه فيها وربما كفتها فرعيت له . وكان يحلب للحي أغنامهم فلما بُويع له بالخلافة . قالت جارية من الحي : الآن لا تحلب لنا منائح دارنا ، فسمعاها أبو بكر فقال : لعمري لأحلبنها لكم وإنى لأرجو أن لا يغيرنى ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه فكان يحلب لهم ، وربما قال للجارية من الحي : يا جارية أتحبين أن أرعى لك أو أصرح فربما قالت أرع وربما قالت صرح فأى ذلك قالته فعل (٣) ونظر أبو بكر في أمره فقال لا والله لا تصلح أمور الناس على التجارة واستنفق من مال المسلمين ما يصلحه ويصلح عياله يوماً بيوم ويحجج ويعتمر وكان الذي فرضوا له في كل سنة ستة آلاف درهم فلما حضرته الوفاة قال « ردوا ما عندنا من مال

(١) ابن كثير مرجع سابق ص ٣٥٤ .

(٢) تاريخ الأمم ج ٤ ص ٢٨٠ .

(٣) ابن سعد طبقات ج ٣ ص ١٨٧ .

المسلمين فإنني لا أصيّب من هذا المال شيئاً وإنني أرضى التي بمكان كذا وكذا للMuslimين بما أصبت من أموالهم<sup>(١)</sup> وعن الحسن بن علي قال : لما احتضر أبو بكر قال يا عائشة انظرى اللقحة التي كنا نشرب من لبنها والجفنة التي كنا نصطبغ فيها القطيفة التي كنا نلبسها<sup>(٢)</sup> فإننا كنا نتفق بذلك حين كنا نلبي أمر المسلمين فإذا مات فارديه إلى عمر . فلما مات أبو بكر أرسلت به إلى عمر فقال عمر رحمك الله يا أبي بكر لقد أتعبت من جاءك<sup>(٣)</sup> . وكان بيت المال في بيته فقيل له : ألا نجعل عليه من يحرسه ؟ قال أبو بكر لا . فكان ينفق جميع ما فيه على المسلمين فلا يبقى فيه شيء . فلما انتقل إلى المدينة جعل بيت المال معه في داره وقد انتفع معدن بن سليم فيضعها في بيت المال فكان يسوى في قسمته بين السابقين الأولين والأخرين في الإسلام وبين الحر والعبد والذكر والأثني . وكان يشتري الأكسية ويفرقها في الأرامل عند الشتاء . ولما توفي أبو بكر جمع عمر الأمانة وفتح بيت المال فلم يجدوا فيه شيئاً غير دينار سقط من غراره فترحموا عليه<sup>(٤)</sup> .

ومن براعته السياسية الاجتهاد في الأحكام الدينية يتألّم المثوية حتى وإن أخطأ . وهي من الحكم البليغة التي لها مرماها بعيد وتجدها مطروعة رحيبة في ذلك النسج المتكامل من سياسة أبي بكر متدرجة تحت مسألة شائكة خاض فيها الحكم الهائل من الباحثين في الشرق والغرب - موضوع مقتل مالك بن نويره على يد خالد بن الوليد والبناء بزوجته بعد ذلك ! . وقد عملت الأقلام الاستشرافية « من الحبة قبة » وأدخلوها في مقام قوة

(١) الطبرى تاريخ الأمم ج ٤ ص ٢٨٠ .

(٢) اللقحة : الناقة . والقطيفة : ما يلبس فوق الثوب .

(٣) السيوطي تاريخ الخلفاء ص ٧٨ .

(٤) ابن سعد طبقات ج ٣ ص ٢١٣ - ٢١٤ ، الغرارة : الكيس .

الفروسية وسط ساحات المبارزة والفوز بقلب الحسناً الجميلة لمن كانت له الغلبة والتفرد بالنصر في تلك المبارزة .

والحقيقة أن مالك بن نويره قد تورط في اتباعه المتبعة الكاذبة « سجاح التيممية » فوادعها ثم انتقلت هذه المرأة إلى أرض البيامة وعقدت حلفاً دينياً مع مسيلمة - كما قلنا من قبل - وهنا تجمع الروايات بأن مالكاً قد ندم على ما قدّمت يداه » وسار حتى قدم البطاح<sup>(١)</sup> فلم يجده أحد فقال مالك « يا بنى يربوع إنما قد عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين وبطأنا الناس عنه فلم نفلح ولم ننجح وإنى قد نظرت في هذا الأمر فوجدت الأمر لم يتّأت بغير سياسة وإذا الأمر لا يسوسه الناس فياياكم ومناؤة قوم صنع لهم . فتفرقوا إلى دياركم وأدخلوا في هذا الأمر . فتفرقوا على ذلك إلى أموالهم وخرج مالك حتى رجع إلى منزله<sup>(٢)</sup> ولما ورد خالد منطقة البطاح جاءته السرايا بمالك في نفر من قومه من بيني قيم فوضعهم القائد في المحبس . وقد أجبيرا إلى داعي الإسلام وهو الأذان وقيل إن قوم مالك لم يؤذنوا فأقبل عليه خالد يحاوره فسمع بالصلة والتوكى بالزكاة فقال له خالد : أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً لا تقبل واحدة دون الأخرى ؟ فقال : قد كان صاحبكم يقول ذلك فقال له خالد أهو صاحبنا وليس بصاحبكم ؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك » ثم تجادلا في الكلام فقال إني قاتلك فقال له أو بذلك أمرك صاحبكم ؟ قال : وهذه بعد ذلك لا أقالنـى الله إن لم أقتلك . فأمر به وي أصحابه فقتلوا<sup>(٣)</sup> . وفي رواية أخرى مختلفة المضمون « فاختلـفت فيهم . وفيهم أبو قتادة الأنباري فكان فيمن شهد أنهم قد أذنـوا وأقاموا وصلـوا فلما اختلفـوا فيهم أمر بهم فحبـسوا في ليلة باردة لا يـقوم لها شـئ

(١) البطاح : ماء في ديار بنى خزيمة في نجد .

(٣) الطبرى ج ٣ ص ٤٤٣ .

(٢) ابن كثير البداية ج ٦ ص ٣١٩ .

وجعلت تزداد بردًا فأمر خالد منادياً فنادي « أدقنا أسراكم ». وكانت كنایة في لغة كنانة عن القتل ، فقتلواهم وقتل ضرار بن الأوزور مالكاً . ولما فرغوا منهم قال خالد « إذا أراد الله أمراً أصابه » وقد اختلف القوم فيهم فقال أبو قتادة : هذا عملك . فزوجه خالد ، فغضب ومضى حتى أتي أبا بكر ، فغضب عليه أبا بكر حتى كلمه عمر فيه . فلم يرض إلا أن يرجع إلى خالد فرجع إليه حتى قدم معه المدينة <sup>(١)</sup> وتزوج خالد أم تميم ابنة المنهاج وتركها لينقضى ظهرها <sup>(٢)</sup> فلما علم ذلك عمر بن الخطاب قال لأبي بكر « إن في سيف خالد رهقاً فإن لم يكن هذا حقاً حق عليه أن تقيده » وأكثر عليه في ذلك وكان أبي بكر لا يقييد من عماله ولا وزنته فقال : هيه يا عمر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد . وودي مالكاً فقال « لا أشم سيفاً سله الله على الكفار <sup>(٣)</sup> ». وكتب إلى خالد أن يقدم عليه فلما قدم خالد أخبر أبا بكر خبره فعذرها وقبل منه وعنده في التزويع الذي كانت تعيب عليه العرب . وحين دخل خالد المسجد كان يلبس درعه ويضع في عمامته النشاب المضمخ بالدماء فقام إليه عمر وانتزع النشاب من عمامته فكسرها وقال له أرياءً قتلت أمراءً مسلماً وزنوت على أمرائه ؟ وخالد لا يجيبه <sup>(٤)</sup> . وهكذا حللت تلك المشكلة الدقيقة بقبول العفو وأثره الخليفة على ما عداه بعد ما قدم القائد كل المبررات الداعية إلى تبرئته من كل ما ارتكبه في حق مالك وكلها أذار مقبولة عند أبي بكر الهين اللين وأنا مع العلامة العقاد في تصوره أن أبا بكر قد استشار هنا طبيعة الاقتداء وطبيعة الإعجاب بالبطولة وطبيعة الإغضاء ، وهي تشير عليه بالإعفاء عن الحساب أو بالإمهال به إلى حين فهو لا يعزل قائداً من قواد رسول الله صلوات الله عليه وسلامه وسيفًا من

<sup>(١)</sup> ابن كثير مرجع سابق ص ٣١٩ .

<sup>(٢)</sup> كانت العرب تكره نكاح النساء في الحرب وإن الزواج في هذه الحالة لما يغير ويعيب .

<sup>(٣)</sup> الطبرى ج ٣ ص ٢٤٤ .      <sup>(٤)</sup> ابن كثير مرجع سابق ج ٦ ص ٣٢٣ .

سيوفه ، وهو لا ينسى بطولة خالد وإن زل وأخطأ التأويل . وهو يؤثر اللين لأنه في عامة أحواله مطبوع عليه ما لم يمسه الأمر بما يشير<sup>(١)</sup> وقد سارع أبو بكر في دفع دية مالك وسوق الإبل إلى أخيه « متمم بن نويره » وقومه من بنى تميم ، وانقسمت بذلك تلك الفيوم التي عكست صفو الحياة السياسية في ذلك العصر النبيل إلى حين .

### • مرض الخليفة الأول :

مرض الخليفة الأول أبو بكر بالحمى لسبعين خلون من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ ، وقيل عن سبب هذا المرض أنه اغتسل في يوم بارد ، واستمر يعاني منه مدة خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة<sup>(٢)</sup> . وقيل إنه سم فقد روى الزهرى أن أبو بكر والحارث بن كلدة كانوا يأكلان خزيرة<sup>(٣)</sup> أو حزيرة أهدىت لأبي بكر فقال الحارث - وكان طيباً - لأبي بكر : ارفع يدك يا خليفة رسول الله ؛ والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت في يوم واحد ، فرفع يده . فلم يزالا عليين حتى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة<sup>(٤)</sup> . ولما اشتد به المرض وأوهنه الضعف في الأيام الأخيرة من حياته دخلوا على أبي بكر وقالوا له : يا خليفة رسول الله ألا ندعوك طيباً ينظر إليك ؟ قال قد نظر إلى<sup>(٥)</sup> . فقالوا : ما قال لك ؟ قال : إني فعال لما أريد<sup>(٦)</sup> . وكان أبو بكر يأمر عمراً في مرضه أن يصلى بالناس وكان يدخل عليه الناس يعودونه وهو يشقى كل يوم وكان نازلاً في داره

(١) عبقرية الصديق ص ٨٠ .

(٢) أبو النلاح بن العساد شذرات الذهب ج ٦ ص ١٠٧ .

(٣) الخزيرة طعام وهو الحسا من الدسم والدقيق وأحياناً تنصب بلحm يقطع صفاراً على ما كثير فإذا أضجع در عليه الدقيق ولا تكون الخزيرة إلا وفيها لحم » .

(٤) ابن حجر الإصابة ج ٣ ص ٢٥٦ . (٥) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٢٠٠ .

التي قطع له رسول الله ﷺ . وكان عثمان أزمهم له في مرضه <sup>(١)</sup> وأخذ يوصي لمن حوله بعده وصايا أولها الحفاظ على حق الجنين في ميراثه والذي حملت فيه زوجته ابنة خارجة . أخرج مالك عن عائشة أن أبي بكر نحلها جداد عشرين وسقا من ماله الغالية فلما حضرته الوفاة قال : أى بنية إنك كنت أحب الناس إلى وأعزهم ، وإنى كنت نحلتك أرضاً التي تعلمين بمكان كذا وكذا وأنا أحب أن ترديها على . فلو كنت جدته واحترزته كان لك وإنما هو اليوم مال وارث وإنما هو أخواك وأختاك ، فاقسموه على كتاب الله ، فألقي ربي حين القاء ولم أفضل بعض ولدي على ولدي . فقالت : يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى ؟ قال ذو بطん ابنة خارجة ، فقد ألقى في روعي أنها جارية <sup>(٢)</sup> . كما أوصى بكفنه وغسله فعن ابن أبي مليكه أن أبي بكر أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ويعينها ابنه عبد الرحمن بن أبي بكر ثم قال لعائشة « اغسلى ثوبى هذين وكانا مشقين وإبتاعوا لي ثوابا آخر قالت يا آيد إنا موسرون قال أى بنية أحق بالجديد من الميت إنها المهلة والصديق <sup>(٣)</sup> ثم أوصى - رحمة الله - بن يصلى عليه ومكان دفنه فقد أخرج أحمد عن عائشة قالت إن أبي بكر لما حضرته الوفاة قال أى يوم هذا ؟ قالوا يوم الاثنين قال فإن مت من ليلى فلا تنتظروا بي لعد فان أحب الأيام والليالي إلى أقربها من رسول الله ﷺ وقد أوصى بخمس ماله وقال أخذ من مالى ما أخذ الله من فيئ المسلمين <sup>(٤)</sup> وكان يخشى ربه وقد اقترب من لقائه فقال الصديق وددت أنى خضرة تأكلنى الدواب » أما عائشة لما ثقل أبوها تمثلت بهذا البيت :

لعمرك ما يغنى الثراء في الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق به الصدر

(١) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٣ ص ٢٥٥ . (٢) ابن سعد الطبقات ج ٣ ص ٢٠٣ .

(٤) نفسه ج ٣ ص ٢٧ . (٣) المرجع السابق ص ٢٠٨ .

فكشف عن وجهه وقال ليس كذلك ولكن قولي « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » وبعدها قال أى يوم توفي رسول الله ؟ قالت عائشه : يوم الاثنين . وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ وكان نقش خاتمه « نعم القادر الله » وقيل « عبد ذليل لرب جليل » (١) .

### • استخلاف عمر بن الخطاب :

عهد الخليفة أبو بكر في مرضي موته بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب مؤثراً بذلك رفع الحرج عن الناس في وقت حاسم بن هو جديراً بالخلافة في تلك الظروف الحاسمة فالحرب في أرض العراق والشام تواجه فيها القوات الإسلامية الجيوش الرومانية والفارسية فضلاً عن أن العديد من القبائل العربية داخل الجزيره قد حاولت أن ترفع عن كاهلها أدران الردة وغوايتها . فكان المسلمون في حاجة إلى رجل قوي شديد في الحقد قادر على أن ينهض بالأعباء الجسمانية التي تركها أبو بكر . « فعزم على أن يعهد بالمسؤولية إلى عمر إلا أنه آثر المشورة في هذا الأمر . فاستدعي عبد الرحمن بن عوف وقال له أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال : يا خليفه رسول الله هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ولكن فيه غلظه فقال أبو بكر : « ذلك لأنك يراني رقيقاً ولو أفضى إليه الامر لترك كثيراً مما هو عليه ويا أبا محمد قد رمقته فرأيتني إذا غضبت على رجل في شيء أراني الرضا عنه وإذا لنت له أراني الشدة عليه » ثم دعا عثمان فقال : يا أبا عبد الله أخبرني عن عمر ؟ قال أخبر به فقال أبو بكر : على ذاك يا أبا عبد الله قال عثمان : اللهم علمي به أن سيرته خير من علاته وأن ليس فيما مثله قال أبو بكر رحمك الله يا أبا عبد الله لا تذكر ما ذكرت لك شيئاً . ثم شاور أبو بكر عنه سعيد بن زيد وأسید بن حضير وغيرهما من المهاجرين

(١) ابن كثير البداية ج ٦ ص ١٠٥ .

والأنصار فقال أسيد : اللهم أعلمك الخير بعده يرضي للرضى ويُسخط للسخط الذي يُسر خير من الذي يعلن . ولن يلى هذا الأمر أحد أقوى عليه منه <sup>(١)</sup> وعندها سمع الكثير من المسلمين امر هذا الاستخلاف يقولون لأبي بكر ما هذا اختلف علينا فظا غليظا لو قد ملكتنا كان أفظ وأغلظ ؟ فما تقول لربك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر وأنت ترى غلطته ؟ قال أبو بكر أجلسوني فقال لهم « أتخوّفونى بربى . خاب من تزود منكم بظلم . أقول اللهم استخلفت عليكم خير أهلك » <sup>(٢)</sup> .

ثم دعا الصديق ذا التورين عثمان بن عفان فقال له اكتب عنى « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة وهو في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالأخره داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب . انى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا وإنى لم ألل الله ورسوله ودينه ونفسى وإياكم خيراً فإن عدل فذلك ظنى به وإن بدأ فلكل امرئ ما اكتسب من الاثم والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب يتقلبون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » <sup>(٣)</sup> .

ثم ختم أبو بكر كتاب الاستخلاف وبعدها رفع بصره إلى السماء أملا براجياً أن تتحقق فيراسته فيما وقع اختياره عليه فقال « اللهم انى لم أرد بذلك إلا صلاحهم وخبت عليهم الفتنة فعملت فيهم يا أنت أعلم به واجتهدت لهم رأياً فوليت عليهم خيرهم واقواهم عليهم وأحرصهم على ما أيرشدهم ». وقد حضرني من أمرى ما جضير فاختلفت فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيذك

(١) طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٤٢٩

(٢) الطبرى ج ٣ ص ٢٠٣

(٣) ابن سعد مرجع سابق ج ٣ ص ١١٩

أصلح اللهم ولا تهم واجعلهم من خلفائك الراشدين وأصلح له  
رعيته »<sup>(١)</sup>.

ثم أمر أبو بكر عثمان أن يعلن للناس بما في هذا الكتاب وخرج معه عمر وأسید بن سعد القرطى قال عثمان للمسلمين اتبايعون عن هذا الكتاب ؟ قالوا نعم وقال بعضهم علمنا به . ثم أقر السامعون بهذا العهد ورضوا به وبايعوا عمر <sup>(٢)</sup> وكان الصديق اثناء إعلان عثمان بما في الكتاب يشرف على الناس من داره وأسماء بنت عميس زوجته تسانده وهو يقول أترضون بن استخلفت عليكم ؟ فانى والله ما آلت من جهد الرأى ولا وليت ذا قرابة وإنى قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا . فقالوا سمعنا وأطعنا <sup>(٣)</sup> .

ثم يرسل الخليفة إلى عمر فيأتيه فيقول له : يا عمر أوصيتك بوصيه إن حفظتها لم يكن شيء أحب إليك من الموت وهو مدركك وإن ضيغتها لم يكن شيء أبغض إليك من الموت . فاتق الله يا عمر واعلم أن الله عملا بالنهار لا يقبله بالليل وعملا بالليل لا يقبله بالنهار . وانه لا يقبل نافلة حتى تؤدى فريضة ألم ترى يا عمر أنها ثقلت موازينه يوم القيامه باتباعهم الحق في دار الدنيا وثقله عليهم ، وحق لميزان لا يكون فيه إلا الحق أن يكون ثقيلا فain أنت حفظت وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت ولست تعجزه . يا ابن الخطاب إتى إنا استخلفتك نظرا لما خلقت ورائي وقد صحبت رسول الله ﷺ والله ما نمت ولا حلمت ولا توهمت فسهوت وإنى لعلى السبيل وإن أول ما أحذرك يا عمر نفسك <sup>(٤)</sup> .

---

(١) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٣ ص ٢٥٦ ، بالسيوطى مرجع سابق ص ٨٢

(٢) ابن سعد المراجع السابق ج ٣ ص ١٩٩      (٣) الطبرى مرجع سابق ج ٣ ص ٤٣ .

(٤) شذرات اذهب ج ٦ ص ١٠٧ ، ١٠٨

## • وفاة أبي بكر :

توفي أبو بكر ليلة الثلاثاء لثمانين بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة النبوية <sup>(١)</sup> بين المغرب والعشاء وقد غسلته زوجته اسماء بنت عميس مع ابنه عبد الرحمن وفق وصيته <sup>(٢)</sup> ، وقد صلى عليه عمر بن القبر والمتبر وكبير عليه أربعاً وصلى وراءه المسلمون كما كانت وصيته . كما ألح على عائشه أن يدفن إلى جنب المصطفى ﷺ فلما توفي حفر له وجعل رأسه عند كتف رسول الله ﷺ بعد أن أصبح خلفه وألصقوا اللحد بلحد النبي ﷺ فكان قبره مع قبر النبي في حجرة عائشه ونزل في حفرته اثناء دفنه عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن أبي بكر <sup>(٣)</sup> قال ابن عمر أردت أن أنزل فقال عمر كفيت وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوم وهو في الثالثة والستين من عمره ودفن ليلاً وأنه استوفى بخلافته بعد رسول الله ﷺ سن النبي الراكم <sup>(٤)</sup> .

وانتشرت أنباء وفاة أبي بكر حتى غمرت أرجاء المدن الإسلامية وكل بقاع فيها زحوف للإسلام ، فهزم كل نفس وانسكت الدموع لهذا الفقد غزيراً . وعند الباب وقف على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - باكيأاً قائلاً الحق يسبقه مودعاً رجل السياسة الشيخ الوقور : « رحمك الله يا أبي بكر كنت والله أول القوم إسلاماً وخلصهم إيماناً وأشدهم يقيناً وأعظمهم غنى وأحديهم على الإسلام وأحتماه عن أهله وأنسبيهم برسول الله خلقاً وفضلاً وهدياً وسمتاً : فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله وعن

(١) الموافق ٢٣ أغسطس سنة ٦٦٤ م

(٢) « وقبل أن اسماء كانت صافية فعنمت عليها أن تنطر فان ذلك أقوى لها قالوا وذكرت بيده آخر النهار قدعت بهاء ، وشريت وقالت والله لا أتبعد اليوم حتى »

(٣) ابن سعد مرجع سابق ج ٣ ص ٢٥٦ (٤) ابن عبد البر مرجع سابق ج ٣ ص ٢٠٦

ال المسلمين خيرا فقد صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا  
وقدمت معه حين قعدوا وسماك الله في كتابه صديقا فقال «والذي جاء  
بالصدق وصدق به» يريد مهدا ويريدك كنت والله للإسلام حصنا  
وللكافرين ناكبا ولم تضل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك  
وكنت كالجبل لا تحركه العواصف . كنت كما قال الرسول ضعينا في بدنك  
قويا متواضعا في نفسك عظيما جليلا في الأرض كبيرا عند المؤمنين . لم  
يكن لأحد عندك مطعم ولا هو فالضعف عندك قوى والقوى عندك  
ضعيف حتى تأخذ الحق من القوى وأخذته الضعف فلا حرمنا الله أجرك  
ولا أضلنا بعده » (١) .

أما عمر فقد أعجزه الموقف عن الاسترSال في رثاء صاحبه : فقد  
أخلص كليهما للأخر حبا ووفاء ، فلم تخرج كلمته عن الإيجاز الموفق قال  
« الفراق الفراق يا خليفه رسول الله ﷺ ، قد كلفت القوم بعده تعبا  
ووليتهم نصبها فهيهات هيهات من شق غبارك فكيف اللحاق بك » ؟ (٢) .

\* \* \*

---

(١) السوطى، مرجع سابق ص ٦٧٩ . . ٨ . (٢) زين العماد مرجع سابق ج ٦ ص ١١٩

## الفصل السابع

### أبناء أبي بكر الأبرار

كانت ذرية الصديق الأبرار ستة رزقه الخالق بهم من أربع زوجات فضليات . فقد تزوج أبو بكر قبل الإسلام قتيلة بنت عبد العزى من بنى عامر بن لؤى فولدت له عبد الله وأسماء - ذات النطاقين - ثم تزوج أم رومان بنت عامر بن عمير فولدت له عبد الرحمن وعائشة - أم المؤمنين - أما فى الإسلام فقد تزوج من أسماء بنت عميس<sup>(١)</sup> فولت له محمداً وبعدها تزوج بحبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجية الأنصارية . وكانت حاملاً حين توفي الصديق فولدت له بعد وفاته بنتاً هي أم كلثوم . ذلك العقد المتألق بدرر العفة والشرف الرفيع فى سجل أيام الإسلام الغوالى رضى الله عنهم أجمعين .

#### (١) الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة :

الصديقة الطاهرة . أعلم أهل زمانها بأحكام الدين وأعرفهم بسنة سيد المرسلين ﷺ السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق - أم المؤمنين - زانها الله بكمال الخلال وقومة الجنان وراجح العقل وصائب الرأى<sup>(٢)</sup> وقد اشتهرت - رضى الله عنها - طوال عمرها المديد الخصيب بزيارة العلم وكثرة البر وعظيم الذكاء والفصاحة وكرم الشيم الموروثة من بيت ابيهَا التالد العريق والمكتسبة من منزل الوحي حيث استقت فرائد معلوماتها من المدرسة

(١) كانت امرأة لابن عم النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب الشهير بنى الجنادين

(٢) الترسو تهذيب الأسماء ص ٢٠١

المحمدية التي تربت على ضوء نفحاتها وكانت مداركها ينفاث حفائق الإسلام المدوّدة الأسباب بتعاليم السماء . وقد طرقها المصطفى عليه أرفع وسام لا يدانيه - بالقطع - أكمل الدرر لو وضعتها الصديقة في جيدها من قوله لعامه المسلمين « خذوا نصف دينكم من هذه الحميرة .

#### • في بيت الصديق :

ولدت عائشة بعدبعثة النبي بأربع سنين وعاشت أيام طفولتها الباكرة في بيت أبيها أبي بكر « أول المؤمنين إسلاماً وأكرمهم مالاً ومعاوناً النبي عليه نشر دعوته وملازمه في الجهاد وفي كل الأحوال <sup>(١)</sup> . فضلاً عن أنها ابنة أعلم العرب بتاريخ قريش وأنسابها وأيامها <sup>(٢)</sup> وامهيله أم رومان من أوليات السابقات إلى الإسلام وكانت امرأة صالحقة تقيلة المفرط ذكاء والجمال وقد أوجز وصفها سيد أهل الكمال محمد عليه السلام - قال : من يعزره أن ينطر إلى امرأة من الخوز العين <sup>عليه السلام</sup> يليه نظر إلى ام زوهان <sup>(٣)</sup>

فلا عجب أن تتعرّج روح تلك المرأة العظيمة منذ نشأتها الأولى بتعاليم الإسلام وتتربي على المشاق مع أخيها فتأدبا بالأداب الراقية والأخلاق الرفيعة وتمت مداركهما على الشيماءيل والتفتح السليمان وهما لا تزالان طفلتين جسغين تان فوجدتا من أبيهما والسيده أم رومان بخيرة معين لطفولتها البصيرة والمسارعة إلى الخيرات يقول العلامة الذهبي عنها منذ طفولتها « كانت عائشة مقتسلكة بدينهها كرمة الخلق حسنة الزائري ومن حملته معها من بيت أبيها من ثقافة واحاطة واسعة بالأخبار الأشعار والآيات والمخابر حتى أنها كانت تروي القصيدة ستين بنتا <sup>(٤)</sup> وكان رسول الله يوصي

(١) العصامي سبط النجم العوالى ج ١ ص ٩٣ (٢) ابن عبد البر ج ٣ ص ٢٥٤

(٣) الذهبي سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ١١١ (٤) المرجع السابق ص ٩٠

أمهما يهرا خيرا مع العطف عليها فكان يقول « يا أم رومان استوصى بعائشة خيرا واحظلينى فيها » وقد دخل يوما بيته أبى يكر فوجد عائشة مستترة تبكي وعندما سأله عن ذلك قالت أمها « يا رسول الله انها بلغت أيا يكر عنا وأغضبتها علينا فقال النبي « وإن فعلت ، ألم اوصيك بعائشة يا أم رومان » قالت : لا جرم ، لا أسوأ منها بعد ذلك <sup>(١)</sup> .

وعندما توقيت السيدة خديجة - رضى الله عنها - في عام الحزن وفي اللوقت الذى يرجع فيه المصطفى فيه لفقدانها بعث المولى جبريل الأمين بصورة السيدة عائشة فى حورية سلسلية سلسلية لما أصابها وذهب بذلك بعض أعزاته اللالمة . ويشهد بأن تكون له زوجة وأن فيها خلقا من خديجة وعن عائشة فيما أخرجه أحمد « قال النبي ﷺ أربتك فى النام ثلاث ليال جاءتى ياك الملك فى سرقة من حرير يقول هذه امرأتك فكشف عنها فإذا هي أنت فاقول أنت ياك هذا من عند الله يرضه <sup>(٢)</sup> ومن حسن الطالع المتزامن مع تلك الظروف الصعبة على نفس النبي ﷺ أن تأتى السيده خوله بنت حكيم زوجة عثمان بن مطعون قبل هجرتها إلى المحبشه وتحيد فى أيام النبي ما تجد على صوت تلك البارة الكريمة خديجة . فقالت « يا رسول الله كانى أراك قد دخلتكم خلة لفقد خديجة . فقال : أجل كانت أم العيال وربة البيت » فقالت أى رسول الله ألا تتزوج ؟ فقال من ؟ قالت إن شئت يكرا وإن شئت شيئا ؟ » فقال « قمني يكرا ومن الشيب ؟ قالت أما يكرا فبنت أحب الناس إليك عائشة بنت أبى يكر . أما الشيب فسودة بنت زموده أمنت بك واتيتك » فقال حسن - قت الزوج سودة بعد فقد زوجها المسلم وقد يقيت منيوزة من العلها ولا عائل لها . فضلها النبي ﷺ على الرغم من كبر سنها وتزوجها . وخطب عائشة للصغر ستها وفاة لأحب الناس إليه فى الله . أبى يكر <sup>(٣)</sup> .

(١) الرابع نسخه من ١٩

(٢) ابن حجر شرح صحيح البخارى من ٥١٨

(٣) طلاقه .. يلاعنه النساء من ٩٤

## • في بيت النبوة :

وقد وافق أبو بكر على خطبة النبي لابنته عائشة . وتم عقد الزواج المبارك قبل الهجرة بثلاث سنين في مكه وكانت واسطة العرض السيدة خولة بنت حكيم - كما قلنا - وعمر عائشة آنذاك ست سنوات ولما انتقل الرسول ﷺ إلى يثرب بني بها في السنة الثانية بعد خمس سنين من الخطبة بنزل أبي بكر وعمرها تسع سنين على صداق قدره أربعين درهم (١) وقد تم الزواج في صورة لائقه من البساطة وبيت الصديق أمل في سرور دائم وخير يحيط عائشة التي تزوجت أكرم مخلوق محمد ﷺ فرفعوا أيديهم بالدعاء والتضرع إلى الله كأنهم يستنزلون الكواكب من عليماتها بالسماء لتشاركهم حبورهم بهذا الشرف العظيم الذي أحاطهم به النبي عند مصايرته لهم وزواجه بعائشه تلك الكريمه المحتد في سن الأمل والجد . فعن أسماء بنت عميس قال « كنت صاحبه عائشة التي هيأتها ودخلتها على رسول الله ﷺ ومعي النساء قال فوالله ما وجدها عنده قري إلا قدحا من لبن قالت فشرب منه ثم ناوله عائشة فاستحببت الجارية فقلنا لا تردى يد رسول الله ﷺ خذى منه فأخذته على حياه فشربت منه ثم قال : نادى صواحبك فقلن لا نستهيه . قال لا تجتمعن جوعا وكذبا قالت . فقلت يا رسول الله إن قالت إحدانا لشيء تستهيه لا أستهيه بعد ذلك كذبا ؟ قال إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذبية كذبية (٢) .

وعن عائشة قالت « تزوجنى النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين فقدمنا المدينه فنزلنا في بني الحارث من المزرج فوعكت فترق شعرى فوقى جميده (٣) فأتنى أمى أم رومان وإنى لفى أرجوحه ومعى صواحب لى فأتيتها لا أدرى ما ت يريد منى ، فأخذت بيدي فوقتنى على باب الدار فإذا نسرا من الأنصار

(١) النهبي المرجع السابق ص ٥٢١

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ص ١١

(٣) ترق : تساقطت خصلاته .

في البيت فقلن : على الخير والبركة وعلى خير طائر . فأسلمتني إليهن فأصلحن من شأنى ثم جاء الرسول ﷺ فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين <sup>(١)</sup> وقد رحب النبي ﷺ بالسيدة عائشة وذلك لصغر سنها ولأنها البكر الوحيدة التي تزوجها « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلاف » وأى ائتلاف ومحبه أصدق من هذا الإعجاب والتقدير لحداثة سن عائشة من أنه ﷺ كان يأتي بالبنات ليلاعن معها . ويروى « إن أبا بكر دخل عليها في أيام عيد الأضحى وعندها جاريتان تضريان بدفين فقال أبو بكر ألمزمارة الشيطان في بيت النبي ؟! فانتهراهما . فقال له الرسول دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدها وان عيدهنا هذا اليوم <sup>(٢)</sup> ورد في الصحيح : ان الاحياش كانوا يلعبون برماتهم في المسجد يوم عيد وجاءت أم المؤمنين عائشة فوقفت خلف النبي ﷺ تنظر إلى لعبهم والرسول يشجعهم بكلام حسن جميل <sup>(٣)</sup> . وكثيرا ما كان المصطفى الأكرم يلطفها ويضاحكها ويدخل السرور إلى نفسها من ذلك « أنها إذا شربت من الإناء أخذه فوضع فمه على موضع فمها وإذا تعرقت عرقا <sup>(٤)</sup> أخذه فوضع فمه عليه ، كذلك وقد ساقتها فسبقته ، ثم ساقها بعد ذلك عندما كبرت فسبقتها فقال : هذه بتلك <sup>(٥)</sup> وعن عائشة قالت « قال لي النبي ﷺ إني لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت على غضبي فقلت : ومن أين تعرف ذلك ؟ قال أما إذا كنت عنى

(١) ابن سعد الطبقات ج ٤ ص ٢٢٤

(٢) الترمذ ، رياض الصالحين ص ٢١٧

(٣) شرح صحيح البخاري ص ٥٢٨

(٤) أى العظم

(٥) طبور مرجع سابق ص ١٠٠

راضية فإنك تقولين « ورب محمد » وإن كنت غضبي قلت : لا ورب إبراهيم ( قلت ) : أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك (١) .

وقد علق المرحوم العقاد على تلك الملاطفات الطيبات وأثارها النفسية فهى رضوان الله عليها « لم تبلغ عنده - صلوات الله عليه - إلا أنها الزوجة الكفء لبلوغها والمحافظة عليها ، وكانت تعرف من أدب الزواج ما يجعل بعakanها ، وتعرف من ملاطفة الزوج مداخل قلبها ومواطن رضاها ، ولم تترك له وحده مسيرة تدليلها فهى الزوجة الموفقة التي تكافئ الزوج فى حياته المنزلية ، والمرأة التى تبادل الرجل ما عنده من شعور والتلميذة التى تتلقى من أستاذ عظيم فتحسن التلقى عنه . وهى من جميع هذه الجوانب مثل صالح للنشأة البيئية فى أسرة الصديق » (٢) .

وكانت معيشة السيدة عائشة غاية فى التواضع ملمساً وماكلاً وفرشاً حيث لم يَعْدُ طعامها التمر واللبن والماء وأحياناً اللحم وإنه لم يكن لديها إلا فراش واحد ، ثم رزقت بفراش آخر بوسادة من أدم ممحشوة ليها (٣) . وقد رأى عمر بن الخطاب النبى ﷺ فى حجرة عائشة ولم يكن بينه وبين الأرض إلا حصير يترك أثره فى جنبه ، فذرفت عيناه بالدموع ، قال : يا رسول الله كسرى وقيصر عدوا الله يفرشان الدبياج والحرير وأنت نبى وصفيه وليس بينك وبين الأرض إلا حصير ووسادة ممحشوة ليها فقال له النبى ﷺ : ياعمر أولئك عجلت لهم طيباتهم فى حياتهم الدنيا (٤) .

وكانت عائشة مع تلك البساطة نى حياتها سعيدة تظللها البشاشة راضية

(١) بлагات النساء / ص ١٠٠

(٢) عبقرية الصديق / ص ١٨٠

(٣) الشيباني تيسير الوصول ص ١٠٧

(٤) الذهبى / تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٠

غاية الرضى . وهى التى تروى أنه لما سألهما عبد الله بن الزبير (١) عن حياة رسول الله ﷺ قالت : كنا نرى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين ولم توقد فى بيته قدر وإنما الأسودان : التمر والماء (٢) وكانت زوجات النبي ﷺ يعشن هذه العيشة ، ولم تكن بالقطع حياة ترف ورفاهية وسعة فى المأكل والمشرب ، وقمنت بعضهن - بعض - المتع الدنيوية فقال تعالى : « يا نساء النبي إن كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلا ، وإن كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكمن أجرًا عظيما » (٣) وعندما نزلت هذه الآيات دخل الرسول ﷺ على عائشة وقال لها : « لا عليك ألا تستعجل حتى تستأمرى أبويك » . فقالت عائشة : في هذا أستأمر أبوى ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة ( قالت ) : ثم فعلت أزواجه النبي ﷺ مثل ما فعلت (٤) .

#### • البريئة المرأة من فوق سبع سماوات :

إن الصديقة الطاهرة عائشة قد تلقيت « بالبريئة المرأة » إثر تلك الإشاعة التى روجها بعض الطفّاج ، وكان مصدرها العديد من المنافقين والذين فى قلوبهم مرض ، رموا تلك المحسنة النقية بما لفقوه من تهمة باطلة وفريدة ظالمة وهو ما عرف فى التاريخ باسم « حديث الإنك » وكانقصد تعكير صفو النبي ﷺ المحبوب عند المسلمين لكرم شمائله بأن يفجعواه فى أعز أزواجه إليه السيدة عائشة ابنة أخلص الناس إليه أبي بكر

(١) ابن أختها أنساً ذات النطاقين .

(٢) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣٠

(٣) سورة الأحزاب آية ٢٨ - ٢٩

(٤) شرح صحيح البخارى ص ٥١٢

الصديق . ومن يكون هؤلاء ؟ إنهم بعض من رددوا مقوله بعض المنافقين والداسين للإسلام ، والذى تولى كبره رأس التفاق فى الجزيرة عبد الله بن أبي ابن سلول<sup>(١)</sup> ومرد ذلك الإفك والافتراء الذى جاعوا به « أن الرسول إذا أراد السفر أقرع بين نسائه وأخذ من وقعت عليهها القرعة . وفي الحملة التى كان الغرض منها تأديب بنتى المصطلق سنة ستة من الهجرة ، وكانت القرعة هذه المرة من نصيب السيدة عائشة فصحبها معه ، وبعد أن أدت الحملة مهمتها طلب من أصحابه العودة مسرعاً في الليل . وذهبت عائشة في الخلاء لتقضى حاجتها فسقط عقد لها<sup>(٢)</sup> في الطريق فرجعت إليه تلتمسه ، فأبطأت حتى وجدته . وجاء القوم فحملوا هودجها استعداداً للرحيل دون أن يدرى أحد غيابها<sup>(٣)</sup> وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يغشيهن اللحم إغا يأكلن العلقة من الطعام ثم أسرعوا في السير وخلفوها وراءهم . وعندما رجعت وجدت الركب قد سار فظلت في حيرة من أمرها ، ولبشت في مكانها وهي على يقين بأنهم عائدون إليها لا محالة حين يفتقدونها ، ثم غلبتها النوم ، فنامت ، وبينما هي كذلك إذ أقبل صفوان بن المعطل المسلم الموكول إليه أمر السفر في ساقية الجيش ليلتقط ما عسى أن يكونوا خلفوه من متاع أو شئ ، فلما رأى عائشة وهي ملتفة بجلبابها فجعل يسترجع قائلاً : إنما الله وإنما إليه راجعون ، فما زال يسترجع حتى استيقظت ، فلما استيقظت قدم لها بعيده فركبت وانطلق يقوده بها حتى دخل المدينة في نحر الظهرة<sup>(٤)</sup> .

(١) ابن كثير / السيرة ج ١ ص ١١٣

(٢) عقد من جزع ظفار المخز والمجزع هو . وظفار نسبة إلى مدينة باليمن .

(٣) ابن كثير المرجع السابق ص ١١٤

(٤) ابن هشام / السيرة ج ٣ ص ٣٤٩

وصلت السيدة عائشة في رائعة النهار فلما رآها رأس النفاق ابن سلول تولى الإفك حيث سأله : من هذه ؟ فقيل له عائشة . قال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقودها ، فجعل المنافقون يتكلمون في شأن عائشة وصفوان . وأرجفت المدينة كلها بهذا البهتان <sup>(١)</sup> وكان لهذه الإشاعة أسوأ الأثر في نفس رسول الله ﷺ ، فجع لها أعظم فجيعة ، وسار حديثها مضخة في أفواه الناس ، يا له من موقف صعب وليلة عظمى ابتلى بها رسول الله فأخذت عليه مشاعره ، وهو لا يشك في طهارة عائشة ولا يصدق أن يصدر منها منكر ، ولكنها أمام شائعة مصدرها جماعة منهم . ولقد زاد الأمر تعقيداً أن عائشة ما كادت تصل إلى المدينة حتى أخذت تشكت لما بها ، وجاءت أم رومان - أمها - تمرضها فلم تجد من رسول الله ذلك العطف والحنون الذي كان بحوطها به ، خصوصاً في ساعة المرض ، بل كان كلما دخل عليها اقتصر على السؤال عن صحتها بقوله « كيف تيكم ؟ » « ولا يزيد على ذلك ، فزاد هذا من مرضها وهي لا تعلم شيئاً عما قيل عنها <sup>(٢)</sup> .

تقول كتب السنن والسير بأن عائشة لما رأت من جفاء النبي استأذنت في الذهاب إلى بيت أبي بكر لكي ترضاها أمها فأذن لها ، وعندما أعلمتها بنت أبي رهم بما يرجف به المرجفون وأخبرتها بقول أهل الإفك ذهبت إلى أبيها تستيقن الخبر من قبلهما <sup>(٣)</sup> قالت عائشة فيما يرويه البخاري « فأأتيت أبي قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر فقلت لأمي : ما يتحدث به الناس ؟ فقالت : يا بنيتي هوني على نفسك الشأن <sup>(٤)</sup> فوالله لقلما كانت

(١) المرجع السابق ص ٣٥٠ ، أبي الأعلى المودودي تفسير سورة التور ص ١٨

(٢) ابن حجر شرح صحيح البخاري هامش ص ٩٣ ، ٩٤

(٣) العصامي سمعط التجويم العوالى ج ١ ص ١٠١

(٤) أي هوني عليك الأمر .

امرأة قط وضيئنة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، فقلت: سبحان الله ولقد تحدث الناس بهذا ؟ ( قالت ) فبقيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقا لى دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح عندي أبواء وقد بكيت ليلتين ويوماً حتى أظن أن البكاء فالق كبدى ، وبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل فى ما قبلها وقد مكث شهراً لا يوحى إليه فى شأنى شيء ( قالت ) : فتشهد ثم قال : أما بعد يا عائشة فإنه بلغنى عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة سببرئك الله وإن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه ، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعى (١) حتى ما أحس منه قطرة وقلت لأبي : أجب عنى رسول الله ﷺ فيما قال . ( قالت ) والله ما أدرى ما أقول لرسول الله ﷺ . فقلت : إنى والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث به الناس ووقر فى أنفسكم وصدقتم به ولكن قلت لكم إنى بريئة والله يعلم أنى بريئة لا تصدقونى بذلك ، والله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذا قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون . ثم تحولت على فراشى وأنا أرجو أن يبرئنى الله ، ولكن ما ظننت أن ينزل فى شأنى وحيا ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئنى الله بها فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله عليه الوحي فأخذته ما كان يأخذه من البراء (٢) حتى إنه ليتحدى منه مثل الجمان من العرق فى يوم شات (٣) فلما سرى عن رسول الله ﷺ وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي : يا عائشة احمدى الله فقد برأك الله ، فقالت لي أمى : قومى إلى رسول الله ﷺ

(١) قلص الدمع : ارتفع وانقطع . (٢) البراء : شدة الكرب .

(٣) الجمان : حبات اللزول كنایة عن العرق الذى كان يكسو جبينه ﷺ حين الوحي ، وشات : نسبة إلى الشتا .

فقلت : لا والله لا أقوم ولا أحمد إلا الله ، فأنزل الله عز وجل « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرًا لكم بل هو خير لكم لكل أمرى منهم ما اكتسب من الإثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » (١) إلى آخر الآيات (٢) ثم أمر المصطفى الأكرم ﷺ بعد أن خرج إلى الناس ببراءة عائشة من فوق سبع سماوات وقرأ عليهم آيات التنزيل بأن يؤتني بهؤلاء المرجفين المفتونين المخدوعين بأقاويل المنافقين (٣) فأقيم عليهم حد القذف الذى رموا به أطيب الطيبات وأطهر السيدات وظهر بطلان ما قيل فيها من الظلم وشنع التهم ، وقد أبى إرادة الله إلا أن يجعل براءة عائشة خالدة يعلمها كل أحد ولا يطعن فيها مكابر وذلك نتيجة إخلاصها فى الاستعانة بالله وحده فلا يعلق بالأذهان شئ عن محمد وآل محمد وتظل سيرة أزواجها أمهات المؤمنين طاهرة مصونة نقية ، كما امتلأت نفس عائشة وأبيها « أبي بكر غبطة بذلك وشكراً للخالق على ما أنعم من إظهار الحق وشهادته فى القرآن ورجعت عائشة إلى بيتها عالية الرأس موفورة الكراهة . تقول عائشة « لقد نزل عذرى من السماء ولقد خلقتُ طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة وأجرًا عظيماً » (٤) وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيمة حدَّ الله الذين قدروا عائشة ثمانين ثمانين على رؤوس الخلائق ، فسيستوهم ربى المهاجرين منهم

(١) سورة التور الآيات من ١١ - ٢٠

(٢) ابن حجر / المراجع السابق ص ٩٨ ، وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٤٦ - ٣٤٧

(٣) قصدت حمنة بإصلاحها بأمر هذا الظلم خدمة لأختها زينب أم المؤمنين التى كانت أقل منزلة من عائشة ، وهى لم تأمرها بذلك بل إن ذلك من عند نفسها . تقول عائشة : أما زينب فعصمتها الله بديتها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حمنة أختها فأشاعت من ذلك ما أشاعت تضادنى لأختها فشققت بذلك . أبو الأعلى المودودى مرجع سابق ص ٢١

(٤) العصامي مرجع سابق ج ١ ص ١٠٢

- يطلب إعفاؤهم من المجلد - فأستأمرك يا عائشة . فسمعت عائشة الكلام وهي في البيت فبكت ثم قالت « والذى يعذك بالحق نبياً لسرورك أحب إلى من سروري » فتبسم رسول الله ﷺ ضاحكا وقال « إنها ابنة أبيها » ١١ .

وكان أبو بكر ينفق على قريبه مسطح فقال « والله ما أنفق على مسطح شيئاً ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذي قال في عائشة وأدخل علينا » فأنزل المولى : « ولا يأْتِي أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسُّعْدَةُ أَنْ يُؤْتَوْا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينُ وَالْمَهَاجِرُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمُوا وَلِيَصْفُحُوا أَلَا تَحْبِبُونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ » ١٢ فقال أبو بكر « بلى والله إنى لأحب أن يغفر الله لي » فرجع إلى مسطح بن أثاثة الذى كان يجريه عليه وقال: « لا أنزعها منه أبداً » ١٣ .

والحق أنها كانت فريدة ساقطة وكذبة لا يقرها عقل ولا دين ولا يقبلها منطق البيئة ولا ظروف المجتمع وإن أقاموا عليها ألف دليل ودليل ، فكيف وليس لها سند ولا شبهة إلا أن عائشة تأخرت في الطريق هنيهة حين تحرك العسكر على حين فجأة في رحلة كانت كلها كثيرة المفاجآت في مواعيد التزول والرحيل ؟ تلك شبهة لا تكفى للشك في امرأة من عامة المسلمين الخارجين للجهاد في حضرة نبى الإسلام ، إذ لو كانت كل امرأة تتأخر في الطريق تؤخذ بالتهمة في دينها وعرضها لكيانت التهم في الأعراض أهون شئ يخطر على بال . من أجل هذا لم يكتف القرآن بتكذيب الفريدة ونفي التهمة عن عائشة ، بل عالج الموقف من جميع نواحيه علاج الحكمة البالغة التي تصون للأعراض الطاهرة حرمتها وتقطع على الألسنة الكاذبة طرقها حتى لا يؤخذ البراء فيها بفريدة مفتر أو إرجاف مرجف

(١) شرح صحيح البخاري ص ٩٨ ، أبو الأعلى المودودي مرجع سابق من ٢٨

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٥٠

(٣) سورة التور آية ٤٤

وحتى لا تكون أعراض الناس هدفاً لكل رام وعرضة لكل أفال أثيم<sup>(١)</sup> ، ولقد تشجع صفوان بن المعطل عندما نزل الوحي ببراءة عائشة فاعتراض حسان بن ثابت فلطمته بظهر السيف لما كان يعرض به في شعره . فوثب والده ثابت بن قيس بن شماس على صفوان فجمع يديه إلى عنقه بحبل وجاء به إلى رسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له . فقال صفوان : يا رسول الله إنه آذانى وهجانى فاحتملنى الغضب فضررته ، فلم يغضب رسول الله ﷺ على صفوان ولم يحقد على حسان وذكر أنه مستحق لذلك ولم يزد عن قوله لشاعره المستتاب . « أحسن يا حسان في الذي أصابك » وأعطاه عوضاً مما أصابه بير حاء وفيها قصر بني جديلة بالمدينة . كما أعطاه أمّة قبطية اسمها شيرين أخت مارية المصرية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان<sup>(٢)</sup> .

والغفو من شيم الكرماء ، ولا عجب أن تأتي قصيدة حسان محاولة إزالة ما وقر في النفوس والمشاعر الإسلامية أثر غضبهم عليه ونقمتهم منه . فقال معتذراً ومبرئاً ونادماً وهي من مطولات الشعر ومنها :

حسان رزان ما تزن بربستة	وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
عقيله حسى مِنْ لَؤَى بْنِ غَالِب	كِرامِ المُساعِي مجدهم غير ذاتِ
مهذبة قد طيبَ اللَّهُ خِيمَهَا	وطَهُرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وِيَاطِلُ
فَإِنْ كُنْتُ قد قلتُ الذِّي قد زعمْتُ	فَلَا رفعتْ سُوْطِي إِلَى أَنَامِلِي
وَكَيْفَ وَوْدَى مَا حَيَّيْتُ وَنَصَرْتَى	لَا لِرَسُولِ اللَّهِ زِينِ الْمُحَافِلِ (٣)

(١) العقاد ، الصديقة بنت الصديق ص ١١٥

(٢) الذهبي / سير أعلام النبلاء ج ٥ ترجمة حسان ص ٤٨

(٣) المحب الطبرى / الرياض النضرة ج ٣ ص ١٠٩

ومن المبشرات الحقة ما قاله ابن عباس بعد وفاة النبي ﷺ في شأن أم المؤمنين المصونة المبرأة عائشة فيما أخرجه الطبراني عن ذكره حاجب عائشة قال : قال ابن عباس لعائشة بعد أن دخل عليها في حجرتها « أبشرى ما بينك وبيني أن تلقى محمداً والأحبة إلا أن تخرج الروح من الجسد . كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ولم يحب رسول الله إلا طيباً . وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات جاء بها الروح الأمين فأصبح وليس مسجد من مساجد الله يذكر فيه إلا هي تتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار . ( قالت ) دعني عنك يا ابن عباس فوالذي نفسى بيده لوددت أن كنت نسياً منسياً وقالت ذلك لخشيتها من ربه ولفراقها أعز عزيز عليها وهو الرسول محمد ﷺ ». (٢)

#### • علمها وفقها :

وقد اشتهرت السيدة عائشة بكمال التقوى ورجاحة العقل وغزاره العلم وفصاحة اللسان وقوة الحافظة وحسن الكلام (٣) ، ملمة بمكتنون أسرار المسلمات ، متفقهة في مسائلهن الخاصة بهن ، فكانت لهن معلمة ومرشدة حقاً وذلك في عهد النبوة ، وقد ساعدتها على ذلك أنها ترعرعت في مهبط الوحي ونبع العلم تغترف منه ما شاء لها ذكاؤها وعقربيتها ، كما تأثرت بخلاق النبي وهديتها الراسد فاكتسبت ثقافة دينية رائعة وحصلت عظيمة بحسن استعدادها ومواهبها المتقدة . فنشأت في بيت النبي ﷺ مجتهدة في دينها وعبادتها ، فكان النبي حفيماً بأم المؤمنين عائشة ويعنى بها ، وقد بسطت القول ووضحت المغلق في مسائل الزواج والطلاق وحسن معاملة الأزواج وطاعة الزوجات وما يجري على ألسنة النساء من معارف خاصة مما

(١) شرح صحيح البخاري ص ٩٩ ، تفسير سورة التور ص ٣٢

(٢) المصامي . سبط النجوم ج ١ ص ١٠٤

لا تحب المرأة أن يطلع عليها إلا مثلها ، فتولت عائشة - فقيهة الإسلام - هذا الجانب بتفوق ونجاح ، وكانت منزلتها أكبر قاطع للشك في نفوس النساء في الأمور الدقيقة والشئون الخاصة بأحكام الدين ، فضلاً عن اقتناعهن بقيمة تشددها على البعض منهن اللواتي لم يتزمن الحشمة في الملبس <sup>(١)</sup> ولقرائها من النبي ﷺ أخذت عنه الفقه في الدين على العموم وحفظت كثيراً من الأحاديث النبوية ، وروى عنها كثير من الصحابة والتابعين حيث هي من أعظم رواة الأحاديث ومن أكبر المراجع والأصول لسنة النبي ﷺ وأعماله ، وكانت الملجأ القوي في المسائل الخلافية في المعاملات الاجتماعية والفرض وسائر العبادات <sup>(٢)</sup> وكان الناس يرون علم عائشة قد بلغ ذروة الإحاطة والنصائح في كل ما اتصل بتشريع الإسلام ومعارفه « فكانت أحفظ المسلمين للقرآن والسنة وأقدرهم فهماً لحقائق التفسير والفقه وأخبر الناس بتاريخ الدعوة الإسلامية كما كانت أعلم بجاهلية العرب وما حدث في أيامها <sup>(٣)</sup> ولم ينتقل الرسول ﷺ إلى جوار ربه إلا بعد أن خلفها حجةً وثبتاً في كل تلك الثقافات المتشعبه يلجم إلية الكبار والصغار رجالاً ونساءً متعلمين ومستفتين . روى أن عروة <sup>(٤)</sup> قال لها : يا أماه لا أعجب من فقهك أقول زوجة الرسول ﷺ ، ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبي بكر ، ولكن أعجب من علمك بالطيب ؟ قالت : إن رسول الله ﷺ كان يسقم عندي في آخر عهده وكانت تقدم عليه وفود العرب فتصف له الوصفات فكنت أعاجبها <sup>(٥)</sup> . وكانت من أكبر فقهاء الصحابة وكان كلهم يرجعون إليها فيما أشكل عليهم بعد

#### وفاة

(١) ياسين العمرى . الروضة الفيحا ، في أخبار النساء ، ص ٢١٢

(٢) ابن الجوزى . أحكام النساء ، ص ٩٧

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٧

(٤) ابن الزبير وأسماء ، بنت أبي بكر .

(٥) الروضة الفيحا ، ص ١١٢

النبي ﷺ يستنيرون برأيها ويلجأون إليها عندما يغمض عليهم فهم بعض المسائل فتصبح لهم ما أخطأوه وتبين ما خفى عليهم . يقول صاحب الروضة « صار من شك في رواية أتى عائشة لسؤالها الأحكام ، وإن كان بعيداً عنها كتب إليها لتصبح له ما استمع إليه أو تحقق صحة ما وصل إلى علمهم منها فأصبحت المدينة دار حديث ونبع علم لأهل الأمصار جميرا ، وقد رجع إليها كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وابنه ، وأبي هريرة . فكان عمر يميل إلى رأيها فيما يتعلق بأحكام النساء وأحوال النبي حيث لا يضارعها في هذا الجانب أحد من النساء على الإطلاق »<sup>(١)</sup> .

وكانت السيدة عائشة شخصية فذة لها وزنها الديني والعقدى بين الخاصة وال العامة حيث طار صيتها في هذا الاختصاص فاطمأن الخلفاء الراشدون الأربع إلى فتواها ورأيها وأجمعوا على الثقة بما أحاطت به من غزير المعرف وتعمق المسائل حتى إن العبادلة<sup>(٢)</sup> الأربعة وأبا هريرة وابن الزبير نقلوا عنها وحدها ربع الشريعة .

إن الحجج الظاهرة كشفت خفايا ذلك المقام الرفيع الذي تبوأته السيدة عائشة في عصرها الظاهر . وأبين ذلك ما نقله الذهبي وابن حزم وابن فضل الله العمري في أسفارهم المعتمدة حيث نقلوا إلينا عدداً هائلاً من المسائل والأحكام الفقهية الاجتهادية والنصية التي رجع فيها كبار الصحابة إليها وجلسوا منها مجلس التلميذ إلى أستاذه ، فعن أبي هريرة قال « قال النبي ﷺ : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، قال شريح : فذهبت إلى عائشة فقلت : يا أم المؤمنين سمعت أبا هريرة يذكر عن

(١) ابن حزم / أصحاب النتها من الصحابة ص ٨٧

(٢) عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر .

رسول الله ﷺ حديثاً إن كان كما قال فقد هلكنا ، فقالت : وما ذاك ؟ فقرأت عليهما الحديث وقلت لها ليس منا أحد إلا وهو يكره الموت . فقالت قد قال رسول الله ﷺ ولكن ليس بالذى تذهب إليه ، ولكن إذا شخص البصر وحرر الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه <sup>(١)</sup> . وعن سعد بن هشام أن عروة بن الزبير لقى ابن عباس وسأله عن عدد ركعات الوتر . فقال ألا أنت أعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال اذهب إلى عائشة واسألها ثم ارجع إلى فأخبرني بردّها عليك ، فذهبت إليها ومعي حكم بن أفلح فسألتها فأخبرتنا <sup>(٢)</sup> ويروى عن قبيصية بنت دؤيب قالت : كانت عائشة أعلم الناس بسؤالها أكابر الصحابة . وقال أبو موسى « ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما » . وقال حسان : ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا النسب من عائشة <sup>(٣)</sup> . وعن عبد الله ابن عباس أن معاوية صلى صلاة العصر ثم قام ابن الزبير <sup>(٤)</sup> فصلى بعدها ركعتين فقال معاوية لابن عباس : ما هاتان الركعتان ؟ قال : بدعة وصاحبها صاحب بدعة . فلما انتهت ابن الزبير قال لم أبتدع شيئاً ولكن حدثتني خالتى عائشة . فأرسل إليها معاوية لسؤالها فقالت : صدق . وعن أبي عطية بن عامر قال : دخلت أنا ومسروق ابن الأجدع على عائشة فقلت لها يا أم المؤمنين رجالان من أصحاب محمد أحدهما يتعجل ويعجل الإفطار والآخر يؤخر الصلاة ويؤخر الإفطار ؟ قالت أيهما الذي يتعجل ؟ قلت عبد الله . قالت هكذا كان يصنع الرسول ،

(١) الذهبي / تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٧ (٢) ابن حزم / المرجع السابق ص ٩٠

(٣) الذهبي / المرجع السابق ص ٢٧ (٤) عبد الله بن الزبير .

والأخر أبو موسى الأشعري . وعن مكحول « قيل لعائشة إن أبي هريرة يقول الشؤم في ثلاثة في الدار والمرأة والفرس ؟ فقالت لم يحفظ أبو هريرة فإنه دخل ورسول الله ﷺ يقول قاتل الله اليهود يقولون الشؤم في ثلاثة : في الدار والمرأة والفرس فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله (١) .

### • تصدقها ويرها :

ورثت الصديقة أعظم الشيم من والدها أبي بكر وزوجها سيد أهل الكمال محمد بن عبد الله بن أبي طالب فبرز ذلك في جليل صفاتها التي من أهمها كرم الأخلاق والتمسك بالدين والعطف على الفقراء والمساكين والصفح الجميل (٢) مما بوأها المكان الحق في سماء الرفعة كأم للمؤمنين . فهي التي تنفرد شتونهم وتعطى الفقير وتواسي المصاب وتسأل عن المريض وتشارك المسلمين أفراحهم وتحبب قلوبهم ، فقد استأنست النبي ﷺ في زيارة أبي بكر وبلال وعامر بن فهيرة حينما علمت بمرضهم فأذن لها فزارتهم ، وقد قالت للرسول : إن لي جاريتين وأريد أن أهدى واحدة . قال : أقربهما إليك بابا (٣) . ومن صور الجود والمواساة ما نقله الثقات عنها أن معاوية بعث إليها مائة وثمانين ألف درهما فجعلت تقسمها بين الناس حتى لم يبق منها شيء فلما أمست قالت : يا جارية هلمي فظوري . فجاءتها بخبز وزيت ، وقالت لها مولاتها : لو اشتريت لنا من ذلك بدرهم لحما قالت « إلا ذكرتني ؟ » وكانت صائمة ذلك اليوم (٤) . وبلغ من روعة زهدها ونادر سخاعها أنها تبذل كثيرا وهي في حاجة إلى البعض منه ، ولا تنظر إلى ذلك طالما أن ما

(١) العمرى ، الروضة الفيحة ، ص ٢١٣

(٢) طبلور مرجع سابق ص ٩٨

(٣) الخزرجى / خلاصة تذهيب الكمال ص ٢١٥

(٤) تذكرة الحفاظ ص ٢٨

تبذل فيه سد عود مسلم أو فتح باب للفرج على ذوى الحاجات ، فعن عروة ابن الزبير قال إنها كانت لا تمسك شيئاً مما جاء من رزق الله تعالى إلا تصدق به ولقد تصدق بسبعين ألف درهم وهي مع ذلك ترتع درعها <sup>(١)</sup> وقد ساهمت السيدة عائشة في تجهيز ربيبة لها تدعى الفارعة بنت سعد وقد حضرت زواجهما وسارت معها حتى أوصلتها إلى باب بيت زوجها ، وعند قتل أخيها محمد بن أبي بكر بصر وله ولدان صغيران فأخذتهما عندها وتولت الإنفاق عليهما وكانت أبئر بهما من والدتهما ، ولما كبرا وشبا عن الطوق أرجعتهما إلى عمهما - عبد الرحمن - ليشرف عليهما ويعلمهما <sup>(٢)</sup> وكانت السيدة عائشة من أكثر الناس عطفاً على بقية أمهات المؤمنين حيث كانت تقدرهن ويحظين منها بالحب والثناء الجميل . فقالت وهي الفصيحة المبينة ذات الخلال الرفيعة ، في سودة بنت زمعة « ما رأيت امرأة أحب إلى أن تكون في ملاحمها من سودة » فهي تعنى أن تكون مثلها وهذا ثناء عظيم على سودة ، وفي السيدة زينب بنت جحش قالت « لم أر امرأة قط خيراً منها في الدين وأنقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم صدقة » وكانت تساعدهن في العمل وتزورهن إذا غبن عنهما أو مرضن ، وأوصت أن تدفن في البقيع معهن <sup>(٣)</sup> فهل تجد مثلها في كريم خلقها يحسن معاملة ضرائرها بهذا العطف والصلة والتودد ؟ وقيل أن تستجيد مواهب الفراسة عندك فتجيب - قبل ذلك - قل إنه أدب بيت النبوة الرائق الذي اغترفت منه عائشة وتشبعت من رحيم غدائره والتي لا ينضب معين نقلها منه أبداً ، ومن باب مفاخرها على الإطلاق أن في حجرتها التي مكتبت فيها سبع سنوات مع النبي ﷺ كانت آيات التنزيل تهبط فيها بالبيانات الساطعات عدة مرات . ولم ينزل الوحي في لفاف غيرها من زوجات النبي .

(١) المحب الطبرى الرياض النضرة ج ٢ ص ١١٧

(٢) المرجع السابق ص ١١٧

## • وفاتها :

وقد تزهدت هذه الفاضلة الكريمة في أخيريات أيامها حتى لحقت بالرفيق الأعلى من الجنة سنة ثمان وخمسين من الهجرة وكان لها من العمر ست وستون عاماً ودفنت بالبقيع وصلى عليها أبو هريرة<sup>(٢)</sup> وقد احتلت أعظم مكانة يمكن أن تناهياً امرأة في تاريخ الإسلام المجيد ، وكانت إسهاماتها من أبرز معاالم صفحاته ، فكانت درة من بين نساء الإسلام الخالدات اللواتي اختص بوعيهن ونضجهن رسوخ المبادئ الطيبة في الحق وللحق ، وصارت سيرة السيدة عائشة أعظم الدروس للتجبيبات منهن وللزوجات الصالحات في بيتهن ، والموافقة الصائبة من تسير على دربهما وتتمثل صورتها كمعنى غال ورمز باق لهن ولكل جيل في دنيا الناس رضى الله عنها .

## (٢) ذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر

ذات النطاقين تلك المرأة العظيمة التي تستحق عن جدارة أن نقدمها على رقعة التشريف التي تتخطى حجب الأزمان في مساجلات الأيام وأسهمت به من صفحات مسيبة للبطولة النادرة والفدائية الحقة والشجاعة الفائقة ، ولا عجب في ذلك فقد انبثقت من بيت العز الرفيع والنحوة الموجهة إلى فعل الخيرات والبذل بكل تقىيس في ساعات العسرة وكل ذلك في سبيل الدعوة التي آمن أفراده بها من أول وهلة « إنها أسماء بنت أبي بكر التميمية المكية ثم المدنية أخت أم المؤمنين عائشة وأمها قتيلة بنت عبد العزى بن عبس أسعد بن جابر العامرية التي تزوجها الصديق قبل الإسلام

---

(١) الروضة الفبحاء ص ٢١٩

(٢) الذهبي / سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٨٧

فولدت له أسماء وعبد الله »<sup>(١)</sup> ففي هذا البيت العريق المتألق بأكاليل الفخار نشأت أسماء التي كانت أسن من عائشة بعشر سنوات وقد ولدت بحكة قبل الهجرة بخمس وعشرين سنة على التقرير<sup>(٢)</sup> فترتت في ظلال المكارم ترفل في النعيم والغنى الذي كانت أسرتها تعيش فيه من جراء تلك التجارات الواسعة التي تدر الأرباح النافقة لأبي بكر « فسعدت بالثیرات التي ينعم بها بقية سراة مكة ، كما تأثرت بأبيها أبيها تأثر فغلب عليها الذكاء وحضور البديهة والتذير المحكم في مواقف تستلزم حسن التصرف وجلاء الفراسة فضلا عن الشجاعة<sup>(٣)</sup> كما تضرب أسماء المثل الأعلى للمرأة في الحكمة وضبط النفس فلا تهمل عند الشدة ولا تجزع عند البأس ، وكان لها مواقف جليلة من رياطه الجأش وحضور القلب وحصافة اللب وتصرفات سديدة مضاف إليها فصاحة وفهم دقيق لخبايا المعيش ونظم الشعر<sup>(٤)</sup> .

#### • زواجها :

تزوجت أسماء الزبير بن العوام بن خويلد ابن أخي السيدة خديجة وأمه السيدة صفية بنت عبد المطلب عممة النبي ﷺ فشاركته سراء الحياة وضرائها حلوها ومرها وانتقلت إلى بيته وعاشت يكتنفها عقلها وصبرها وتواضعها وإخلاصها لهذا الزوج حواري رسول الله ﷺ من السابقين الأولين الداخلين في الدين الحق المبين تقول السيدة أسماء : « تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه فكنت أعلمه وأكفيه مؤونته

(١) ابن ظفر أبناء نجاشياء الأبناء ص ١٩٤

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤

(٣) الذهبي / المرجع السابق ج ١ ص ٤١

(٤) المرجع السابق ص ٤١

وأسوسه وأدق النوى له وأستقى الماء وأعجن وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ<sup>(١)</sup> حتى بعث إلى أبو بكر جارية فكفتني مؤنة الفرس فكأنما أعتقتني<sup>(٢)</sup> . ومع هذا التجدد في متطلبات الحياة الزوجية التي تصرفت فيها أسماء بوعى سليم وقوة إدراك لحسن الطاعة المستوجبة للاستقرار الاجتماعي « إلا أن الزبیر كان شديداً عنيفاً معها ، كما تزوج عليها عاتكة أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة وأم خالد بنت خالد بن سعيد ، وأم مصعب الكلبية<sup>(٣)</sup> وكان لتلك الشدة أثرها في نفس السيدة أسماء فخافت أن تنقلب إلى جفوة فشككت إلى أبيها أبي بكر بأن الزبیر يؤثر شراتها عليها . يقول القرطبي مبينا ذلك الجانب الذي تغلفه سحابة قاتمة : « روی مالک أن الزبیر بن العوام كان كثير الضرب لزوجته أسماء بنت أبي بكر فضررها يوما حين خرجت بغير إذنه بعد أن عقد شعرها بشعر ضررتها - ضرراً شديداً وكانت الضرة أحسن أناها منها فكان الضرب بأسماء أكثر فشككت إلى أبيها فقال لها : أى بنية أصبرى فإن الزبیر رجل صالح ، ولعله أن يكون زوجك في الجنة ( قال ) ولقد بلغنى أن الرجل إذا ابتكر بالمرأة تزوجها في الجنة<sup>(٤)</sup> » :

#### • علمها :

كانت أسماء ذات فقد وإنما بحقائق هذا الدين الإسلامي العظيم الذي آمنت به واتبعته ، فوجدت معلم الإنسانية محمد ﷺ يسدي للناس نصحه ويرشدهم إلى ما فيه صلاحهم فیأمرهم بأكمل العادات ويرشدهم إلى

(١) الفرسخ ثلاثة أميال .

(٢) الذهبين المرجع السابق ج ١ ص ٤١

(٣) ابن الفلاح بن العساد / شذرات الذهب ج ٣ ص ١٧

(٤) القرطبي ، التذكرة في حالى الدنيا وأمور الآخرة ص ١٧٩

الصفات الحسنة الجميلة ويهديهم إلى الفضائل الراقية ، فأحببت هذا الدين وملأت شخصيَّةُ الرسول ﷺ كل جوانب حياتها ما جل منها وعظم أو قل وصغر ، فكانت بهذه الوشيعة الدينية العظيمة - صدقة والدها للنبي - ذات قدم راسخة في الدين فأصبحت راوية للحديث عالمة بسائل العبادات والمعاملات الإسلامية الدقيقة ، تمكنَت منها براجع عقلها وجرأتها في الحق وشغفها بالعلم والأدب <sup>(١)</sup> . ومن يقرأ كتب السنة والسيره يجد للسيدة أسماء « ستة وخمسين حديثاً روتها عن النبي ﷺ انفرد البخاري بأربعة وانفرد مسلم بثلثها واتفقا على أربعة عشر حديثاً » <sup>(٢)</sup> وقد استنبط الفقهاء والعلماء من تلك الأحاديث أحكاماً شرعية وحقائق المنافع العامة . فهي إحدى الفضليات الالاتي خدمن الدين وروين الحديث ونشرن العلم في صدر الإسلام : حيث كانت من أسهمن بدور إيجابي في الدأب العلمي فتصدت بكل وعيها لسائل العلوم الدينية المتفقة فيه في المدينة فلُمِت العديد من النساء واستفدن من ثقافتها للوصول إلى أعلى غاية في ارتقاء درجات العلم فكانت من تلميذاتها : أم الدرداء ، فاطمة بنت قيس كما أخذ عنها الحديث ابناها عبد الله وعروة وحفيدتها عبد الله بن عروة وابن عباس وأبو واقد الليثي وصفية بنت شيبة ومحمد بن كيسان ووهب بن كيسان وابن أبي مليكة <sup>(٣)</sup> .

ومن جملة ما روت السيدة أسماء من أحاديث تصدرت صفحات كتب التراث بالحق البين من ذلك :

أ : قالت أسماء « قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله

(١) ابن ظفر / المرجع السابق ص ١٩٤

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج ٣ ص ٩٨

(٣) رضا كحالة ، أعلام النساء ج ١ ص ٤٨

ﷺ فاستفتيته قلت : إن أمي قدمت علىٰ وهي راغبة فأفضل أمي ؟ قال  
نعم صلى الله علیك أمك (١) .

ب : وعنها رضي الله عنها قالت : قال لي النبي ﷺ : لا توكي (٢)  
فيوكى عليك . أرضخى ما استطعت (٣) .

ج : وعنها في جلائل الأعمال التي تبلغ حد الكمال الإنساني أن الرسول  
ال الكريم ﷺ قال : قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتم بقطاف  
من قطافها ، ودنت مني النار حتى قلت أى رب وأنا معهم ؟ فإذا امرأة  
حسبت أنه قال تخدشها هرة ، قلت ما شأن هذه المرأة ؟ قاتلوا : حبستها  
حتى ماتت جوعاً لا أطعمتها ولا أسلتها تأكل من خشاش الأرض (٤) .

هذا غير ما عرفته عن بعض تفاصيل العديد من المغازي ومعرفة الحقائق  
 بتاريخ الرسول وال المسلمين وذلك لقربها من اختها عائشة أم المؤمنين وبجهودها  
الخاصة الموقفة فقد عايشت الكثير من الأحداث مع زوجها وابنها فخبرت  
تاريخ الإسلام عن قرب ، والحقيقة أن أسماء كانت قدوة صالحة للمرأة  
المدينية الفاهمة المتدينة ، فكأنى مسلمة أدركت الوعى الشامل لأمور دينها  
كصحابية جليلة فقيهة كريمة وقفت وراء زوجها الزبير فى جميع المواطن  
تشد من أزره وحملت معه كثيراً من الأعباء وعاشت معه وفيه كل الوفاء  
من وقت أن تزوجته ، وزادها تشبيثاً على الحق يوم أن عرف فؤادها معالم  
الإيمان وأيات التوحيد فصارت مثلاً يحتذى للزوجات والأمهات (٥) . وقد

(١) الترمي ، شرح مسلم ج ٣ ص ١٨٨

(٢) لا تضنى .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٨ ، ومعنى أرضخى : أعطى .

(٤) ابن حجر ، فتح الباري ص ٢١٨

(٥) راجع ابن ظفر المربع السابق من ١٩٥

غرسَت تلك المرأة - التي حفظَت التاريخ لها مواقفها الخالدة في الشدائِد وأوقات العسرة - العديد من السجایا في ابنِيهَا عبد الله وعُرُوْة حيث قدمتهما إلى مجال الرفعة وأورثتهما البطولة في كل المواقف وأشبعتهما حبَّ العلم وأصقلت فيهما مواهِبَ الجهاد والفتاء والشجاعة الفائقة .

### ❖ فدائِيَةُ الإِسْلَامِ ذاتُ النَّطَاقِينِ (١) :

وَهَا هِيَ ذاتُ النَّطَاقِينِ أَسْمَاءُ الَّتِي قَدَّمَتْ صُورَةً رَائِعَةً مِنْ صُورَ الْفَدَائِيَةِ الْحَقَّةِ وَالشَّجَاعَةِ التَّانِدَرَةِ وَوقْتِ الْهَجْرَةِ الْمُبَارَكَةِ ، فَقَدْ تَجهَّزَتْ لِتَؤْدِيَ الْمَهْمَةَ السَّامِيَّةَ الَّتِي كَلَّفَهَا إِبْرَاهِيمًا أَبُو بَكْرَ الصَّدِيقَ أَثْنَاءَ وُجُودِهِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارِ ثُورِ بَعِيدًا عَنْ أَعْيُنِ الْخَانِقِينَ مِنْ صَنَادِيدِ الْعَنَادِ مِنْ قُرَيْشٍ وَلِمْ تَكُنْ مَهْمَةُ أَسْمَاءَ سَوْيَ حَمْلِ الزَّادِ لِلرَّفِيقِيْنِ يَعِينُهُمَا عَلَى مَشْقَاتِ الطَّرِيقِ فَعَمِلَتْ ذَلِكَ أَسْمَاءُ ثَلَاثَ لَيَالٍ كَانَتْ فِيهَا أَكْمَلَ الْمِثْلَ فِي الْبَطْلَةِ وَطُولِ الصَّبْرِ (٢) وَالْجَدِيرُ بِالْإِعْجَابِ حَقًا أَنْ تَؤْدِيَ بَنْتُ أَبِي بَكْرٍ هَذَا الْعَمَلَ الشَّاقَ وَحْدَهَا تَقْطَعُ طَرِيقًا مَحْوَرَطًا بِالظَّلَامِ وَالْأَهْوَالِ وَالْوَحْشَةِ - تَرْتَدُدُ لَهُ فِرَائِصُ أَقْوَى الرِّجَالِ - مَعَ ذَلِكَ كَانَتْ تَقْطَعُ كُلَّ لَيْلَةً مَعْرَضَةً نَفْسَهَا لِلْمَخَاطِرِ ، وَكُلُّهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالدِّينِ الَّذِي آمَنَتْ بِتَعْالَيْمِهِ فِي سَاطِعِ النُّورِ ، وَكَانَ عَلَيْهَا فَوْقَ ذَلِكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ الْأُمْرُ وَتَحْفَظَ السُّرُورَ وَتَلْزِمَ جَانِبَ الْحِيَّةِ وَالْمَذْرُورِ . تَنَقْلُ لَنَا

(١) ذاتُ النَّطَاقِينِ : الْلَّقْبُ الَّذِي لَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِلْسَّيْدَةِ أَسْمَاءَ بَنْتِ أَبِي بَكْرٍ فَوْرَ شَقَّهَا لِنَطَاقِهَا نَصْفِيْنِ عَنِدَمَا نَسِيَتْ أَنْ تَجْعَلَ لِسْفَرَتِهَا عَصَاماً ، فَرَبِطَتْ بِنَصْفِيْنِ مِنْهَا الْجَرَابَ الْمُوْضِعَ بِدَاخِلِهِ الطَّعَامِ وَرَبِطَتْ بِالنَّصْفِ الثَّانِيِّ الْقَرِيبَةَ وَقَالَ لَهَا أَنْتَ وَنَطَاقُكَ فِي الْجَنَّةِ . وَكَانَ هَذَا لِلْقَبِ وَسَامِاً مَتَّالِقاً تَبَاهِي بِهِ أَسْمَاءُ طَوَالِ حَيَّاتِهَا وَمَجْدًا لِأَوْلَادِهَا بَعْدَ وَفَاتِهَا ، وَقَدْ سَمِعَتْ أَسْمَاءَ بَأنَّ أَتَيَّاعَ بْنَى أُمِّيَّةَ يَقُولُونَ لِابْنِهَا عَبْدَ اللَّهِ . يَا ابْنَ ذاتِ النَّطَاقِينِ ، قَوْلَتْ لَهُ : عِبْرُوكَ ، قَالَ نَعَمْ ، قَوْلَتْ فَوْلَهُ حَقَّ ، وَقَوْلَتْ لِلْحَجَاجَ لِمَا قَابَلَهَا : وَكَيْفَ تَعِيرُ عَبْدَ اللَّهِ بَنَاتِ النَّطَاقِينِ ؟ أَجْلَ قَدْ كَانَ لِنَطَاقٍ لَا بَدْ لِلنِّسَاءِ مِنْهُ وَنَطَاقٍ أَغْطِيَ بِهِ طَعَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

(٢) رابع سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٠٠

كتب السيرة في زهو صوراً يوارق لشدة تمسكها على الرغم مما تتعرض له من الضغط والإيذاء . من ذلك أن قريشاً جاءتها تستطلع أخبار أبيها عقب خروجه مع الرسول مهاجراً فدخلوا بيت أبي بكر فخرجت تلقاهم أسماء وقالوا لها أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قالت لا أدرى والله أين يكون . فرفع أبو جهل يده فلطم أسماء لطمة أطارت القرط من أذنها من غيظه وحنته ، ثم انصرفوا <sup>(١)</sup> ، ثم أعقبهم جدها أبو قحافة - وقد كف بصره - فجاء يسألها عن أبيها وعن ماله الذي كان يبلغ ستة آلاف درهم والذي انطلق به أبو بكر وهو في حوزته ، قال أبو قحافة في صوت يغلق نبرات الحزن والغضب : لقد فجعلكم بالله مع نفسه ، قالت : كلا يا أبت إنه ترك لنا خيراً كثيراً . قالت أسماء فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت كان أبي يضع ماله فيها ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده جدي فقلت يا أبت ضع يدك على هذا المال ، قالت : فوضع يده عليه فقال لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفي هذابلاغ لكم ، تقول أسماء : والله ما ترك أبي شيئاً ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك <sup>(٢)</sup> . إن هذا التصرف المحمود من أسماء ليقدم لنا « طاقة أمل » فيما يمكن أن يحدثه التدبير الموفق من تأثير مباشر في النفوس ، فإن بصيرتها النافذة جعلت جدها يهدأ خاطره - مع شدة حبه للمال - وما زالت به حتى اقتتنع أو تظاهر بالاقتناع . والمهم أن ينصرف وهو راض عن ابنته أبي بكر الذي هاجر دون أولاده كل الرضى .

#### \* جهادها وشجاعتها :

وقد هيأت الأقدار تلك المرأة لتناول شهرة ذاتعة في ضروب البسالة والإقدام وهي في مقتبل العمر ، وعندما بلغت سن الشيخوخة ، فقد ضربت

<sup>(١)</sup> نسخة ج ١ ص ١٤٤

<sup>(٢)</sup> المرجع السابق ص ١٠٠

لنا مثلا رائعا في العزة والكرامة وقوة الإيمان والشجاعة والتضحية في سبيل الحق ، وقد بلغت قمة التضحية في نصحتها لابنها عبد الله ، وكان المقام كله والدنيا تسع عماد برهانها وقوام حجتها فوفقت في ذلك عياناً أبلغ توفيق .

فقد كانت أسماء من أوليات المسلمين المهاجرات من أم القرى - مكة - إلى يثرب حفاظاً على دينهن وابتعاداً عن الأيدي الباطشة التي ازدادت قسوتها على المسلمين . إن ترك الديار والاستقرار وموطن الآباء والأجداد - والوطن العزيز - ليحتاج كل ذلك إلى أنواع من الدروس المستفيدة في الصبر والتجلد فيما تخبيه الأيام من العوادي والمشقات .

وكانت أسماء مع زوجها الزبير في الطليعة ، بل تحملت في الإخلاص للدين والطاعة للزوج في الانتقال إلى دار الهجرة والموطن الجديد . على الرغم مما يكتنفها من آلام جسدية ونفسية من جراء وطأة الحمل في أشهره الأخيرة « فقد خرجت أسماء في هجرتها إلى يثرب وهي حامل في عبد الله بن الزبير ، فلما بلغت قرية قباء على مقربة من المدينة ولدته وقد عمت البشرى طلائع المسلمين ، فاستقبلوها بالتكبير والشكر لله المنعم المعطى الذي من عليهم بأول مولود في دار الهجرة <sup>(١)</sup> ولا تتعجب من هذا التصرف الجماعي الفريد بعد أن تعرف سبب الفرحة الشاملة . فإن مرد ذلك . اعتبارات سجلتها كتب التاريخ على استحياء . فقد ادعى اليهود أنهم سحرروا المسلمين فلن يولد لهم بعد اليوم ولد <sup>(٢)</sup> فخيب الله رجاءهم ومساعهم « وما علم النبي ﷺ بولادة أسماء ذهب إلى الزبير وزوجته فبارك لهما مولودهما ثم أخذه بين يديه وضمه إلى صدره وشمته <sup>(٣)</sup> ودعا

(١) راجع وقيات الأعيان ج ٣ ص ١٠٠ .

(٢) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٣ ص ١٠١ .

(٣) الشم هو التقبيل .

له بالبركة وكناه باسم جده أبي بكر وأطلق عليه اسم - عبد الله - وقال لأسماء : أرضعيه ولو باء عينيك <sup>(١)</sup> .

وقد شهدت أسماء حرب اليرموك التي جرت أحاديثها في الأيام الأخيرة من خلافة أبيها أبي بكر ، وكان دورها في تلك المعركة الفاصلة مع بقية نساء الإسلام اللواتي حضرن أحاديثها أن يحملن الماء في قرب على متونهن لإزروا المجاهدين في ساعات العسرة وأوقات الظمة . كما كن يداوين الجرحى من أصيب في أثناء المعركة . وقد سجلت أسماء مع الخنساء وهند بنت عتبة وخولة بنت ثعلبة مأثرة من المآثر التي تنسب لتلك الموقعة <sup>(٢)</sup> وتترشّف بها أسماء في باب شجاعتها وذادها في ميادين الكفاح . فقد كانت مع نساء الإسلام عندما يخيم الظلام كن ينزلن إلى الفضاء فمن وجده من المسلمين يوجد بنفسه ساعدته للنهوض أو ما يعينه من تضميد جراحه أو مداواة من احتاج إلى ذلك . وقد قال لهن خالد بعد أن أعطاهن عدداً من السيوف والحجارة والأخشاب : من رأيت موته فاقتله <sup>(٣)</sup> أما إن عثرن على رجل من المشركين لم يمت بعد أجهزه عليه <sup>(٤)</sup> وقد جرح النمير في معركة اليرموك جرحين بين كتفيه وصارت أسماء تقوم بأمره مع ابنها عبد الله <sup>(٥)</sup> ومن شجاعتها - رضي الله عنها - أيام

(١) ابن خلkan المرجع السابق ج ٣ ص ١٠١ .

(٢) الصورة الكاملة عن دور نساء في حرب اليرموك يرجع إلى ابن الأثير ج ٢ ص ٤٨ ، وتهذيب ابن عساكر ج ١ ص ١٢٥ .

(٣) ابن عساكر / تهذيب تاريخ دمشق ج ١ ص ١٢٥ .

(٤) ابن الأثير / الكامل ج ٢ ص ١٨٢ ، وفيه أن النساء كن يقلن :

يا هارباً عن نسوة نقيات فعن قليل ما ترى سبيات لا حظيات ولا رضيات

.

(٥) الأزدي / فتح الشام ص ١١٥ .

الفتنة أنها اتخذت خنجرًا فوضعته تحت مرفقها ، فقيل لها ما تصنعين بهذا ؟ قالت أسماء : إن دخل على لص بعجمت بطنه <sup>(١)</sup> .

وتتجلى مواقف البطولة التي لم تغفلها لها سطور التشريف المعطرة «بفريد الحديث» الذي ينذر تكراره على الإطلاق . وأقصد بذلك يوم أن دخل على أسماء ابنتها عبد الله بن الزبير وهو خليفة على بلاد الحجارة ومصر وال伊拉克 وخراسان بعد أن انحسرت ممالكه كما سقط صریعاً أخلص أتباعه وساعدته الأئمأة الآخوة القائد «مصعب بن الزبير» وضيق عليه خصومه من بنى أمية كل السبل للقبض عليه والتخلص منه . فأنفذ عبد الملك بن مروان إليه جيشاً جراراً بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي الذي استولى على يثرب دون مقاومة ثم زحف نحو مكة وحاصرها ورمى الكعبة بالمنجنيق وألحق بها خسائر فادحة وطوق الحجاج هذه المدينة المقدسة تطريقاً تماماً حتى تجبرع أهلها ألم الجوع وأخذوا ينفضون من حول ابن الزبير ولم يبق معه إلا نفر قليل من أصحابه <sup>(٢)</sup> قالت أسماء التي كف بصرها آذاك لابنتها عبد الله الذي جاء يستشيرها في أمره ويودعها ، وصمتت عجلة التاريخ الهاדרة لتسمع كلمتها كل البشر : « يا بنى مت كرماً فيان الموت لا بد منه وأنت أعلم بنفسك . فإن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعوا فامض له ، فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تكن من رقبتك ليلاعب بها غلمان بنى أمية . وإن كنت إنما أردت الدنيا فبنس العبد أنت أهلكت نفسك وأهلكتَ من قتل معك ، وإن قلتَ كنت على حق فلما وهن أصحابي ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين . وكم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن ، والله لضرية بالسيف في عز أحب إلى من ضرية بسوط في

(١) أعلام النساء / جـ ١ ص ٤٨ .

(٢) الطبرى / تاريخ الأمم جـ ٦ ص ١٧٤ وما بعدها .

ذل . قال : إني أخاف إن قتلوني أن يمثلوا بي . قالت : يا بنى إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها » . فدنا منها يقبل رأسها فسمت على جسمه الدرع . فقالت له : ما هذا صنيع من يريد ما تريده (١) وبعد أن طمأنها ابنها بأنه سيقى بكل ما نصحته به قالت السيدة أسماء فى حسم : إني لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسناً إن تقدمتني ، وإن تقدمت ففى نفسي جرح حتى أنظر إلام يصير أمرك ؟ (٢) .

وبعد أن أسكبت هذه المجاهدة المخلصة فى أذن ابنها عبد الله جرعته العزم التالد وحب المبدأ والدفاع عنه مهما كان الشمن خرج « ابن الزبير » وخلع درعه وانطلق يقاتل قتالاً بطولياً واستمات فى أرض المعركة ولم يفك فى الفرار أبداً . ولكن المنية عاجلته فسقط قتيلًا فى جمادى الآخرة سنة ٧٣ هـ على أرض الشرف والكرامة ليلحق بدار الخلود بعد أن حاصره الحجاج مدة تزيد على الستة أشهر (٣) وقد حمل رأس ابن الزبير إلى الحجاج فسجد شكرًا لله ثم أمر بالرأس فحمل إلى عبد الملك بدمشق الذى أمر ببعثت به فطيف بالرأس فى جميع النواحي . أما جسده فقد أمر الحجاج بصلبه بالقرب من الحرم . وطال صلبه (٤) وأثناء ذلك طلبت أسماء من مرافقها أن يروا بها من تحت جثة ابنها عبد الله ولم تزد على أن قالت فى إياه وشمم « أما آن لهذا الفارس أن يتراجل » (٥) .

ولما قتل الحجاج ابن الزبير دخل بعدها على السيدة أسماء وقال لها « يا أمه إن أمير المؤمنين أوصانى بك فهل لك فى حاجة ؟ فقالت : لست

(١) اليعقوبي / التاريخ جه ٣ ص ١٠ - ١١ .

(٢) ابن قتيبة / الإمامة والسياسة جه ٢ ص ٢٥ .

(٣) البلاذرى / أنساب الأشراف جه ٥ ص ٣٦٨ .

(٤) الطبرى مرجع سابق جه ٦ ص ٢٦٩ .

لَكْ بِأَمْ وَلَكُنْتِي أُمُّ الْمَصْلُوبِ عَلَى رَأْسِ الثَّنِيَةِ<sup>(١)</sup> وَمَا لَيْ مِنْ حَاجَةٍ . وَلَكُنْتِي أَحَدُكُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَابٌ وَمُبَيِّرٌ<sup>(٢)</sup> أَمَا الْكَذَابُ فَقَدْ رَأَيْنَا - تَعْنِي الْمُخْتَارَ<sup>(٣)</sup> أَمَا الْمُبَيِّرُ فَلَا أَظْنَهُ إِلَّا أَنْتَ فَقَالَ الْحِجَاجُ : إِنَّ ابْنَكَ أَلْحَدَ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَإِنَّ اللَّهَ أَذَاقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلْيَمٍ وَفَعَلَ بِهِ وَفَعَلَ . فَقَالَتْ لَهُ : كَذَبْتَ كَانَ بِرًا بِالْوَالِدِينَ صَوَاماً قَوَاماً : فَقَالَ الْحِجَاجُ : كَيْفَ رَأَيْتِنِي صَنَعْتَ بِابْنِكَ ؟ قَالَتْ : أَفْسَدْتَ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ وَأَفْسَدْتَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ<sup>(٤)</sup> . وَقَدْ تَمَاسَكَتْ أَسْمَاءُ تَلْكَ الْمَرْأَةِ التَّيْ أَوْهَنَتْهَا الشِّيخُوخَةُ وَالشَّكْلُ وَقَدْ كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي حَاجَةٍ إِلَى رِعَايَةِ عَبْدِ اللَّهِ وَكُلِّ مَنْ رَأَاهَا وَهِيَ تَرُ منْ تَحْتِ الْخَشْبَةِ التَّيْ صَلَبَ عَلَيْهَا ابْنَهَا يَنْزَلُونَ سُخْطَهُمْ وَغَضْبَهُمْ عَلَى الْحِجَاجِ وَعَبْدِ الْمَلْكِ وَالدُّعَاءِ عَلَيْهِمَا ، وَلَمْ يَهْمِمْ الْجِبْرِوتُ الَّذِي أُحْبِطَ بِهِمْ وَقَدْ سَكَتَ صَاحِبُ الْكَلْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَمَا زَالُوا بِأَسْمَاءِ حَتَّى أَقْنَعُوهَا بِأَنْ تَرْفَعْ شَكْوَاهَا إِلَى خَلِيفَةِ دِمْشِقَ . فَطَلَبَتْ مِنْ عَبْدِ الْمَلْكِ بِأَنْ يَتَقَرَّبَ اللَّهُ فِي آلِ الْبَيْتِ ، فَنَهَى الْخَلِيفَةُ الْحِجَاجَ وَأَمْرَهُ أَنْ يَنْزَلْ جَثَّةُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ الزَّبِيرِ مِنْ خَشْبَةِ الْحِجَاجِ وَأَمْرَهُ أَنْ يَسْلِمَهَا إِلَى أَمْهَهُ<sup>(٥)</sup> فَأَخْذَتْ أَسْمَاءُ جَثَّةُ عَبْدِ اللَّهِ وَهِيَ تَقُولُ : « قَاتَلَكَ اللَّهُ يَا حِجَاجَ عَلَى مَا ذَلَبْتَ عَبْدَ اللَّهِ ؟ ثُمَّ غَسَلَتْهُ وَصَلَتْ خَلْفَ الْمُصْلِينَ عَلَيْهِ ثُمَّ وَارَتْهُ التَّرَابَ<sup>(٦)</sup> وَقَدْ تَأْمَتْ بَعْضُ

(١) ثَنِيَةُ الْمَجِونِ بِالْقَرْبِ مِنَ الْمَرْمَ .

(٢) الْمُبَيِّرُ : الْمَهْلِكُ .

(٣) الْمُخْتَارُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقْفَيِّ الَّذِي كَانَ نَاصِبَيَا كَانَ يَرِيدُ زَعْمَةً وَقَدْ قَتَلَهُ مُصَبِّبُ بْنُ الزَّبِيرِ سَنَةَ ٦٧ هـ .

(٤) النَّهْيُ / سِيرُ أَعْلَامِ الْبَلَاءِ ، ج ١ ص ٤٣ .

(٥) الْمَرْجَعُ السَّابِقُ ص ٤٥ .

(٦) الْمَرْجَعُ السَّابِقُ ج ١ ص ٤٥ .

جراحات تلك الأم العظيمة المتماسكة في شموخ الجبال وهذا بالها ولم تطرو السيدة أسماء ذات النطاقين آلامها فهي أم رءوم يختزن قلبها شحنات العطف والرحمة والحب بلا حدود ولكنها كانت صاحبة رسالة و موقف خالد عندما واجهت ابنها عبد الله بالصورة السالفة والموقف النادر المثال فكانت قدوة صالحة للأمهات على مر الأجيال .

وفاتها : توفيت الصحابية المجاهدة القوامة الراشدة وأخت عائشة (١) أسماء بنت أبي بكر بعكة بعد عمر يناهز المائة سنة قضتها بين درجات الفضائل جرأة في الحق وعلم بالدين وسخاء يد وقوة إيمان ونفس راضية (٢) فأى قلب وأى إيمان بل أى نفس تلك التي تحملت مثلما تحملت أسماء عندما فجعت بعد صلب ابنها فنشرت عبرا من نفح الحيرات والثبات والإيمان يضوع على ذلك التاريخ المجيد لا يفني تأثيره مع تقادم الأزمان فلقيت ريها في نهاية سنة ٨٧ هـ بعد إزاله ابنها عبد الله من فوق خشبة الثنية بالحجون ودفنته بليل قليلة وقد عمرت دهراً ولم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل وكانت خاتمة المهاجرات وفاء رضى الله عنها وهيا لنساء المسلمين حسن الاقتداء بها (٣) فما حمد الناس فضيلة للمرأة بيته وزوجها ووالده إلا كانت أسماء على أجملها وأسمها وأحقرها بالتمجيد والإكبار فهى التي قال عنها المصطفى الأكرم عليه السلام في صدر شبابها مشجعاً ومبشراً

(١) ابن عبد البر الاستيعاب ج ١ ص ٨٧ ، يقول العقاد : فما عسى أن يقول النائل ويشنى المثلث على بيت ينجب هاتين العقيلين الكرعين ؟ عائشة وأسماء لقد كان لأبي بكر أبناء من خيرة الرجال ولكن البيت تدل عليه بناته قبل أن يدل عليه أبناؤه لأن الفضل في شأنهن كلها للبيت من حيث يحسب لنغير البيت الفضل في نشأة الأبناء . وذلك هو بيت الصديق أكرم به من بيت بين ما حملت الأرض كلها من بيوت . عبقرية الصديق ص ١٨٣ .

(٢) ابن عبد البر المرجع السابق ج ١ ص ٨٧ .

(٣) الذهبي مرجع سابق ج ١ ص ٢٠٨ .

« أبدلك الله بنطاك نطاقين في الجنة »<sup>(١)</sup> رحم الله أسماء عبق من نفحات العزة والشجاعة والتضحية ورضي الله عنها لتأخذ مكانها الحق بين المخلدات .

\* \* \*

### (٣) صولة الحق البَيْن عبد الرحمن بن أبي بكر :

أكبر أبناء أبي بكر النجباء عبد الرحمن . صولة الحق البَيْن المعلن ضد من أرادوا تغيير مفهوم الخلافة الراشدة بجعلها ملكية وراثية . فقد تفتحت عيونه وتربى في مرابع العزة والأئفة متمتعاً بالفضائل والمكرمات فعاش في بيت أبي يكر خليل النبي الإسلام الذي تلاقت قلوب جميع المسلمين في حبه كما أجمعت السنة المؤرخين على تعداد مآثره وفضله الذي لا ينكر أبداً . وأم عبد الرحمن هي « أم رومان بنت الحرف الكنانية التي تزوجها أبو بكر قبل الإسلام وهو شقيق عائشة من تلك الأم التي كانت من السابقات من النساء الداخلافات في الإسلام »<sup>(٤)</sup> فورث عن أبيه الشجاعة والبذل وعن أمه تدبير الأمور والنظر الدقيق إلى العواقب<sup>(٥)</sup> وقد تأثر عبد الرحمن في دخوله إلى الإسلام مع كرم محنته وانشقاق ذلك الشبل من عرين الإيمان والتوحيد فيقول ابن عبد البر أن عبد الرحمن بن أبي بكر أسلم بعد غزوة أحد . وقد شهد بدرًا وأحدًا مع قومه من قريش كافراً بل دعا إلى البراز فقام إليه أبوه ليبارزه فذكر أن رسول الله ﷺ قال له : لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك<sup>(٦)</sup> ثم أسلم عبد الرحمن وتشبع بنور اليقين وحسن إسلامه وكان اسمه عبد الكعبة فغيره النبي ﷺ وسماه عبد الرحمن والذي به اشتهر<sup>(٧)</sup>

(١) الترمي رياض الصالحين ص ١٨٧ .

(٢) ابن حجر الإصابة ج ٤ ص ٤٠٧ .

(٣) الاستيعاب ج ٤ ص ٣٩٩ .

(٤) الاستيعاب ج ٤ ص ٤٠٠ .

أما ابن حجر فيرى تأخر عبد الرحمن في الدخول في الدين إلى أيام الهدنة فلم يهاجر مع أبيه أبي بكر وخرج قبل الفتح مع فتية من قريش منهم معاوية بن أبي سفيان إلى المدينة فأسلموا<sup>(١)</sup> وهذا التردد في الرواية عن وقت إسلامه يرجع إلى أنه لم يدخل في الإسلام مع سائر أهل بيته الصديق. فاجتهد المجتهدون وتأول المتألون لكن الأرجح أن عبد الرحمن نال الهدى بعد غزوة أحد مباشرة بعد اقتناعه ونزول طاقات النور والإيمان على صدره فبدى منشرحًا فاستجاب وأصاب وخلق بأخلاق القرآن واتبع مناهج الصالحين .

**مواقفه :** كان عبد الرحمن من أصحاب الهمم الوثابة والمصابرة الغالية متعد الله بسطة في الجسم وجرأة فائقة في الحق وشجاعة وعزيمة صلبة ساعده في منازلة خصوم الإسلام وإلحاد الهزائم بالتجربتين . فعن أم جدعان أن عبد الرحمن بن أبي بكر كان أشجع رجال قريش وأرمائهم بسهم ، حضر اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل سبعة من كبار المرتدين من بنى حنيفة شهد له بذلك جماعة عند خالد بن الوليد<sup>(٢)</sup> وعبد الرحمن هو الذي قتل محكم اليمامة ابن طفيل رماه بسهم في نحره<sup>(٣)</sup> فقتلته . وكان محكم اليمامة هذا سد ثلمة من الحصن فدخل المسلمين من تلك الثلمة وكانت في الحصن منيته<sup>(٤)</sup> كما شهد عبد الرحمن موقعة الجمل مع أخيه أم المؤمنين عائشة وزوج أخيه أسماء الزبير بن العوام<sup>(٥)</sup> وحضر مع النبي ﷺ الكثير من

(١) ابن ظفر . أبناء نجاشياء الأبناء ص ٢١٦ .

(٢) الإصابة ج ٤ ص ٤٧ .

(٣) روى عبد الرحمن المحكم بن الطفيلي يوم اليمامة بسهم - كما يقول الطبرى - وهو يخطب وكان يقول في خطبته « يا معاشر بنى حنيفة الآن والله تستحقب الكرام غير رضيات وبنكعن غير حظبيات فما عندكم من حسب فما ترجوه » فقاتل قتالاً شديداً حتى رماه عبد الرحمن بسهم فنحره .

(٤) ابن عبد البر مرجع سابق ج ٤ ص ٣٢٣ .

(٥) تاريخ الأمم ج ٢ ص ٤٠٠ .

(٦) المرجع نفسه ص ٤٠٠ .

الغزوات كما صحبه في هدنة الحديبية وظل مخلصاً لرسول الله ملبياً  
لداعي الجهاد ثابتاً على عقيدته قوياً في عزمه وأرادته شديد الشغف  
بتتابعة أحداث الإسلام وانتصاراته بل وفي أوقات الشدائـ . وهـ هناك  
أشد على النفوس قسوة من مرض الحبيب المجتبـ عليه السلام تجمع الروايات بأن  
عبد الرحمن كان أقرب إلى الإقامة في حجرة أخيه عائشة في الساعات  
الـى سبقت وفـة النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه . فـ كان يـساهم في تـريضـه مع أخيه أم المؤمنـين  
وعـندـما وجـدـ الرسـولـ أباـ بـكرـ وـعـائـشـةـ وـعـبدـ الرـحـمـنـ معـ الفـضـلـ بنـ عـباسـ  
وـعـلـىـ وـفـاطـمـةـ أـثـنـاءـ مـرـضـهـ فـقـالـ لـمـنـ حـولـهـ «ـ سـدواـ الـأـبـوـابـ الـلـاـفـظـةـ إـلـىـ  
الـمـسـجـدـ إـلـاـ بـيـتـ أـبـيـ بـكـرـ فـيـانـيـ لـاـ أـعـلـمـ أـحـدـ كـانـ أـفـضـلـ فـيـ الصـحـيـةـ عـنـدـيـ  
يـدـ مـنـهـ وـلـوـ كـنـتـ مـتـخـذـاـ خـلـيـلاـ لـاتـخـذـ أـبـاـ بـكـرـ خـلـيـلاـ وـلـكـنـ صـحـبـةـ وـإـخـاءـ  
إـيمـانـ حـتـىـ يـجـمـعـ اللـهـ بـيـنـنـاـ عـنـدـهـ (١)ـ وـلـاـ اـشـتـدـ بـالـنـبـيـ صلوات الله عليه وآله وسلامهـ المـرـضـ جـاءـواـ لـهـ  
بـشـئـ مـنـ العـودـ الـهـنـدـيـ وـالـزـيـتـ فـلـدـوـهـ بـهـ (٢)ـ وـهـ يـشـيرـ أـلـاـ يـلـدـوـهـ وـلـكـنـهـ  
قـالـواـ إـنـ هـذـاـ كـراـهـيـةـ الـمـرـضـ لـلـدـوـاـ .ـ وـلـاـ أـنـ أـفـاقـ قـالـ :ـ أـلـمـ أـنـهـمـ كـمـ أـنـ  
تـلـدوـنـيـ قـالـواـ وـفـيـهـمـ عـبدـ الرـحـمـنـ :ـ قـلـنـاـ كـراـهـيـةـ الـمـرـضـ لـلـدـوـاـ .ـ وـكـانـ فـيـ  
يـدـ عـبدـ الرـحـمـنـ جـرـيـدةـ رـطـبـةـ فـنـظـرـ إـلـيـهـ النـبـيـ صلوات الله عليه وآله وسلامهـ فـعـرـفـتـ عـائـشـةـ أـنـهـ يـرـيدـ  
الـسـوـاـكـ .ـ فـقـالـ آـخـذـهـ لـكـ ؟ـ فـأـشـارـ بـرـأسـهـ نـعـمـ فـتـنـاوـيـنـهـ مـنـ عـبدـ الرـحـمـنـ  
فـمضـغـتـ رـأـسـهـ وـنـفـضـتـهـ فـدـفـعـتـهـ إـلـىـ رـسـولـ اللـهـ صلوات الله عليه وآله وسلامهـ فـاستـاكـ بـهـ كـأـحـسـنـ  
مـاـ كـانـ اـسـتـاكـ ثـمـ أـعـادـهـ إـلـيـهـ فـسـقطـتـ مـنـ يـدـهـ (٣)ـ .

وـقدـ اـتـسـعـتـ صـفـحـاتـ تـارـيـخـ إـلـاسـلامـ التـالـدـ لـتـبـرـزـ مـوـاقـفـهـ الـمـحدـدـةـ وـالـمـشـدـدـةـ  
ضـدـ كـلـ الـتـجـاـزوـاتـ السـيـاسـيـةـ الـتـىـ شـهـدـهـاـ فـيـ حـيـاتـهـ -ـ خـاصـةـ أـيـامـ الـفـتـنـةـ -ـ  
فـقـامـ وـاسـتـنـصـرـ مـنـ نـادـيـ بـالـقـبـضـ عـلـىـ الـعـبـيـدـ وـالـأـعـرـابـ وـالـغـوـغاـءـ الـذـيـنـ

(١) سـيـرـةـ اـبـنـ هـشـامـ جـ ٤ـ صـ ٣٢٨ـ .ـ (٢) فـلـدـوـهـ أـىـ دـخـلـوـهـ فـيـ أـحـدـ جـوانـبـ فـيـهـ .

(٣) اـبـنـ كـثـيرـ السـيـرـةـ النـبـوـيـةـ جـ ٤ـ صـ ٣٧٤ـ -ـ ٣٧٥ـ .

اشتركوا في قتل الخليفة عثمان ورأى مع أخته عائشة أنه قتل مظلوماً وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر ، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام<sup>(١)</sup> وبعد موقعة صفين قتل محمد بن أبي بكر على يد أنصار معاوية وفي مقدمتهم معاوية بن خديج . يقول ابن الأثير إن عبد الرحمن بن أبي بكر تقابل مع ابن خديج وهو على ولاية مصر فقال له ابن الصديق « يا معاوية قد أخذت جزاءك من معاوية ؟ وقد قتلت أخي محمد بن أبي بكر لتلي مصر فقد وليتها . فقال : ما قتلت محمداً إلا بما صنع بعثمان . فقال عبد الرحمن : لو كنت إنا تطلب بدم عثمان ما شاركت معاوية فيما صنع ، حيث عمل عمرو بن العاص بالأشعرى ما عمل فواثبت أول الناس فبأيته»<sup>(٢)</sup> .

كما تصدى عبد الرحمن للحكم الأموي ونظامه الذي أراد تغيير مسار الراشدين خاصة في زمن معاوية بن أبي سفيان ، فقد واجه معاوية وواليه على الحجاز مروان بن الحكم في إباء وشموخ وظهرت « صولة الحق البين » في تلك المواقف يشهد بذلك ما أخرجه البخاري عن طريق يوسف بن ماهك بأن مروان والي الحجاز الذي استعمله معاوية خطب فذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه فقال له عبد الرحمن شيئاً فقال خذوه فدخل بيت عائشة فقال مروان : هذا الذي أنزل الله فيه « والذى قال لوالديه أَفْ لِكُمَا » فأنكرت عائشة ذلك من وراء حجاب<sup>(٣)</sup> . وفي رواية أخرى أن عبد الرحمن قال متحجاً على تلك البدعة السياسية قائلاً « سنة قيسر وهرقل لا سنة أبي بكر وعمر » وفيها أن عائشة قالت لمروان « والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته »<sup>(٤)</sup> .

(١) الطبرى ج ٤ ص ٤٤٩ .

(٢) تاريخ الكامل ج ٣ ص ١٨١ .

(٣) ابن حجر فتح البارى ص ٤٠٧ .

(٤) ابن حجر فتح البارى ص ٣١٨ .

وعندما شدد معاوية على الأعلام من أبناء الصحابة فيأخذ البيعة لابنه يزيد سنة ٥٦ هـ ودعا بكتاب فقرأه على الناس باستخلاف يزيد إن حدث به حدث الموت وأراد أن ينالها في حياته قسراً تحت أسنة سيفه وعسكره إلا أن عبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله بن الزبير والحسين بن علي شكل ثلاثة جبهة متماسكة لرفض تلك الخطوة التي لا عهد لدولة الإسلام بها من قبل. فعن عبد الله بن نافع (قال) خطب معاوية فدعا الناس إلى بيعة يزيد وكلمه الحسين وابن الزبير وعبد الرحمن بن أبي بكر فقال له عبد الرحمن « أهرقلية كلما مات قيسر كان قيسراً مكانه والله لا نفعل ذلك أبداً فما الخيار أردتم لأمة محمد » وأراد معاوية أن يستميل عبد الرحمن فبعث إليه سنة ٦٠ هـ بمائة ألف ، فردها وقال : لا أبيع ديني بدنياً . وخرج إلى مكة ومكث بها بقية حياته (١) .

أهم سجايا عبد الرحمن : قد ظهر عبد الرحمن بسجايا الكمال والخلق الرافق والخلصال الحميدة . فكان عافلاً رزيناً شجاعاً غير هياب صادق القول عفيناً . قال عنه الزبير بن يكار : كان عبد الرحمن رجلاً صالح لم يجرب عليه كذبة قط ، وكانت فيه دعابة مستحسنة أشد استحسان (٢) وقد نقله (٣) عمر بن الخطاب ليلي ابنة الجودي وكان أبوها عربياً من غسان أمير دمشق وكان عبد الرحمن قد رآها قبل فتح المدينة فأحبها وشيب بها بعد أن أعجب بها وقال فيها أشعاراً عقب مشاهدته إياها وحولها ولائده ومنها :

(١) المرجع السابق ص ٨٤ وقد قيل إن معاوية أوصى يزيداً خيراً بالحسين وعبد الرحمن : أما حسيناً إن خرج عليك فظفرت به فاصفع عنه فإن له حقاً عظيماً أما ابن أبي بكر فرجل إن رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنعوا مثلهم فلا ت تعرض له . طبرى ج ٥ ص ٣٢٢ .

(٢) ابن خلكن وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٠٣ .

(٣) أعطاه من الأنفال - الفنائهم - (٨) .

تذكر ليلي والسماءة بيتنا فما لابنة الجودي ليلي وما ليها وإنى تلقيها بلى ولعلها إن الناس حجوا قائلًا إن توافيا

فلما سمع عمر هذا الشعر ، قال لأمير الجيش : إن ظفرت بليلي فادفعها لعبد الرحمن . ولما وقعت في أيدي الجند بعد فتح دمشق فسلموها لابن أبي بكر <sup>(١)</sup> وقد قيل إن عبد الرحمن قد أثرها على زوجاته مما أثار غيرتهن ، فشكينه إلى أخته عائشة فلامته وطلبت منه أن يعدل بينهن فلم يف ذلك بل زاد من شغفه بها <sup>(٢)</sup> وتشاء الأقدار أن تخدم جذوة تلك العاطفة المشبوهة فجاءت ليلي الدمشقية إلى أم المؤمنين عائشة تشكو جفاء عبد الرحمن لها فقالت عائشة قولتها المشهورة لأخيها : « أفرطت في الأمرين » <sup>(٣)</sup> .

وفاته : وقد توفي أكبر أبناء الصديق الذكور عبد الرحمن سنة ثلاثة وستين من الهجرة حيث مات فجأة بوضع يقال له الحبسى - على نحو عشرة أميال من مكة وحمل إليها حيث دفن بها <sup>(٤)</sup> وفي رواية « أنه مات بعد نومة نامها ولما اتصل خبر وفاته إلى أخته السيدة عائشة ظعنت من المدينة وخرجت حاجة فوقت على قبره فبكت عليه وأنشدت أبيات متتم بن نوريرة في أخيه مالك وتمثلت قوله :

وكنا كندمانى جزءة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتتصدعا  
فلمما تحرقنا كأنى وأمالك لطول اجتماع لم نبت ليلة معا  
ثم قالت : أنا والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت ممكانك ولما بكينك <sup>(٥)</sup> .

(١) ابن خلكان / المرجع السابق ص ١٠٤ .

(٢) الاستيعاب ج ٤ ص ٤٠١ .

(٣) المرجع نفسه ص ١٠٤ .

(٤) ابن عبد البر المرجع السابق ج ٤ ص ٤٠١ .

(٥) ابن سعد / الطبقات ج ٤ ص ٨٧ .

وهكذا انطوت صفحة ثبت جليل من عصر زاهر مجید . ملئت بشمائل موروثة وخلال طبعت مع الإسلام في سجل أيامه ، فرسخت في سجاياده التي تمنع بها في حياته . ونقشت بالفضائل التي لم تنكرها له أسفار التاريخ . شأن كل ما عمل في دنيا الناس يلقاه يوم العرض والحساب عندما يقدم كل مسلم ديوانه الذي يلقاه منشوراً .

\* \* \*

#### (٤) عبد الله . كاتم سر والده أبي بكر :

زينة البيت البكري العريق في تاريخ الإسلام وواسطة عقده وأثير حب والده الصديق وكاتم أسراره على كل حال عبد الله بن أبي بكر . فارس أيام الهجرة ونجمها المجلبي حيث كان « صاحب الرسائل المكتومة » التي كان يحتفظ بها عبد الله ويظل صامتا حتى يأتي أباه ومعه النبي ﷺ في الغار <sup>(١)</sup> وأمه وأم أسماء واحدة هي السيدة قتيلة بنت عبد العزى من بنى عامر بن لؤى وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام ولم يسمع له بشهد إلا بشهود الفتح وحنيناً والطائف <sup>(٢)</sup> . وكانت فيه شجاعة وأدب ورقه وله شعر حسن يروى بعضه في زوجته المطلقة « عاتكة بنت زيد » وقصته معها من أدلّ أخبار هذه الأسرة على شعور أبي بكر بالأبوة والزوجية والواجب في وقت واحد وأن المغالبة بين الرحمة والواجب في نفسه كانت مغالبة سجال <sup>(٣)</sup> . وكانت عاتكة من أشهر نساء عصرها بالجمال والعقل والفطنة وكان عبد الله بها معجباً فشغلتة عن أموره . فقال له أبوه أبو بكر :

« طلقها » فطلقها . ثم ندم على فراقها وكان من شعره فيها :

أعاتِكُ لا أنساكِ ما ذرَّ شارقٌ      وما لاحَ نجمٌ في السماء مُحَلَّكٌ  
أعاتِكَ قلبِي كُلَّ يوم وليلة      لدِيكِ بما تُخْفِي النُّفُوسُ مُعلَّقٌ

(١) للمزيد من موقف عبد الله يوم الهجرة راجع سيرة بن هشام ج ١ ص ١٠٠ .

(٢) الاستيعاب ج ٢ ص ٢٥٨ .      (٣) العقاد . عبيرية الصديق ص ١٧٧ .

لها خلق جزل ورأى ومنصبٌ      وخلق سوى في الحياة مصدقٌ  
 ولم أر مثلى طلاق الي يوم مثلها      ولا مثلها في غير شئ تطلق  
 فرق له أبو بكر فأمره بمراجعتها فراجعتها ومات وهي عنده (١) . وهكذا تكون رحمة الأبوه وحدب الأصفياء الذين لا تغليهم القسوة عن النظر إلى شتون أبنائهم الخاصة . وصدق من قال في هذا الموقف الدقيق « كان أبو بكر نموذجاً مقابلاً لنموذج عمر في هذه الناحية من الخلاق والوسائل القلبية كما كان نموذجاً مقابلاً له في خلائل شتى ووسائل أخرى : إذ كان عمر ينعي على ولده أنه عجز عن فراق امرأته » (٢) .

#### • خدمته لشانى اثنين في الغار :

وقد كان عبد الله صاحب المهمة الرائعة التي كلفه بها أبوه الصديق حينما أعد الأمر لخروج النبي ﷺ إلى يثرب المدينة في ليالي الهجرة المباركة . وقد وقع اختيار أبي بكر على ابنه عبد الله لمعرفته بتلك السجايا والمواهب التي أودعها الله فيه حيث أبصر أبو بكر في ابنه « الفطنة والكياسة والاتزان والتعقل فأبلغه بما يقوم به وحرصه على التحكم والخفاء وذكره بالحديث « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » فكان عبد الله على بصيرة ووعي ومعرفة بما سيقوم به وما كلف أداؤه مع اخته أسماء وعامر بن فهيرة (٣) وكان ثلاثة خير عنون وسند لنجاح الخطة التي دبرت بإحكام وفق دراسة متأنية من أبي بكر . فلما مضى من صفر ثلاثة أيام سنة ثلاث عشر منبعثة خرج النبي ﷺ في يوم الاثنين ليلاً حتى أتى أبي بكر ومضيا حتى دخلا غار ثور - وهو جبل بأسفل مكة - وكانت هناك ترتيبات موفقة ، من ذلك :

(١) ابن حجر الإصابة ج ٢ ص ٢٨٣ . (٢) عبيرية الصديق ص ١٧٨ .

(٣) ابن الأثير أسد الغابة ج ٣ ص ٣٠٠ .

(١) خرج أمر إلى الدليل أن ينتظر النبي وصاحبه بعيداً عن الغار .

(٢) أمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس من نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر . كما كانت أسماء تأتيهما من الطعام إذا أمستها بما يصلحهما . وأخذ عامر بن فهيره بريغ غنميه عند الغار إذا أمسى فيشريان من لبنتها بعد أن تكون أسماء قد أتت بالطعام ثم إذا أصبح يتبع أثر عبد الله وأسماء بالغنم يعفى عليه . وكان عبد الله يأتي النبي وأباء بأخبار قريش إذ هما في الغار كل ليلة فيبيت عندها وهو شاب فيخرج من عند قريش في السحر فيصبح مع قومه فلا يسمع أمراً يُكادان به حتى يأتيهما بخبر ذلك إذا احتلظ الظلام <sup>(١)</sup> كانت هذه المهمة السامية التي قام بها عبد الله بن أبي بكر تحتاج إلى شجاعة وصبر وقوة جنان وهي من مفاخره حيث كان السر بحدوده وأعمقه ونتائجها كامنا في حنايا صدر ابن أبي بكر لا يبوح به لأحد قط فكان ذلك الشاب الموفق السديد قد استحضر قول القائل :

لا يكتسم السر إلا كل ذي ثقة      والسر عند خيار الناس مكتوم  
فالسر عندي في بيته غلق      ضاعت مفاتيحه والباب مختوم

وكان عبد الله يقوم بأمر بيت أبي بكر في غيابه أثناء مراحل الهجرة إلى المدينة فتولى رعاية زوجة أبيه أم رومان وأخته عائشة . يقول الطبرى إن ابن أريقط الدئلى - الذى كان دليل النبي ﷺ لما رجع بعد أن أوصل النبي وصحابه إلى المدينة جاء إلى مكة وأخبر عبد الله بن أبي بكر بوصول أبيه وأنه يطلبه . فخرج عبد الله بعيال أبي بكر وصحابهم فى انتقالهم إلى دار الهجرة طلحة بن عبيد الله حتى قدموا المدينة <sup>(٢)</sup> .

(١) ابن الأثير المرجع السابق ج ٣ ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٢) تاريخ الأمم والمملوك ج ١ ص ١١٧ .

وفاته : وقد شهد عبد الله مع النبي ﷺ حصار مدينة الطائف عام ثمانية من الهجرة (١) حيث احتسى في حصنها رجال ثقيف الأحياء خوفاً من متابعة القوات الإسلامية التي كانت تطاردتهم أني ذهبوا حتى قتل من قتل وأسر من أسر وفر من فر إلى تلك الحصن العالية ، وغلقت ثقيف أبواب تلك الحصن بعد أن تزودت بكل ما تستطيع من مؤنة وسلاح وأخذت أهيتها لحصار طويل (٢) وكان رجال ثقيف ذوي خبرة بقتال الحصون فأجمعوا أمرهم على الدفاع عن حصنهم بكل قواهم . وعندهما انتهى الرسول ﷺ إلى الطائف حاصراًهم بضعة عشرين ليلة وقاتلهم قتالاً شديداً وتراموا بالنبل واستند الحصار وقد أمطر الرماة من ثقيف المسلمين وابلأ من السهام فقتلت طائفة من المسلمين منهم عبد الله بن أبي بكر (٣) إذ رماه أبو محجن الثقفي بسهم في تلك الواقعة فأصابه فتوفي متاثراً بجراحه عام إحدى عشر من الهجرة / ٦٣٢ م (٤) . وقيل إن عبد الله قد حمل من أرض ثقيف بعد إصابته فدمل جرحه ثم انتقض فمات في خلافة أبيه في شوال من السنة الحادية عشر من الهجرة . وذكر الحاكم بستنه أن أبي بكر قال لعائشة : أتخافون أن تكونوا دفتم عبد الله بن أبي بكر وهو حي فاسترجعت (\* ) ، فقالت : أستعيذ بالله . ثم قدم وفد ثقيف فسألهم أبو بكر : هل فيكم من يعرف هذا السهم ؟ قال سعيد بن عبيد : أنا بريته ورثته وأنا رميته به . ومات عبد الله بعد رسول الله ﷺ بأربعين يوماً (٥) أما وصيته قبيل موته فقد أعلنتها عندما شعر بتاثير تلك الجراحة السارية قال لزوجته عاتكة بنت زيد بن عمر أخت سعيد بن زيد : لك حانطي (٦)

(١) المواقف سنة ٦٣٠ م .

(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣٨٢ .

(٣) ابن كثير السيرة ج ٤ ص ٥٠١ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ٥٩٧ .

(٥) ابن عبد البر الاستيعاب ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٦) الحانط هو البستان .

ولا تتزوجى بعدي ، فأجابته إلى ذلك . فلما انقضت عدتها خطبها عمر فعاتيه في ذلك على بن أبي طالب<sup>(١)</sup> وكان عبد الله قد ابْتَاعَ الْحَلَةَ التَّيْ أَرَادُوا دُفْنَ الرَّسُولَ ﷺ فِيهَا بِتَسْعَةِ دَنَانِيرٍ لِيَكْفُنَ بِهَا وَكَانَتْ بِرْدَةً حِبْرَهُ فَأَمْسَكَهَا عَبْدُ اللَّهِ لِيَكْفُنَهُ هُوَ فِيهَا : فَلَمَّا حَضَرَتِهِ الْوَفَاءَ قَالَ : لَا تَكْفُنُونِي فِيهَا فَلَوْ كَانَ فِيهَا خَيْرٌ لَكَفْنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَمَا كَنْتُ لِأَمْسِكَ شَيْئًا مِنْ عَنْ اللَّهِ رَسُولِهِ مِنْهُ . فَتَصَدَّقَ بِهَا<sup>(٢)</sup> وَقَدْ اسْتَشْهَدَ عَبْدُ اللَّهِ فِي أُولَى خِلَافَةِ أَبِيهِ - كَمَا يَقُولُ أَبْنُ الْأَثِيرِ « وَدُفِنَ بَعْدَ الظَّهَرِ وَصَلَى عَلَيْهِ أَبُوهُ وَنُزِلَ فِي قَبْرِهِ عَمْرُ وَطَلْحَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَأَخْوَهُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِيهِ بَكْرٍ . فَكَانَ رَحْمَهُ اللَّهُ مِنْ شَهِداءِ الطَّائِفِ ( قَالَ ) الْمَرْزِيزِيَّيْنِ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَصَابَهُ حِبْرٌ فِي حَصَارِ الطَّائِفِ فَمَاتَ شَهِيدًا<sup>(٣)</sup> وَهَذَا طَوْبَتْ صَفَحَةُ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْبَارِ الَّذِي نَالَ الْحُظْوَةَ الْإِلَهِيَّةَ فَسَقَطَ صَرِيعًا فِي سَاحَةِ مَعَارِكِ الْكَرَامَةِ . فَشَرَفَتْ صَفَحَاتُ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ تَضُمَّ اسْمَهُ فِي سُجَلَاتِ الإِعْزَازِ وَالْمَفَارِخِ الْخَالِدَةِ لِدُولَةِ إِسْلَامِ وَفِي غَضْوَنِ عَصْرِ النَّبِيِّ الْمَظْهُورِ الَّذِي لَا يَنْفَدِ أَرْبَجَهُ أَبْدًا .

#### (٥) والى الخليفة الرابع على مصر : محمد بن أبي بكر :

آخر أبناء أبي بكر الذكور ولده والذى نشأ صالحًا ذاكرًا طيب العشر حلو الحديث مؤثراً حياة العلماء وملازمتهم في بداية حياته في خلافتي أبي بكر وعمر فنال لقب « عايد قريش »<sup>(٤)</sup> ولم يدخل محمد في ضروب السياسة ودهاليز الإمارة إلا في عصرى عثمان وعلى وقد برع اسمه وتناقلت صفحات التاريخ تلك الأحداث الدموية التي كان محمد بن الخليفة الأول طرفاً فيها . وقد جلل السواد - وبالأسف - موقفه من أحداث الفتنة الكبرى التي راح ضحيتها الخليفة الثالث اللين الطيب عثمان بن عفان .

(١) ابن حجر / الإصابة ج ٢ ص ٢٨٤ . (٢) المراجع السابقة ص ٢٨٤ .

(٣) المسعودي / مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٨ . (٤) أسد الغابة ج ٣ ص ٢٠٠ .

**نشأته الأولى :** أمه السيدة أسماء بنت عميس والتي اشتهرت بجهودها المشكورة في الأعمال الاجتماعية البارزة والتي لها خبرة مميزة في بعض الأمور التي تحجم النساء في عصرها عن المساهمة فيها مثل مساعدة المرأة التي تعاني آلام المخاض أثناء ولادتها ، أو تجهيز أخرى في يوم عرسها ، فضلاً عن الشواب الأوفى المكتسب من قدرتها على الفهم الديني في تفسير النساء المتوفيات في هذا الدور الإنساني العظيم الذي لا ينكر لتلك المرأة التي تزوجها الصديق أبو بكر بعد أن ترملت عن زوجها الشهيد جعفر بن أبي طالب وهى التي بايعت النبي ﷺ على الإسلام وهو لم يزل في دار الأرقام بن أبي الأرقام بمكة . وقد سبق لها الهجرة مع زوجها الأول إلى الحبشة وضررت المثل الرائع على الصبر والتجلد بعد استشهاده في غزوة مؤتة <sup>(١)</sup> وبعد أن تزوجها الصديق أُنجبت له محمداً في حجة الوداع وقت الإحرام حيث ولد بين المدينة ومكة ونفست فيه بذى الخليفة فأمرها أبو بكر أن تغسل ثم تهل بالحج <sup>(٢)</sup> وقد اهتمت السيدة أسماء بابنها محمد بن أبي بكر وقد أثرته بالرعاية وكامل الإعزاز فعنى بسلوكياته وانصفت له كثيراً عندما تخدم العلاقات بينه وبين أخواته من أمه الذين كانوا يقولون له « أبونا أفضل من أبيك » فكانت تصدهم وتسترضيه <sup>(٣)</sup> وقد اكتسب محمد من أبي بكر ومنها المرعوة والنبل والقوة والكرم والعديد من الصفات الجليلة ثم تركاه مع خضم الأيام - خاصه بعد

(١) ياسين بن فضل الله العمري . الروضة الفيحا ، بتصرف من ١٨٢ - ١٨٥ .

(٢) ابن سعد / الطبقات ج ٥ ص ٢٨٢ .

(٣) المرجع السابق ج ٥ ص ٢٨٣ ، وقيل إنه بعد وفاة أبي بكر تزوجها على بن أبي طالب وبنآخر ابناها محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فقال كل منها أنا أكرم منك وأبى أكرم من أبيك فقال لها على : اقضى بينهما قالت ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفر ولا رأيت كهلاً خيراً من أبي بكر . فقال على : ما تركت لنا شيئاً ولو قلت غير هذا لفتك . الذهبي / سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ١٨٥ .

موت أبي بكر - جبله على غاريه . وقد تباهى محمد « أن النبي ﷺ قد حمله بين يديه وهو لم يزل صغيراً فكان يقول لأسامة بن زيد : « حملني رسول الله ﷺ بين يديه وحملك أنت ورائمه » ١١ .

## • مع أحداث الفتنة في عصر عثمان :

وعندما شب محمد بن أبي بكر عن الطوق ولاه عثمان بن عفان أمر مصر ثم خرج عليه عندما أقتنع بعض الانتهازيين بما تراءى لهم من تجاوز الخليفة في بعض الأحكام والاجتهادات الإسلامية مخالفًا بذلك ما كانت عليه مناهج العصرتين السابقتين في أيام أبي بكر وعمر . وظهرت تلك المثالب على عثمان في موقعة ذات الصواري سنة ٣١ هـ وكان أول ما تكلم به محمد بن أبي بكر منضماً إلى ربيب عثمان محمد بن حذافة الذي أظهر الحقد على الخليفة الذي لم يعينه في منصب الإمارة فتغير عليه ١٢ وجعل ابن أبي بكر وابن حذافة يقولان « استعمل عبد الله بن سعد رجلاً كان رسول الله ﷺ قد أباح دمه ونزل القرآن بكتره ونزع أصحاب رسول الله ﷺ واستعمل سعيد بن العاص وابن عامر ، فيبلغ ذلك عبد الله بن سعد بن أبي سرح فقال « لا تركبنا معنا » فركبها في مركب ما فيه أحد من المسلمين ولقوا العدو وكانا أنكل المسلمين قتالاً . فقيل لهما في ذلك ؟ فقالا : كيف نقاتل مع عبد الله بن سعد ؟ استعمله عثمان ، وعثمان فعل كذا وكذا ؟ ! فأرسل إليهما عبد الله ينهاهما أشد النهي وقال : والله إنني لو أدرى ما يوافق أمير المؤمنين لعاقبتكم وحسبتكم ١٣ . وقيل في سبب بغض محمد بن أبي بكر وهو الأثير عند عثمان تجاه الفتنة الضالة في إحتفاظه وخروجه على سلطان عثمان وتواته الأنباء على تأليب ابن أبي بكر العامة في مصر ضد

(١) الروضة النبوية، ص ٣٨٦ .  
(٢) تهذيب ابن عساكر ج ٧ ص ٤٣٣ .

(٣) الطبرى / ج ٣ ص ٣٤١ - ٣٤٢ .

الخليفة فألزمه حق وأخذ ابن أبي بكر من ظهره ولم يدهن فعزله وعين بدلاً منه عبد الله بن سعد . فقامت في نفس محمد بن أبي بكر عوامل الغائلة والتنمية على عثمان فاجتمع مع محمد بن أبي حذيفة الذي ألفت بينهما الكراهة للخليفة عثمان فأظهرا العيوب والعيورات<sup>(١)</sup> وعندما رجع ابن أبي السرح من حرب الروم ثار ابن أبي حذيفة بن عتبة وسرب المهزين إلى عثمان فحضره<sup>(٢)</sup> متنهزاً فرصة استدعاء عبد الله إلى المدينة لمواجهته عثمان . وعندما ثارت الفتنة الكبرى واتسعت الخرق على الراتق وعاد بعض الولاة الذين عينهم الخليفة عثمان على الأقاليم وكثرت المظالم واجتمعت كلمة التوار على الخروج إلى المدينة في غيبة عمالها ولكن ذلك لم يتهدأ لهم فأظهروا نيتهم في الحج . فانسل جم من مصر والكوفة والبصرة بين المستمائة والألف رجل جمعهم هدف واحد هو الإصلاح ولا بدile عندهم عن عزل هؤلاء الولاة الذين عينهم عثمان على أقاليمهم وإلا فعزله هو ومن تبعه . وتوافدوا خارج المدينة ودار الحديث بينهم فيمن يخلف عثمان من الصحابة ؟ فاختلفوا : فكان هو أهل البصرة في طلحه بن عبد الله ، وما أهل مصر وعلى رأسهم محمد بن أبي بكر في علي بن أبي طالب الذي حدبه عليه بعد أن تزوج أمه أسماء بعد وفاة أبيه<sup>(٣)</sup> ولما علم عثمان بأمر تلك الجماعات التي دخلت المدينة ومطالبها خطبهم في انتصاف وأظهر لهم التزوع إلى ما يشتهون والرجوع . فارتاح الناس وهم إلى الرجوع لأصحابهم ، ولكن مروان بن الحكم دس كتاباً على لسان عثمان وبخاته إلى والي مصر يأمره بالقبض على هؤلاء النفر وحبسهم ثم قتلهم بعد ذلك ولاحظ أهل مصر ومعهم ابن أبي بكر بهجين سريع فلحقوا به فوجدوا

(١) ابن الأثير الكامل ج ٢ ص ٦٩ .

(٢) ابن عساكر ج ٧ ص ٤٣٣ .

(٣) الطبرى ج ٥ ص ٥٥٨ .

وانصرف بريد العراق في الوقت الذي دارت فيه مراسلات بين معاوية ومسلمة بن مخلد ومعاوية بن خديج الكندي الذين نزلوا أرض مصر بعد أن خالفوا علياً وغضباً لله وطالباً بدم عثمان . فنفع والي الشام معاويه في ضمهم إلى صفوفه بعد أن استمالهما بأمور دينية واعتبارات دنيوية ذكرها لهما <sup>(١)</sup> وسار عمرو بن العاص إلى مصر « مطعمه الثمين » في ستة آلاف نفر حتى نزل أدانى أرض مصر فاجتمعت إليه العثمانية وكان ابن خديج على الخارج فأحاطوا بأصحاب محمد بن أبي بكر بالفساطط <sup>(٢)</sup> فبعث عمرو إلى والي مصر ابن أبي بكر بكتاب قال فيه « أما بعد ففتح عنى يدمك يا ابن أبي بكر فإني لا أحب أن يصيبك مني ظفر ، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك ورفض أمرك . وندموا على اتباعك فهم مسلموك لو قد التقت حلقتنا البطن فاخذ منها يا ابن أبي بكر فاني لك من الناصحين » <sup>(٣)</sup> وقد تزامن وصول تلك الرسالة إلى والي مصر محمد بن أبي بكر مع ما بعثه معاوية من كتاب من الشام ضمنه اتهاماته إياه في حق عثمان . وما قاله « أما بعد فإن غب البغي والظلم عظيم الويل وإن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النعمة في الدنيا ومن التبعه الموبقة في الآخره . وإننا لا نعلم أحداً كان أعظم على عثمان بغياناً ولا أسوأ له عيباً ولا أشد خلافاً منك : سعيت إليه في الساعين . ثم انتظن إني عنك نائم حتى تأتى فتأمر على بلاد أنت فيها جاري وجل أهلها أنصارى يرقيون قولى ويستصرخون عليك . وقد بعثت إليك قوماً حنقاً سيستقون دمك ويتقربون إلى الله بجهادك وقد أعطوا الله عهداً ليمثلن بك » <sup>(٤)</sup> .

(١) ابن الأثير الكامل ج ٣ ص ٥٦٠ . (٢) المرجع السابق ص ١٤٣ .

(٣) الطبرى ج ٥ ص ٥٦٠ . (٤) المسعودى مروج الذهب ج ٢ ص ٧٨ .

ولما تباعثت الرسائل على دار الامارة بمصر أسرع محمد بن أبي بكر بإرسال تلك الرسالة إلى الامام على بالكوفة ويطلب منه الإسراع بأن يمده بجند الخلافة ليواجه بهم قوات عمرو الراحد نحو الفسطاط من أرض الشام<sup>(١)</sup>.

### • مقتل محمد بن أبي بكر :

ولما استطاعت محمد المدد أعد قوة مصرية قوامها ألفين من الرجال يتقدمهم كنانة بن بشر « وخرج بهم ابن أبي بكر لصد جيش الشام واقتتلوا قتالاً شديداً في مكان يسمى « المسناه »<sup>(٢)</sup> وقدم ابن بشر من ضروب الإقدام والدفاع حتى ظفرت به جند عمرو بعد قتال عنيف<sup>(٣)</sup> وعنده ذلك تفرق أصحاب محمد عنه وخلفوه وحده واضطرب إلى الفرار بعد أن انهزم أهل مصر ، ودخل عمرو الفسطاط يبحث له عن مكان يأوي إليه حتى انتهى ابن أبي بكر إلى خربة واستتر بها وذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٨ هـ<sup>(٤)</sup> وخرج ابن خديج في طلب محمد حتى عشر عليه بعد أن دلت عليه امرأة قبطية وقبض عليه ابن خديج وجاء به إلى عمرو بن العاص بعد أن أخرجه وقد كان محمد أن يموت من العطش<sup>(٥)</sup> وقام عبد الرحمن ابن أبي بكر وقال أنتلون أخي ؟ كما طلب منهم أن يبقوا عليه إلا ان العثمانيه رفضوا طلبه جزاء بما فعل بعثمان من قبل . وقال محمد لابن خديج السكوني « احفظوني في أبي بكر » إلا أن معاوية المذكور قال « قتلت ثمانين في دم الشهيد عثمان وأتركك وأنت صاحبه ! » فقتله ودسه في بطن حمار ميت وأحرقه<sup>(٦)</sup>

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٩ .

(٢) بريف مصر .

(٣) الكندي مرجع سابق ص ٢٩ .

(٤) الذهب . أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٨٢ . (٥) المرجع السابق ص ٤٨٣ .

(٦) ابن تغري بردي / النجوم الزاهرة ج ١ ص ١١١ .

وقيل إنه أتى بمحمد أسيراً إلى عمرو بن العاص بالفسطاط فقتله به ، يعني بعثمان<sup>(١)</sup> ، فلما رأته نائلة امرأة عثمان تهلكت وقالت « أدركت ثارى من ابن الخطعمية » تعنى محمد بن أبي بكر<sup>(٢)</sup> ثم قطع رأسه وأرسله إلى معاوية ابن أبي سفيان بدمشق وطيف به وهو أول راس طيف به فى الاسلام<sup>(٣)</sup>. أما الكتدى فيورد لنا روایة مؤداها ان محمد بن أبي بكر قتل ولم يحرق ودفنت جثته مع رأسه فى مسجد يعرف بمسجد « زمام » خارج مدینته الفسطاط . قال ابن سعيد : وقد زرت قبره فى الفسطاط<sup>(٤)</sup> . ولما علمت أم المؤمنين عائشه بتلك الأخبار التى انتهت بقتل أخيها محمد على يد عسكر معاويه وعمرو قنطرت عليهما دير كل صلاة وضمت عيال محمد إليها حيث كان له ولدان صغيران فتكلفت برعايتهم حتى كبر ابنه القاسم وشب وأصبح من فقهاء المدينة فى عصره<sup>(٥)</sup> .

أما على فلم يوفق لإخراج الجنود لإغاثة محمد بن أبي بكر إلا بعد شدة وقد انتدب له الفان ولم يسيراها قليلا حتى جاء الخبر بقتل واليه محمد ووقوع مصر فى يد معاوية فارسل إلى القوم من ردّهم من الطريق وحزن على ربيبه ابن أبي بكر حزنا كبيرا ولم يجد عليها ما صاغ من الخطب وصنف من القول فى الاستنهاض فأعلمن أغاثة محمد<sup>(٦)</sup> رحمة الله ابن أبي بكر الأصغر الذى رمى بنفسه وروحه إلى أبعد مدى فى تيارات السياسة التى لم يكن ملما بأغوارها غير مطلع على خبايا نتائج الطموحات المتباعدة التى تردى إلى المهالك . ودفع محمد الشمن حياته وهى أغلى ما يمكن أن يقدمه إنسان لا يدرك - من وراء اغتراره بالعيش والأمانى - إلا موضع قدمه .

(١) أعلام النبلاء جد ٣ ص ٤٨٣ .

(٢) الولاة والقضاة ص ٣٠ .

(٣) التجوم الزاهرة جد ١ ص ١١١ .

(٤) ابن طفر / أبناء عبياء الأبناء ص ٢٥٨ .

(٥) النجاشي . الخلقاء الراشدون ص ٤٥١ .

## (٦) ابنة الصديق التي لم يرها . أم كلثوم :

شاعت الأقدار أن لا يرى أبو بكر الصديق تلك البعثة الطيبة من نسله والتي ولدتها أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير سنة ١٣ هـ بعد وفاته . وكان رحمة الله قد تزوجها في الإسلام بالمدينة من قومها من بنى الحارث من جماعة الخزرج أنصار الرسول ﷺ وهي آخر نسائه بعد قتيلة وأم رومان وأسماء بنت عميس رضي الله عنهم جميعاً<sup>(١)</sup> .

وقد أوصى الخليفة أبو بكر أم كلثوم خيراً وهي لم تزل جنيناً في بطن أمها - عند أخواتها الثلاثة عبد الرحمن وعائشة وأسماء ، وخص أم المؤمنين عائشة بتنفيذ وصية خاصة بها أقطعها من أرض بالعالية من أموال بنى النضير وكان فيها بئر حجر كان النبي ﷺ قد أعطاها لأبي بكر . فأصلاح أبو بكر تلك الأرض وغرس فيه ودياً ثم نحلها لعائشة . وعندما قرب الأجل طلب منها أن تردها على أخواتها حتى تكون داخلة في قسمة الميراث<sup>(٢)</sup> بل وجعل لأم كلثوم نصيبها مفروضاً فيها يعطى لها بعد ولادتها . أخرج مالك عن عائشة « أن أبي بكر نحلها جدار عشرين وستة من ماله بالعالية » . فلما حضرته الوفاة قال « يا بنية والله ما من الناس أحد أحب إلىْ غنى منك ولا أعز علىْ نفراً بعدي منك ، وإنى كنت نحتلك جدار عشرين وستة فلو كنت جدتك واحترزت به كان لك . وإنما هذا اليوم مال وارث وإنما هو أخواك وأختاك فاقسموه على كتاب الله » فقالت « يا أبا والله لو كان كذا وكذا لتركته إنما هي أسماء فمن الأخرى ؟ » قال « ذو بطن ابنة خارجة<sup>(٣)</sup> فقد ألقى في رواعي أنها جارية ، فاستوصى بها خيراً »<sup>(٤)</sup> .

(١) الطبرى / مرجع سابق ج ٣ ص ٤٤٤ . (٢) طبقات ابن سعد / ج ٣ ص ١٩٥ .

(٣) يريد ما في بطن امرأته ابنة خارجة قولهت أم كلثوم المترجم لها .

(٤) ابن سعد / طبقات ج ٣ ص ١٩٦ .

وقد سميـت ابنة أبي بكر الصغرى بأم كلثوم تيمناً بهذا الاسم الكـريم  
الغالـى «أم كلثوم» ابنة المصطفى الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتى توفيت فى حـيـاة أبيها  
سنة ٩ هـ وكانت عند عثمان ذى التورين بالمـدـيـنـة.

علمـها : وقد كانت السيدة عائشـة أم المؤمنـين تـوالـى أختـها الصـغـرى  
أم كلـثـوم بالـرـعاـية المـسـتوـجـبة وـتـقـدـمـ لها أـعـظـمـ المـواـسـاـةـ والـبـرـ وـحـسـنـ التـلـطـفـ  
وـالتـشـيـفـ المـلـاتـ لـمـواـهـبـهـاـ التـىـ أـودـعـهـاـ الـخـالـقـ فـىـ مـكـنـونـ نـفـسـهـاـ «ـفـبـرـزـتـ

أم كلـثـومـ بـنـتـ أـبـىـ بـكـرـ فـىـ دـقـائقـ الـفـقـهـ وـرـوـاـيـةـ الـحـدـيـثـ حـتـىـ تـفـوقـ فـىـ

تـبـيـعـ الـرـوـاـيـاتـ وـقـدـ مـكـنـتـهـاـ قـوـةـ الـحـافـظـةـ مـنـ أـنـ تـبـزـ كـلـ مـنـ كـانـ فـىـ سـنـهـاـ

وـكـانـتـ مـأـمـونـةـ ثـقـةـ حـجـةـ فـىـ عـلـمـهـاـ تـحـلـتـ بـحـلـةـ التـقـوـىـ كـمـ اـتـصـفـتـ بـكـرـيمـ

الـصـفـاتـ وـجـمـيلـ الشـمـائـلـ (١) فـقـدـ رـوـتـ أـمـ كـلـثـومـ الـعـدـيدـ مـنـ الـأـحـادـيـثـ

الـصـحـيـحةـ وـالـتـىـ حـفـظـتـهـاـ وـنـقـلـتـهـاـ عـنـ أـخـتـهـاـ وـمـعـلـمـتـهـاـ أـمـ المؤـمـنـينـ عـائـشـةـ

«ـكـمـ روـىـ عـنـهـاـ اـبـنـهـاـ اـبـراهـيمـ بـنـ عـبـدـ الرـحـمـنـ اـبـنـ عـبـدـ اللهـ بـنـ أـبـىـ رـيـبعـهـ

وـجـابـرـ بـنـ عـبـدـ اللهـ الـاـنـصـارـىـ وـطـلـحـةـ بـنـ يـحـيـىـ بـنـ طـلـحـةـ وـالـمـغـيـرـةـ بـنـ حـكـيمـ

الـصـنـعـانـىـ وـلـوـطـ بـنـ يـحـيـىـ وـجـبـيرـ بـنـ حـبـيبـ وـعـبـدـ اللهـ بـنـ عـبـيدـ بـنـ عـمـيرـ

وـرـوـىـ لـهـاـ مـسـلـمـ وـالـترـمـذـىـ فـىـ صـحـيـحـيـهـماـ (٢) وـكـانـتـ أـمـ كـلـثـومـ تـأـتـتـسـ فـىـ

مـجـالـسـةـ فـقـيـهـاتـ عـصـرـ الـاسـلـامـ الـزـاهـرـ - سـوىـ عـائـشـةـ - مـنـ لـهـنـ شـهـرـةـ فـىـ

الـعـلـمـ وـتـفـرـدـ فـىـ سـجـاجـيـاـ الـعـقـلـ وـالـفـطـنـةـ وـالـرـأـىـ وـالـتـجـرـيـةـ وـالـحـكـمـةـ فـىـ

مـقـدـمـتـهـنـ أـسـمـاءـ بـنـتـ أـبـىـ بـكـرـ وـأـمـ سـلـمـةـ وـحـفـصـةـ بـنـتـ عـمـرـ وـفـاطـمـهـ بـنـتـ

قـيسـ وـأـمـ سـلـيمـ وـأـمـ عـطـيـهـ وـأـمـ شـرـيكـ (٣) وـغـيـرـهـنـ مـنـ قـامـتـ الـحـجـةـ بـتـعـلـمـهـنـ

وـثـبـتـ مـوـفـورـ عـلـمـهـنـ .

(١) ابن الـرـيـبعـ الشـيـبـانـىـ / تـبـيـسـ الـوصـولـ صـ ٣١٧ـ .

(٢) ابن حـجـرـ / تـهـذـيـبـ التـهـذـيـبـ جـ ٧ـ صـ ١٨٥ـ .

(٣) الشـيـبـانـىـ / المـرـجـعـ السـابـقـ صـ ٣١٧ـ .

## • حياتها :

وما ينقل واشتهر أمره أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أراد خطبه أم كلثوم بنت أبي بكر إلا إن تلك الزيجة لم تتم لأن السيدة عائشة تراءى لها أن شده عمر وميله إلى التبسيط في المعيش ما لا يقنع بنتا صفيرة في مقبل آمال الحياة مثل أم كلثوم . فعدل الفاروق عن خطبته لابنة أبي بكر الصغرى . وتفصيل ذلك ما نقله ابن حجر في موسوعته الإصابة « وذلك أن رجلا من قريش قال لعمر بن الخطاب : ألا تتزوج أم كلثوم بنت أبي بكر فتحفظه بعد وفاته وتخلقه في أهله ؟ قال عمر : بلى إني لأحب ذاك فاذهب إلى عائشة فاذكر لها ذلك وعد إلى بجوابها . فمضى الرسول إلى عائشة فأخبرها بما قال عمر فأجابته إلى ذلك وقالت له حبا وكرامة . ودخل عليها بعقب ذلك المغيره بن شعبه <sup>(١)</sup> فرأها مهومه فقال لها : مالك يا أم المؤمنين ؟ فأخبرته برسالة عمر وقالت : إن هذه جاريه حدثة وأردت لها ألين عيشا من عمر . فقال لها المغيره : على أن أكفيك » وخرج من عندها فدخل على عمر فقال : بالرفا والبنين قد بلغنى ما أتيته من صلة أبي بكر في أهله وخطبتك أم كلثوم . فقال عمر : قد كان ذاك . فبادره المغيره قائلا « إلا أنك يا أمير المؤمنين رجل شديد الخلق على أهلك وهذه صبية حديثة السن فلا تزال تنكر عليها الشئ فتضربها فتصبح فيعمك ذلك فتألم له عائشة ويذكرون أبي بكر فيبيكون عليه فتجدد لهم المصيبة مع قرب عهدها في كل يوم . فقال له عمر : متى كنت عند عائشة واصدقني ؟ فقال : آنفا . فقال عمر اشهد أنهم كرهوني فتضمنت لهم أن تصرفني عما طلبت وقد أغرتهم <sup>(٢)</sup>

(١) المغيره أحد دهاء العرب المعدودين .

(٢) وفي رواية ينقلها ابن الأثير عن طريق آخر أن عمر خطب أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق إلى عائشة . فقالت أم كلثوم ، لاحاجة لي فيه : إنه خشن العيش شديد على النساء . فأرسلت =

فعاد المغيرة إلى عائشة فأخبرها بالخبر وأمسك عمر عن معاودة خطبة أم كلثوم<sup>(١)</sup>.

ويرزت السيدة أم كلثوم التي كانت من فضليات عصرها في العديد من الالسهامات الاجتماعية . فضلا عن الأدلة ، بالأراء الاجتهادية الموثوقة بصحتها وذلك في مدینه رسول الله ﷺ « فكان بيته مقصد النساء من عصر التابعين من وجدن غايتها في الانتصارات لعلمها وفقها وفتاویها فتمتنع بفيوض زادها العلمي ومنحتهن ببرحیق روضها الرائق في مقدمتهن حبیبة بنت ميسرة وهند الفراسية والرباب وفاطمة بنت المنذر وغيرهن من الرضيات الموقنات<sup>(٢)</sup> وقد عاشت أم كلثوم بنت أبي بكر موفورة الكرامة دينة مقدرة لدى الخلفاء في الاعصر المتتابعة ل أيام عمر وعثمان وعلى وما تلى ذلك من متابعة أحداث بنى أمية في الحجاز . « كانت أم كلثوم بارة بأهلها خاصة أحفاد أبي بكر مظهرة لهم جميعاً كريم نجدها ومرءاتها وصدق مواساتها وإشفاها على من تدهم الأيام بعواديها<sup>(٣)</sup> .

---

= عائشة إلى عمرو بن العاص وشكّت له . فقال أنا أكفيك هذا الأمر فأتأتي عمر فقال : بلغنى خبراً أعينك الله منه . قال : ما هو ؟ قال أخطبتك أم كلثوم بنت أبي بكر ؟ قال نعم أفرغبت بي عنها . أم رغبت بها عنى ؟ قال ولا واحدة . ولكنها حدثة نشأت في كتف خليفة رسول الله في لين ورفق وفيك غلظة ونحن نهايك وما تقدر أن ترده عن خلق من أخلاقك فكيف بها إن خالتك في شئ فسطرتك بها ؟ قد خالفت أبي بكر في ولده بغير ما يحق عليه . قال عمر : فكيف بعائشة وقد كلّمتها ؟ قال عمرو بعد أن أحكم أمره : أنا لك بها . فتراجع عمر وأمسك عن مخاطبة عائشة في شأن أم كلثوم . الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(١) الإصابة ج ٤ ص ٣١٧ .

(٢) ابن قتيبة / المعارف ج ٢ ص ١٥٠ .

(٣) راجع تيسير الوصول ص ٣١٨ .

• وفاتها :

وطلت أم كلثوم فاضلة زمانها ، تصل رحمها برياط مودتها مسدية النصح منشغلة بشئونهم إلى أن لقيت ربهما - راضية مرضية - في الثامن عشر من شهر رجب الفرد من العام التاسع والتسعين من الهجرة أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز فدفنت بالبيع بعد أن صلى عليها والى المدينة عدي بن أبي أرطاة <sup>(١)</sup> وقد اهتمت أم كلثوم في حياتها بالصالحات من الاعمال التي أهلتها بحق للخلود في أعلى الجنان والنور من الرحمن فرضي الله عنها ورحمها وأمدتها بجزيل الأجر جراء ما قدمت في دنيا الناس .

\* \* \*

( تم بحمد الله )

---

(١) ابن حجر / تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٨٥ .

## المصادر

- ١ - ابن الأثير (٦٣٠/١٢٣٨) على بن أحمد بن أبي الكرم . الكامل في التاريخ - ١٢ جزءاً ط بولاق ١٢٧٤ هـ .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة . ط طهران ١٣٧٧ هـ .
- تجزید أسماء الصحابة . ط دار المعارف الناظمية حیدرآباد الهند ١٣١٥ هـ .
- ٢ - ابن أثيم الكوفي (٧٨١/١٣٤٥) محمد بن أحمد بن أثيم الفتوح . ط دار النهضة العربية القاهرة سنة ١٩٦٩ م .
- ٢ - البلاذري (٨٩٢/٢٧٩) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان . ط السعادة مصر ١٩٥٩ م .
- ٤ - البخاري (٢٥٦ هـ) محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي الصحيح ط صحيح القاهرة ١٩٥٩ م ، التاریخ الكبير ط حیدرآباد ١٣٢٥ هـ .
- ٥ - ابن حجر . شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن علي الكناني العسقلاني الإصابة في تبيين الصحابة . ط السعادة ١٣٢٣ هـ . فتح الباري في شرح صحيح البخاري ط بولاق القاهرة ١٣١١ هـ ، تهذيب التهذيب ط حیدرآباد الدکن ١٣٥٥ هـ .
- ٦ - ابن حزم (١٤٥٦/١٤٦١) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الأندلسي بجواجم السيرة ، ط المعارف مصر ١٩٥٩ م ، أصحاب الفتية من الصحابة على مراتبهم ملحق بجواجم السيرة ، أسماء الصحابة الرواة ط المعارف مصر ملحق بجواجم السيرة ، جمهرة أنساب العرب ط دار المعارف مصر ١٩٤٨ م .
- ٧ - ابن الحنبل (١٦٨٧/١٠٨٩) عبد الحن بن محمد الحنبل . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ط القاهرة ١٣٥٠ هـ .
- ٨ - ابن الجوزي (٥٩٧/١٢٠) عبد الرحمن بن علي . أحكام النساء ط القاهرة ١٩٣٤ م .
- ٩ - جعفر الطبرى (٧٨٧ هـ) جعفر بن أحمد الشهير بالمحب الطبرى الرياض النضرة فى مناقب العشرة ط دار التأليف مصر ١٣٧٣ .
- ١٠ - ابن أبي الحديد (٤٤/٣١٣) الشريف الرضى محمد بن أحمد الحسنى نوح البلاحة ٤ مجلدات . ط القاهرة ١٣٢٩ هـ .
- ١١ - ابن خلدون (٨٠/١٤٥) عبد الرحمن بن محمد « المقدمة » ط بولاق مصر ١٢٨٤ هـ .

- ١٢ - ابن خلkan (٦٨١/١٢٧١) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم الشافعى وقيات الأعيان ط السعادة مصر ١٣٦٧ هـ .
- ١٣ - المزرجى . أحمد بن عبد الله المزرجى خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال ط الميرية مصر ١٣٢٢ هـ .
- ١٤ - الديبار بكرى . حسين بن محمد بن الحسن الديبار بكرى تاريخ الخميس ط عثمان عبد الرزاق مصر ١٣٠٢ هـ .
- ١٥ - البينرى (٢٨٢/١٩٥) حمد بن داودة أبو حنيفة . الأخبار الطوال ط لندن ١٨٨٨ م .
- ١٦ - ابن دحلان السيد أحمد بن زيني دحلان . الفتوحات الإسلامية ط مصطفى محمد مصر ١٣٥٦ هـ .
- ١٧ - النجاشى (٧٤٨/١٢٤٨) محمد بن أحمد شمس الدين . تاريخ الإسلام ط القاهرة ١٣٦٧ هـ . سير أعلام النبلاء دار المعارف مصر ١٩٦٢ م ، العبر فى أخبار من غير ط حكمة الكربلا ، تذكرة المفاظ ط القدس سنة ١٩٣٨ م جزمان .
- ١٨ - الزبيجاني أبي عبد الله محمد الزبيجاني تاريخ القرآن ط إحياء الكتب العربية مصر .
- ١٩ - الأزدى أبي إساعيل محمد بن عبد الله الأزدى البصري فتوح الشام ط دار العهد الجديد ١٣٧٣ هـ .
- ٢٠ - السجستاني . داود بن سليمان بن الأشعث كتاب المصاحف ط الرحمنية مصر ١٣٥٥ هـ .
- ٢١ - ابن سعد (٢٢٠/٨٤٥) محمد بن سعد ضبيح الزهرى الطبقات الكبرى دار صادر بيروت ١٩٨٧ م .
- ٢٢ - السيوطي (١١٠٥/٩١١) عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الدين تاريخ الخلفاء . أمراء ملوكهم ط الميرية مصر ١٣٥١ هـ .
- ٢٣ - الشيبانى . ابن الدبيع عبد الرحمن . تيسير الوصول إلى جامع الأصول ط السلطانية مصر ١٣٤٦ هـ .
- ٢٤ - الشافعى . على الحلبي الشافعى . السيرة الحلبية ط مصطفى محمد مصر ١٣٨٤ هـ .
- ٢٥ - الطبرى (٣١٠/٩٢٢) أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الأمم والملوک - الاستقامة مصر ١٩٨٤ م . خليل المذيل ط المسئنة على هامش التاريخ ١٣١٥ هـ .
- ٢٦ - طليقور (٢٨٠/٨٩٣) أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر يلائمات النساء ط للعلم للملائين ١٩٨٩ م .

- ٢٧ - العصامي : عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي سبط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل ط القاهرة ١٣٧٩ هـ .
- ٢٨ - ابن عساكر (١١٧٦/٥٧١) على بن الحسن تهذيب التاريخ الكبير ط العربية دمشق ١٣٣٠ هـ .
- ٢٩ - ابن عبد البر . أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ط نهضة مصر .
- ٣٠ - ابن قتيبة (٨٨٩/٢٧٦) محمد عبد الله بن مسلم الإمامة والسياسة ط القاهرة ١٣٢٥ الملبى ، المعارف ط . القاهرة دار الكتب ١٩٦٠ م .
- ٣١ - ابن القيم الجوزي ( شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر زاد المعاد فى خير هذه خير العياد ط الحلبي ١٣٦٩ هـ . روضة المعين . ذات التحرير مصر ١٣٠٥ هـ .
- ٣٢ - القلقشندي (١٤١٨/٨٢١) أبو العباس أحمد عبد الله نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ط الشركة العربية للطباعة .
- ٣٣ - الكندي (٩٦١/٣٥٠) أبو عمر محمد بن يوسف كتاب الولاية والقضاء ط الآباء اليسوعيين بيروت ١٣٥٧ هـ .
- ٣٤ - الإمام مسلم ( مسلم بن الحجاج النسابوري (ت ٢١١ هـ ) صحيح مسلم ط حجازى مصر ١٣١٣ هـ .
- ٣٥ - المسعودي (٩٥٦/٣٤٦) أبو الحسن على مروج الذهب ومعادن الجوهر ط ذات التحرير مصر ١٣٠٣ هـ .
- ٣٦ - أبي المحاسن (١٤٦٩/٨٧٤) جمال الدين يوسف بن تفرى بردى الترجم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة ط ١٩٣٠ دار الكتب المصرية .
- ٣٧ - المقريزى (١٤٤١/٨٤٥) ثقى الدين أحمد بن على - إمداد الأسماء ط الحسينية مصر ١٣٢٥ هـ .
- ٣٨ - أبي الفدا . ابن كثير عماد الدين إسماعيل بن عمر الدمشقى البداية والنهاية ط السعادة القاهرة ١٣٢٥ ، السيرة النبوية ط المتنورة مصر ١٩١٩ م .
- ٣٩ - ابن طقر تاريخ أنباء عمبا ، الأنباء ط الآباء اليسوعيين بيروت ١٣٥٩ هـ .
- ٤٠ - الإمام النووي محب الدين بن شرف الدين ، شرح صحيح مسلم ط الكستليه مصر ١٣٨٣ هـ ، تهذيب الأسماء واللغات ط المتنورة القاهرة ١٩٠٨ م ، رياض الصالحين ط الحلبي ١٣٧٥ هـ .
- ٤١ - ابن هشام . أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المصرى السيرة النبوية ط حجازى

١٣٥٦ هـ .

- ٤٢ - الهرشى . محمد إبراهيم الشهير بصاحب المأمون مختصر سياسة الحروب مطبعة مصر القاهرة ١٩٦٤ م .
- ٤٣ - الراقدى . (٨٦٩/٢٥٦) محمد بن عمر فتوح الشام دار العهد الجديد مصر ١٣٧٣ هـ .
- ٤٤ - اليعقوبى (٨٩٧/٢٨٤) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب تاريخ اليعقوبى ط الغرى النجف ١٣٥٨ هـ .
- ٤٥ - ياقوت . شهاب الدين أبو عبد الله الحموى معجم البلدان ط بيروت ١٩١٠ م .
- ٤٦ - ياسين ابن فضل الله العمرى الشامي الرياض الفيحاىاء فى أخبار النساء ط المنار ودار صادر ١٣٧٦ هـ .

\* \* \*

## المراجع

- ١ - أحمد فريد الرفاعي . الشخصيات البارزة التاريخية ط المعرفة ١٣٥٢ هـ .
- ٢ - أمين الحولي / الجندية واقع ومثال ط دار المعرفة مصر ١٩٦٠ م .
- ٣ - أبو الأعلى المودودي / نظرية الإسلام وهدفه في السياسة والمستور ط الهاشمية ١٣٧١ هـ ، تفسير سورة النور ط دار الفكر دمشق ١٣٧٩ هـ ، مبادئ الإسلام المطبعة الهاشمية دمشق ١٣٧٢ هـ .
- ٤ - الألوسي . أبو الثناء شهاب الدين الألوسي . سفرة الزاد لشفرة الجهد ط دار السلام ١٣٣٣ هـ .
- ٥ - جمال الدين عياد «نظم العرب في الإسلام » ط القاهرة ١٤٠٤ هـ .
- ٦ - جوشناف جرونبياوم / حضارة الإسلام القاهرة مطبعة مصر ١٩٥٦ م .
- ٧ - حسين إبراهيم حسن / زعماء الإسلام ط التموزجية القاهرة ١٩٥٣ م .
- ٨ - الحضرى « محمد يك » إقام الرفقا بأخبار الخلفاء . ط البانى الملحق ١٣٧٩ هـ .
- ٩ - هنية الدين الرس / النظريات السياسية الإسلامية . ط بلة البيان مصر ١٩٥٢ م .
- ١٠ - هباين محمد العقاد « عقيدة الصالحين » دار المعرفة مصر ١٩٤٣ م .
- ١١ - عبد العفال الصعيلى « شباب قريش في بدء الإسلام » القاهرة الم大街ى ١٩٥٢ م .
- ١٢ - عبد الوهاب للتجار « الخلفاء الراشدون » ط العلم دمشق ١٣٨٣ هـ .
- ١٣ - طه حسين « الشيخان » . ط دار المعرفة مصر ١٩٤٣ م .
- ١٤ - محمد عبد الجواد الشوهي « المتنى بن حارثة الشيباني » ط الاعتماد مصر ١٩٦٩ م .
- ١٥ - محمد مصطفى زيادة . الدولة الإسلامية تاريخها وفنونها . ط المصري تحت المراقبة القاهرة ١٩٥٤ م .
- ١٦ - لمبارك « الحسين بن المبارك » التجريد الصحيح لأحاديث الجامع الصحيح ط الملحق ١٣٧٤ هـ .
- ١٧ - محمد فرج « المسلم والمغرب في الإسلام » ط دار الشعب مصر ١٩٥٥ م .
- ١٨ - محمد ناصر « بنيواج الحكم في الإسلام » ط دار العلم للملايين بيروت ١٩٩٠ م .
- ١٩ - محمد عقلجورت ( الإسلام ) ( الإسلام مقيدة وشديدة . ط الأزهر مصر ١٣٧٤ هـ .. من توجيهات الإمام ) ط دار التعليم القاهرة ١٣٨٥ هـ .

- ٢٠ - المتقى . على بن علاء الدين المتقى « كنز العمال » ط دار العلم بيروت ١٩٥٢ م .
- ٢١ - محمد رضا كحاله « إعلام النساء » دار صادر بيروت ١٩٦٠ م
- ٢٢ - الندوى « أبي الحسن على الحسني الندوى الهندي « السيرة التبرية » ط بيروت ١٣٨٥ هـ .
- ٢٣ - ناظم صالح - دليل الحيران في الكشف عن آئي القرآن المطبعة الحميدية مصر ١٣٢٢ هـ .
- ٢٤ - هيكل « محمد حسين هيكل - الصديق أبو بكر » . ط مصر ١٣٧٧ هـ .

\* \* \*

## فهرس الكتاب

● مقدمة .....	٣
● الفصل الأول : الصديق قبل الخلاقة .....	٩
● الفصل الثاني : الهجرة إلى المدينة .....	٢٦
● الفصل الثالث : خلافة الصديق ومنهجه السياسي .....	٤٧
● الفصل الرابع : أهم المصاعب التي واجهت عصر الصديق .....	٧٣
● الفصل الخامس : الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر ..... ١.١	١٠١
● الفصل السادس : لطائف مزدهرة من أعمال أبي بكر .....	١٤٦
● الفصل السابع : أبناء أبي بكر الأبرار .....	١٧.
(١) عائشة الصديقة .....	١٧.
(٢) أسماء بنت أبي بكر .....	١٨٩
(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر .....	٢٠٢
(٤) عبد الله بن أبي بكر .....	٢٠٨
(٥) محمد بن أبي بكر .....	٢١٢
(٦) ابنة الصديق التي لم يرها : أم كلثوم .....	٢٢١
● المصادر .....	٢٢٦
● المراجع .....	٢٣٠

رقم الإيداع بدار الكتب : ٩٤٢٥ / ١٩٩١

الترقيم الدولي : ٦ - ٠٤٨ - ٢٤١ - ٩٧٧



٧٥  
الفن







